الملعونون والملعونات

في القرآن والسنة

جمعه وقدم له وعلق عليه
الشيخ طه عبد الله العفيفي

دار الرشاد

الملعونون والملعونات

في القرآن والسنة

الناشـــــر :	دار الرشــــــــاد
العنـــوان :	١٤ شارع جواد حسنى ـ القاهرة
تليفـــون :	٣٩٣٤٦٠٥ ـ ٢٩٩٢٦١٥
رقم الإيداع :	١٩٩٦/٤١٦٠
الترقيم الدولى :	0 - 27 - 5324 - 977
طبـــع :	آمـــون
العنـــوان :	٤ عطفة فيروز ـ من شارع إسماعيل أباظة
تليفـــون :	ت : ٣٥٤٤٣٥٦ ـ ٣٥٤٤٥١٧
مكتب الجمع :	آرمـــس للكمبيوتر
العنـــوان :	٣٢ شارع على عبد اللطيف ـ مجلس الشعب
تليفـــون :	٣٥٦٤٤٠٤
خطوط الغلاف :	محمد حمام
تصميم الغلاف :	محمد فايد
الطبعة الأولى :	١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م

الملعونون والملعونات

فى القرآن والسُّنة

جمعه وقدم له وعلق عليه

الشيخ طه عبد الله العفيفى



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾[1]

(سورة البقرة ١٥٩)

(١) والمراد بهم : علماء اليهود والنصارى ، وقد قال الطبرى : والآية وإن كانت نزلت فى خاص ، فإنها تشمل كل كاتم علماً فرض الله بيانه للناس .

الإهـــداء

إلى جـميع الإخـوة من المؤمنين والمؤمنات : أُقَدِّمُ ، هذا المـوضوع الخطير الذى ينبـغى علينا جميعًـا أن نقف عليه ، وهو : (**الملعونون والملعونات**) فى القرآن والسنة .. وذلك حتى يطمـئنوا على أنفسهم من خلال عرضه .. إذا كانوا منهم أم لا ... ؟

فـإن كانوا منهم (والعـيـاذ بالله) عادوا سـريعًا إلى الله تبـارك وتعالى بالتوبة الصادقة المؤكَّدة بالأعمال الصالحة ... وإن كانوا من عكسـهم : شكروا الله تعالى على هذا ... وسألوه التـثبيت الذى أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا جميعًا أهلاً له .

اللهم آمين ...

طه عبد الله العفيفى

تقديـــم

أخي المؤمن / أختي المؤمنة :

منذ وقت طويل وأنا أفكر تفكيراً جاداً فى تقـديم بحث متواضـع ، عن : (**الملعونين والملعونات**) فى القـرآن والسـنة .. وذلك حـتى يسـتطيع كل واحد منا ـ ذكـراً كان أم أنثى ـ من خـلال عرضـه أن يُحـدِّد أين هو من أهل الرحمة الـذين أعد الله لهم فى جنة الخلد ، ما لا عين رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وهم المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ أى اجـعلنا ممن كتـبت له فى الدنيا الصالحات من الأعمـال ، وفى الآخرة المغفرة من الذنـوب ، إنا تبنا إليك ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ أى : قـال الله لموسى : عذابى أُصـيبُ به مَن أشـاءُ من خلقي ، ورحمـتى عَـمَّتْ خلـقى كلَّهُم ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ أى : فسأكتب رحـمتى وأجعلها للذين يخافون الله ، ويجتنبـون معاصيه ، ويؤدون زكاةَ أموالهم لمستـحقيها ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ﴾ أى: والذين هم بآياتنا يُقـرُّون ويُصدِّقون .. ثم بـيَّن وفَصَّل هؤلاء ، فقال ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ أى : الذين يتبعون الرسول

محمدًا ﷺ النبىَّ الأُمِّىَّ(١) المُبَشَّر به، قال ابن عباس : هم أُمَّةُ محمد ﷺ ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ أى : الذى يجدون نَعْتَه وصفته مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ أى : يأمر هذا النبى أتباعه بالإيمان بالله وطاعته، وينهاهم عن الشرك بالله والمعاصى ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ أى : ويُحل لهم الطيبات التى أحلها الله ، ويُحرم عليهم الخبائث كَلَحْم الخنزير والخمر(٢) ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ أى : ويضع عنهم العهد(٣) الذى كان أُخذ على بنى إسرائيل ، بالعمل بما فى التوراة من الأعمال الشديدة ﴿ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ أى: والتكاليف الشَّاقَّة التى كانت عليهم ثم نسخها القرآن ، كتحريم الغنائم ، وقتل النفس فى التوبة ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ﴾

---

(١) الأُمِّىُّ : أى الذى لا يقرأ ولا يكتب ، وذلك من أعظم دلائل نبوته ﷺ ، وليس معناه الجاهل الذى لم يتعلم ... فتنبه لهذا لأن الله تعالى قد علمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيماً .

(٢) المراد بالطيبات والخبائث : الحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها ، وهذا مذهب مالك ، وقال الشافعى : الطيبات المستلذات ، والخبائث المستقذرات كالخنافس والعقارب .

(٣) تفسير الإصر بالعهد منقول عن ابن عباس ورجحه الطبرى وقال بعض المفسرين : الإصر الأحكام الشاقة والتكاليف التى يضعف عن حملها الإنسان كقوله تعالى : ﴿ولا تحمل علينا إصراً﴾ وهذا هو الأرجح .

أى : فالذين صَدَّقُوا بالنبى الأُمِّيِّ وأقرُّوا بنبوته ﴿ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ أى : ووَقَّروه وعظَّموه ونصروا دينه بجهادهم معه أعداءَ الله ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ﴾ أى : واتبعوا القرآن الذى أنزله الله عليه ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾(١) أى : أولئك هم الناجحون الظَّافرون بما طلبوا .

وهم أيضاً المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾ أى : وعباد الرحمن - هم - الذين : يمشون فى الأرض بالحِلْم والسَّكينة والوقَار ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) ﴾ أى : وإذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهون ، أجابوهم بالمعروف والسَّداد من الخطاب ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) ﴾ أى : والذين يبيتون لربهم يُصلُّون ، يُراوحون بين سجود وقيام ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾ أى : والذين يدعون ربهم أن يصرف عنهم عقابه ، حَذراً منه ووجَلاً ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) ﴾ أى : إن عذاب جهنم كان عقاباً لازماً ، لا يُفارق مَن عُذِّبَ به ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) ﴾ أى : ساءت جَهنم منزلاً وإقامةً ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ أى : لم

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى ... بتصرف يسير .

يُجاوزوا الحدَّ الذى أباحه الله لعباده فى إنفاق أمـوالهم ، ولم يُقَصِّروا عما أمر الله به ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) ﴾ أى : وكان إنفاقهم وَسطاً مُعتدلاً ، لا مجـاوزة فـيه ولا تقصيـر ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ أى : والذين لا يعـبـدون مع الله إلهاً آخـر ، ولكنهم يُفـردُونه بالعبادة والطاعة ﴿ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ أى : ولا يقتلون نفساً حَرَّم الله قـتلها إلا بالحق ، إما بكفر أو زناً أو قتل نفس ﴿ وَلا يَزْنُونَ ﴾ أى : ولا يأتون مـا حرم الله من الفـروج ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) ﴾ أى : ومن يـأت هـذه الأفعال ، يلـق عقـوبة ونكالاً ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) ﴾ أى : يعاقب على الشـرك والمعاصى ويبقى فى العذاب إلى مـالا نهاية له ، مع الهوان والذلة ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ ﴾ أى : إلا مَن راجـع طاعـة الله ، وَصَدَّقَ بما جاء به مـحمد رسول الله ﷺ ﴿ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ أى : وعَـمـل بما أمـره الله ، وانتهـى عمـا نهـاه عنـه ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ أى : فهؤلاء يُبَدِّلُ الله أعمـالهم السيئة(١) ، حسنات فى الإسـلام ، فيـبـدلهم بالشرك إيمانـاً ، وبالزِّنَى عِفَّـةً وإحْـصانـاً

---

(١) هذا التبديل إنما يكون فى الدنيـا ، يُبدل الله أعمالهم السيئـة إلى أعمال حسنة ، وهذا مـا رجحـه الطبرى ، وهو قـول ابن عبـاس والحسن ومـجاهد . وقـيل : التبديل فى الآخرة يمحو الله ذنوبهم فيجعلها حسنات .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أى : يعفو عن الذنوب ، ويرحم العباد بعد توبتهم ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ أى : ومن تاب من المشركين فآمن بالله ، وعمل بما أمره الله ، فإن الله يفعل به مثل ذلك ، يقبل توبته ، ويمحو زَلَّتَهُ ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ أى : والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل(١) ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ أى : والذين إذا مرُّوا بالباطل فسمعوه ، مَرُّوا معرضين عنه ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ أى : والذين إذا ذَكَّرهم مُذكِّرٌ بحُجَجِ الله ، لم يكونوا صُماً لا يسمعون وَعُمياً لا يُبْصرون ، ولكنهم أيقاظ القلوب يفهمون ويَعُون ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ أى : والذين يرغَبون إلى الله فى دُعائهم ، فيقولون: ربنا هب لنا من أزواجنا وذُرِّيَّاتنَا ما تقر به أعيننا ، يعملون بطاعتك ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) ﴾ أى : واجعلنا للذين يتقون معاصيك ، ويخافون عقابك ، إماماً يأتمون بنا

---

(١) قال أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ وأصل الزور : تحسين الشئ ووصفه بخلاف صفته ، حتى يخيل إلى من يسمعه أنه خلاف ما هو به ، والشرك قد يدخل في ذلك لأنه محسن لأهله وهو باطل ، ويدخل فيه (الغناء) لأنه أيضاً مما يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحلى سامعه سماعه (والكذب) ـ أيضاً ـ قد يدخل فيه صاحبه إياه ، حتى يظن صاحبه أنه حق ، فكل ذلك مما يدخل فيه معنى الزور .

فى الخيرات ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أى : هؤلاء يُثابون على أفعالهم التى فعلوها فى الدنيا ، منزلة من منازل الجنة رفيعة ، بصبرهم على هذه الأفعال ، ومُقاساة شدَّتها ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴾ أى : وتتلقاهم ملائكة الرحمن فيها بالتحية والسلام ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى : ماكثون فى الغرفة إلى غير أمَد ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾(١) أى : حَسُنَتْ تلك الغُرفة قراراً لهم ، ومكَانَ إقامَة .

وأما (الملعونون) ، فهم عكس هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى بتلك الصفات العظيمة التى وقفنا عليها ... فضلاً عن غيرها من الصفات الحميدة التى وردت فى القرآن الكريم ، وعلى لسان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى كثير من أحاديثه الشريفة التى منها ، ما ورد :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أدلكم على ما يمحو(٢) الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟** » **قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « إسْباغ الوضوء على المكارِه(٣) وكثرةُ**

---

(١) الفرقان : ٦٣ ـ ٧٦ ، التفسير من مختصر تفسير الطبرى بتصرف يسير

(٢) أى : يغفر .

(٣) أى : المشقات وقمع شهوات النفس وإزالة مكايد الشيطان وقهر النفس فى تكميلها فى المواظبة على الطهارة والصلاة والعبادة .

الخُطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط[1] »
رواه مسلم

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **على كل مسلم صدقة** » قال : أرأيت إن لم يجد ؟ قال : « **يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدَّق** » قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : « **يُعين ذا الحاجةِ الملهوف**» قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال « **يأمر بالمعروف أو الخير**» قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال : « **يُمسك عن الشر فإنها صدقةٌ** » ، متفق عليه

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **كل أُمَّتِي يدخلون الجنة إلاَّ مَنْ أَبَى** » قيل : ومَن يأبَى يا رسول الله ؟ قال : «**مَن أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أَبَى** » رواه البخارى

و (**الملعونون**) بصورة أوضح ، هم المطرودون من رحمة الله تعالى كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة عن اليهود :

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ أى : قلوبنا في أكنَّة وأَغْطية مما تدعونا إليه يامحمد ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ أى : بل أبعدهم الله وطردهم من رحمته[2] بسبب كفرهم وجُحودهم آيات الله وبيناته ﴿ فَقَلِيلاً

---

(١) عَدَّه النبى ﷺ رباطا أى جهاداً فى نيل الأجر من الله جل وعلا .
(٢) أصل اللعن : الطرد والإبعاد ، والمراد به هنا طردهم من رحمة الله (الطبرى) .

مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ أى : لا يؤمن منهم إلا قليل ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ أى : ولما جاء هؤلاء اليهود القرآن مُصَدِّقاً لما معهم من التوراة والإنجيل ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى : وكان هؤلاء اليهود ـ قبل مبعثه ﷺ ـ يستنصرون الله به على مُشركى العرب(١) ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ أى : فلما جاءهم محمد ﷺ كفروا به وكذبوه ﴿ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(٢)أى : فخِزْىُ الله وطردُهُ للجاحدين المنكرين لنبوته .

هذا وإذا كان لِىَ بعد هذا التقديم الموجز ـ الذى أرجو أن نكون قد عرفنا من خلاله المعنى المراد من اللعن ـ أن أبدأ فى تذكير الأخ المؤمن والأخت المؤمنة .

(**بالملعونين والملعونات**) فى القرآن والسنة .. حتى يحذرا الوقوع فى جميع الأسباب المؤدية إلى هذا اللعن .. الذى نسأل الله تعالى أن يحفظنا جميعاً منه ، وأن يجعلنا أهلاً لرحمته لا لعذابه .

---

(١) كان اليهود يستنصرون بمحمد ﷺ يقولون : إذا وقعت حرب بينهم وبين المشركين : اللهم انصرنا عليهم بالنبى المبعوث آخر الزمان ، فلما بُعث ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حَسداً للعرب .

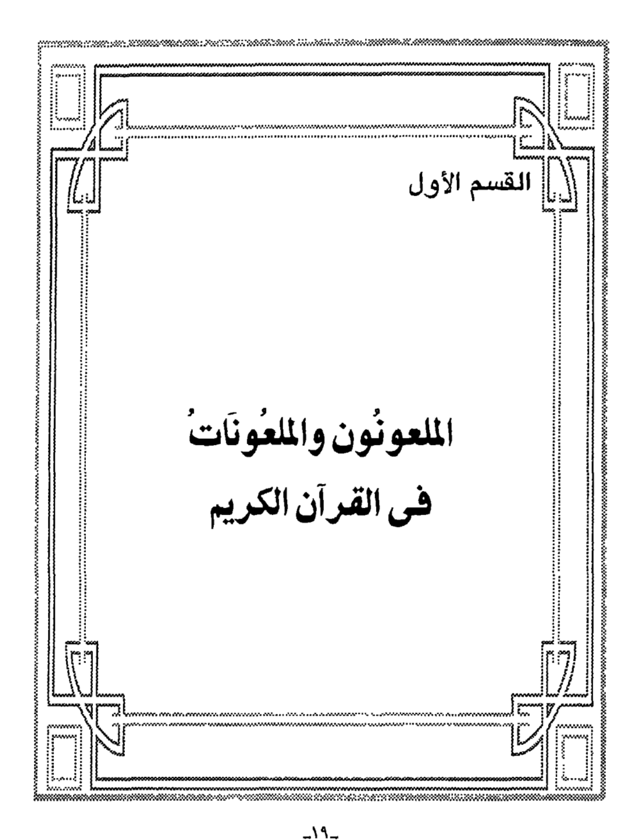
(٢) البقرة : ٨٨ ، ٨٩ . والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .

إننى أرجو منهـما أن يكونا كذلك فى نـفس الوقت من الحريصين على نشـر هذا العلم النافع الذى إن عملنا جميـعاً على تنفيذه ونشره كُنا إن شـاء الله تعـالى من أهل الفلاح والنجاح فى الدنيـا والآخرة .. وكُنا كذلك من الهُداة المهديين .. والله ولى التوفيق .

والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادم القرآن والسنة

طه عبد الله العفيفى



القسم الأول

الملعونُون والملعُونَاتُ
فى القرآن الكريم

(١) الكُفَّار بمحمدٍ ﷺ والجَاحِدونَ بآياتِ اللهِ تَعالى وبيِّناته

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

(البقرة : ٨٨ ، ٨٩)

ففى هاتين الآيتين الكريمتين ـ اللتين وقفنا على تفسيرهما قبل ذلك[١] ـ يشير الله سبحانه وتعالى إلى أهم أسباب اللعن ... وهو الكفر بمحمد ﷺ كخاتم للأنبياء والمرسلين .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[٢] .

وأنه صلوات الله وسلامه عليه أُرسلَ إلى الناس كافة ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[٣] .

---

(١) أى : فى مقدمة هذا الكتاب .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٤٠ .

(٣) سورة سبأ : آية ٢٨ .

وأنه صلوات الله وسلامه عليه أُرسلَ إلى الجن كذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾(٢)

وكذلك من أهم أسباب اللعن .. الجحود بآيات الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم ، الذى هو أهم وأفضل معجزة لرسول الله ﷺ إلى قرب القيامة .. وقد (تحدَّى) النبى ﷺ العرب إلى معارضته ، وتحدَّاهم بالإتيان بمثل أقصر سورة منه ، فاستولى عليهم العجز ، وبلغ منهم العىُّ(٣) مبلغه ، وخرست ألسنتهم فلم تحرْ جَواباً ، قال تعالى :﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ

---

(١) سورة الأحقاف : آية ٢٩ ـ ٣١ .
قالوا : (أُنزل من بعد موسى) لأنهم كانوا من أتباعه ، وقيل : لأن الإنجيل كان مُكملاً للتوراة .

(٢) سورة الجن : آية ١ ، ٢ .

(٣) العِىُّ : ضد البيان ، وقيل : هو الجهل .

لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(١)

وقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٢)

وقال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٣)

(وإنما) كان القرآن معجزاً ؛ لأنه فى أعلى طبقات الفَصاحة والبلاغة ، وهى توخِّى معانى الألفاظ وأسرار التركيب ، وترتيب الكلام حسبما تقتضيه المقاصد والأغراض ، وهذه هى المزيَّة التى امتاز بها عن سائر الكلام . فعجز المعاندون من العرب عن معارضته مع شُهرتهم وامتيازهم عن غيرهم وتفوقهم فى الفصاحة ، ولا يُلتفت إلى ما قاله بعض الكفرة المعاندين من أنه شعر وكَهانة وأساطير ؛ فإنهم قوم لا يعقلون ولا يفقهون ولو عقلوه وتدبروه ما وَسعَهم إلا الإيمان به ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(٤)

---

(١) سورة الإسراء : آية ٨٨ .
(٢) سورة هود : آية ١٣ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٣ .
(٤) سورة الحج : آية ٤٦ .

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾(١)

وقد ردَّ الله عليهم فى أكثر من آية ، قال تعالى :

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢)

وقد أشار فضيلة الشيخ أمين محمود خطاب رحمه الله تعالى(٣) فى هامش (الدين الخالص)(٤) بعد هذا الإجمال الذى وقفنا عليه إلى كلام هام قاله القاضى عياض فى كتابه **الشفاء**(٥) ، وهو :

اعلم أن القرآن مُنطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة أهمها أربعة :

أولها : حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة (أى المتجاوزة) عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

الثانى : صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب وكل من هذين النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها

(١) سورة النور : آية ٤٠ .

(٢) سورة الحاقة : آية ٤٠ ـ ٤٣ .

(٣) وقد كان رحمه الله تعالى من العلماء المدرسين بالأزهر الشريف ، وقد كان والده عليه رحمة الله تعالى هو محيى السنة وقامع البدعة فى عصره وهو مؤسس الجمعيات الشرعية وقد توفى سنة ١٣٥٢هـ .

(٤) الجزء الأول صفحة ٥٢ .

(٥) من صفحة ٥٤٢ وما بعدها جـ ١ (شرح الشفاء للقارئ) .

والأسلوب الغريب بذاته نوع إعجازه على التـحقيق . لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما .

الثالث : ما انطوى عليه من الإخـبار بالمغيبات ومـا لم يكن فوجد كما ورد .

الرابع : مـا أنبأ به من أخـبار القـرون السـالفة والأمم البـائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القـصة الواحدة إلا الفَذَّ[١] من أحْبـار أهل الكتـاب الذى قطع عمـره فى تعلم ذلك فيـورده ﷺ على وجـهـه ويأتى به على نصـه ، وهو أُمِّىٌّ لا يقـرأ ولا يكتب : فـهـذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها .

فـلاحظ كل هذا أخـا الإسلام .. حـتى لا تكون ـ والعـيـاذ بالله ـ كهؤلاء اليـهود المشـار إليهم فى هاتين الآيتين اللتين ندور حـولهما أو نعلق عليهما.

وكن ـ على عكس هذا ـ من الذين يؤمنون بـالله رَبًّا وبالإسـلام ديناً وبمحـمد ﷺ نبيـاً ورسولاً ، وكن كـذلك من أهل القرآن المشار إليـهم فى قول الله تـبارك وتعـالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٢] . حتى تكون إن شاء الله تعالى من أهل الرحمة ..

والله ولى التوفيق

---

(١) الفذُّ : أي الفرد .

(٢) سورة البقرة : آية ٢ .

(٢) الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى .. والذين ماتوا وهم كفار

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ أى : يُخفون ما بَيَّنه تعالى من أمر نُبُوَّة محمد ﷺ وما أوضحه فى الكتب التى أنزلها على أنبيائهم ، والمراد بهم علماء اليهود والنصارى ـ قال الطبرى : والآية وإن كانت نزلت فى خَاصٍّ ، فإنها تشمل كُلَّ كَاتم علماً فرض الله بيانه للناس : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ﴾ أى : من بعد تبيينى ذلك وإيضاحه للناس فى التوراة والإنجيل ﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ أى : أولئك الكاتمون لأمر محمد ﷺ ولدينه ، يطردهم الله من رحمته ، وتلعنهم الملائكة والمؤمنون ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا ﴾ أى : تابوا عن الكتمان ، وأصلحوا أنفسهم بصالح الأعمال ، وبَيَّنُوا وحْىَ الله الذى أنزله على أنبيائه ﴿ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ أى : فهؤلاء أتوب عليهم ، فأجعلهم من أهل طاعتى ومرضاتى ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ أى : وأنا التواب على عبادى ، أتغمدهم بعفوى وأصفح عنهم برحمتى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ أى : جحدوا نبوة محمد ، من اليهود والنصارى وسائر المشركين ، وماتوا وهم على جحودهم ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ

وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(١) أى : يطردهم الله من رحمته ، وتلعنهم الملائكة وجميع الناس .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام .. حتى لا تكون كهؤلاء اليهود أو النصارى .. الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى .. وحسبك تحذيراً لك من هذا ، ومن كتمان العلم النافع ـ بصفة خاصة ـ ما ورد :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن سُئِل عن علمٍ فكتمه أُلجِمَ يوم القيامةِ بلجامٍ من نارٍ » . رواه أبو داود والترمذى وحسَّنه وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والبيهقى ، ورواه الحاكم بنحوه وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وفى رواية لابن ماجة قال : «ما من رجل يحفظ علمًا فيكتمه إلاَّ أتَى يوم القيامة مَلجُومًا بلجَامٍ من نارٍ » .

وكن على عكس هذا ، من الذين ينشرون العلم النافع :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن ممَّا يلحقُ المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً عَلَّمَهُ ونَشَره(٢)

---

(١) سورة البقرة : آية ١٥٩ ـ ١٦١ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى بتصرف يسير .

(٢) بأى وسيلة من وسائل النشر من خطب أو دروس أو تأليف .

وولداً صالحاً تَركَه[1] ، أو مُصْحـفاً وَرَّثَه ، أو مَسْجِـداً بنَاه ، أو بَيْتاً لابنِ السَّبيل[2] بنَاهُ ، أو نَهْراً أجراهُ ، أو صَدَقَةً أخـرجها من ماله فى صحـته وحيـاته تلحقه من بعـد موته »[3] رواه ابن ماجـه بإسناد حسن والبيهقى ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه بنحوه .

وعن قتـادة رضى الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ مَا يَخْلُفُ[4] الرجُلَ من بعـده ثَلاَثٌ : ولدٌ صَـالِح يدعُـو له ، وصـدقـةٌ تَجرِى يَبْلُغُه أجرُهَا ، وعِلْمٌ يُعملُ به مِن بَعْدِه »

رواه ابن ماجه بإسناد صحيح

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات ابنُ آدَم انقطع عملُهُ إلاَّ مِن ثَلاَثٍ : صَدقَـةٍ جَارِيَة ، أو عِلْمٍ يُنتَفَعُ بِهِ ، أو ولدٍ صَالحٍ يدعو له » رواه مسلم

وأمـا عن الذيـن يموتـون وهم كـفار ـ الذين نســأل الله تعالى أن لا يجعلنـا منهم ـ فقد أشـار الله تعالى إليـهم فى قوله : ﴿ إنَّ الَّذِينَ

---

(١) فيدعو له هذا الولد الصالح لأنه يعرف حـق أبيه عليه بعد موته ، وهو الدعاء له بالمغفرة والرحمة .

(٢) وهو المسـافر المنقطع عن ماله وبلده فيأوى إلى ذلك البيت للمبيت فيه .

(٣) يعنى : إذا حبس فى حال حياته عينًا لتجرى غلتها على الفقراء والمساكين .

(٤) يقال : خلفه يخلفه إذا بقى بعده ، والرجل بالنصب مفعول .

كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ أى : جحدوا نبوة محمد ﷺ ولم يُصدقوا ما جاءهم به من عند الله ، وماتوا على الكفر والجحود ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾ أى : فلن يُقبل من أحدهم عوض أبداً ، حتى ولو كان له من الذهب قدرَ ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى : عذاب مُوجع ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾(١) أى : ومالهم من قريب ولا حميم يُنقذهم من عذاب الله .

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ أى : إنما يتقبل الله التوبةَ ممَّن عَصَوا ربَّهُم حالَ جهالتهم وهم به مؤمنون ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ أى : ثم يتوبون سَريعاً قبل نزول الموت بهم ﴿ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أى : يتقبل توبتهم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أى : عليماً بالمُنيبين من عباده ، حكيماً فى أفعاله وتدبيره ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أى : وليست التوبة المقبولة عند الله للمُصرِّين على معاصى الله ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ ﴾ أى : حتى إذا حَشْرَج أحدهم بنفسه وعاين ملائكة ربه لقَبْض رُوحه ، تاب وأناب ، فليس لهذا عند الله توبة ، لحديث : « **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرغر(٢)** » .

---

(١) سورة آل عمران : آية ٩١ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف يسير .

(٢) أى : ما لم يصبح فى سكرات الموت تبلغ الروح الحلقوم .. والحديث صحيح أخرجه الإمام أحمد .

﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ أى : وليست التوبة لمن ماتوا على الكفر ﴿ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(١) أى : أعددنا لهم عذاباً موجعاً .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أى : إن الذين أنكروا توحيد الله ، وصدوا من أراد الإيمان بالله ورسوله عن ذلك ، ففتنوهم عنه ﴿ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ أى : ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرهم ﴿ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾(٢) أى : فلن يعفو الله عما صنعوا ، بل يُعاقبهم .

فكن أخا الإسلام منتفعاً بكل هذا(٣) . والله الموفق للصواب .

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة النساء : آية ١٧ ، ١٨ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف يسير .

(٢) سورة محمد : آية ٣٤ ، والتفسير من مختصر الطبرى .

(٣) حتى لا تكون من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات .. أو الذين يموتون وهم كفار (والعياذ بالله) .

(٣) الكَاذِبُونَ

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ أى : فمن جادلك فى المسيح بن مريم ، بعد الذى قد بينتهُ لك أنه عبد الله ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ أى : فقل هَلُمُّوا فلندع هؤلاء جميعاً ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾(١) أى : ثم نلتعن ـ أى ندع باللعنة ـ على الكاذبين منَّا ومنكم .

والمباهلة : أى الملاعنة ، وهى أن يخرج الفريقان بأبنائهم ونسائهم ، ثم يدعون باللعنة على الكاذب منهم ، وفى الحديث : « **لو خرج الذين يُباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً** » رواه أحمد.

هذا ، وإذا كان الكذب هو الأساس المُرهَّبُ منه فى نص الآية الكريمة التى ندور حولها .. فإننى أُذكِّر الأخ المسلم ، بما ورد فى السنة .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **عليكم بالصدق : فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة وما**

---

(١) سورة آل عمران : آية ٦١ ، مختصر تفسير الطبرى .

يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدقَ حتى يُكتب عند الله صِدِّيقًا(١) ، **وإياكم والكذبَ : فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجورَ يهدى إلى النارِ ، وما يزالُ العبدُ يكذب ويتحرَّى الكَذِبَ حتى يُكتَب عند الله كَذَّاباً** » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **آيةُ المنافِق ثلاثٌ : إذا حَدَّثَ كَذَب ، وإذا وَعَد أخلَفَ ، وإذا عاهَد غَدرَ** » رواه البخارى ومسلم ، وزاد مسلم فى رواية له : « وإن صام وصلَّى وزعَم أنه مسلم » .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **أربع إذا كُنَّ فيك ، فلا عليكَ مما فاتك من الدنيا ، حفظُ أمَانَة وصدقُ حديثٍ ، وحُسْنُ خليقةٍ ، وعِفَّةٌ فى طُعْمَةٍ** »(٢) رواه أحمدُ والطبرانى بأسانيد حسنة.

فكن أخا الإسلام منتفعاً بكل هذا ، حتى تكون من الصادقين لا من الكاذبين .. بل وكن حريصاً على أن تكون مع الصادقين .. كما

---

(١) الصِّدِّيقية : مرتبة قبل مرتبة النبوة مباشرة .. كما أشار الله تعالى إلى هذا مرتين فى سورة مريم ، فقال تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ الآية ٤١ ، وقال ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ الآية ٥٦ .

(٢) الطعمة بالضم : وجه المكسب ، يقال : عفيف الطعمة ، إذا كان طيب المكسب ، ورديء الطعمة : إذا كان خبيث المكسب .

يأمرنا الله تعالى جميعاً بهذا فى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾(١) وذلك حتى تنتفع بأخلاقهم ، وتفوز بصُحبتهم فى الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى - فى جنة الخلد - والله ولى التوفيق .



(١) التوبة : ١١٩ .

(٤) الذِينَ كفرُوا بَعْد إيمَانهِمْ

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ أى : كيف يـرشد الله ويوفق للإيمان ، قومـاً جحدوا نبوة مـحمد ﷺ بعد تصـديقهم به ؟ قال الحسن : هم اليهود والنصارى ، رأوا نعت محمد ﷺ فى كتابهم وأقرُّوا به ، ثم كـفروا بعـد إقرارهم ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ أى: وعرفوا أن مـحمداً رسول الله ﷺ إلى الخلق ثـم كفروا به ﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ أى : قـامت عليهم الحـجج والبـراهين على صدق رسـالة محمد ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) ﴾ أى : والله لا يوفق لـلحق والصواب ، الظلمة الذين اختاروا الكفر على الإيمان ﴿ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧)﴾ أى : ثوابهم على مـا عملوا أن تحل بهم لعنة الله ـ أى إقـصاؤهم وبعدهم عن رحـمة الله ـ وأن تلعنهم الملائكة وجميع الخلق ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى : ماكثين فى عقوبة الله أبداً ﴿ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَـذَابُ وَلا هُـمْ يُنظَرُونَ (٨٨) ﴾ أى : لا يُنْقَصُون من العذاب شيئـاً ولا يُمهلُون لتوبة أو اعتذار ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ﴾ أى : إلا من تاب من ذنبه ، وأصـلح عمله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٨٩)﴾ أى : يستر ذنبه ويرحمه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ أى : كفروا بمحـمد ﷺ بعد إيمانهم ﴿ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا ﴾

أى : بما أصـابوا من المعـاصى ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ أى : لن تقـبل توبتهم مـن الذنوب ، حتى يتوبوا من كـفرهم بمحـمد ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾(١) أى : هم الذين ضلُّوا سبيل الحق .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام .. وكن منتفعاً بما أشارت إليه الآيات من تنبيهات وتحذيرات .. حتى لا تكون من هؤلاء الضَّالِّين ـ والعياذ بالله ـ والله الهادى إلى سواء السبيل .



(١) سورة آل عمران : آيات ٨٦ ـ ٩٠ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف .

(٥) الذينَ يشْترُونَ الضَّلالةَ. ويُحرِّفُونَ الكَلِمَ عنْ مواضِعهِ ويقولُونَ سمعْنَا وعَصيْنا

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ أى : ألم تر بقلبك يا محمد فتعلم حال اليهود ، الذين أعطُوا حظاً من كتاب الله ﴿ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ ﴾ أى : يختارون الضلالة على الهدى ، بتركهم الإيمان وتكذيبهم لمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ أى : ويُحبون أن تضلوا يا معشر أصحاب محمد(١) عن سبيل الحق والهدى ، فتكونوا مثلهم ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ﴾ أى: والله أعلم منكم ، بعداوة هؤلاء اليهود لكم ، فلا تقبلوا نصيحتهم فتهلكوا ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ أى : حسبكم الله ولياً ، وحسبكم الله ناصراً يرعاكم وينصركم على أعدائكم ، فثقوا به وعليه توكَّلوا ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ أى : هؤلاء الأعداء هم من اليهود ، الذين يبدلون الكلم فى التوراة عن أماكنه ووجوهه الصحيحة ـ أى يفسرونه بغير مراد الله عز وجل ـ ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ أى : ويقولون سمعنا يا محمد قولك ، وعصينا أمرك ﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ أى : اسمع منَّا لا

---

(١) بل ويا معشر أتباع محمد ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أسمعك الله (وَرَاعِنَا) أى : راعنا سمعك أى افهم عنا وأفهمْنَا ﴿ لَيًّا بألسنَتِهم وطعناً فى الدين ﴾ أى : تحريكاً منهم بألسنَتهم لتحريف معنَاه(١) وطعناً فى دين الله .. كانوا يسُبُّون رسول الله ﷺ ويؤذونه بالقبيح من القول ، شَتماً له ، واستهزاءً ، فيقولون : اسمع لا سمعت ، وراعنا ، يقصدون الدعاء عليه بالصَّمَم ، والرعونة وهى كلمة مَسَبَّة عند اليهود ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ أى : ولو أن هؤلاء اليهود قالوا : سمعنا يا محمد قولك ، وأطعنا أمرك ﴿ واسمع وانظُرنا ﴾ أى : واسمع منا ما نقول ، وانتظرنا حتى نفهم ما تقول لنا ﴿ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ أى: لكان ذلك خيراً لهم عند الله ، وأصوب وأعدل فى القول ﴿ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ أى : ولكن أخزى الله اليهود ، فطردهم وأبعدهم عن رحمته ، بجحودهم نبوة محمد ﷺ ، وما جاءهم به من الهُدى والبينات ﴿ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(٢) أى : فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً.. أى : إيماناً غير نافع لهم عند الله ، كإيمانهم بموسى ـ عليه السلام ـ واعتقادهم بأنهم أحباب الله .. الخ .

قاتل الله اليهود الملاعين .. الذين هم أساس الفساد والإفساد والكفر والإلحاد .. وأعاننا الله عليهم .. حتى نُطَهِّر الأرض منهم ومن شرورهم وحتى يعود الأمن والأمان ، والسلام والوئام .. إلى كل مكان على وجه الأرض .. اللهم آمين .

---

(١) اللَّى : الفتل ، أى يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل .

(٢) سورة النساء : آية ٤٤ ـ ٤٦ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير

(٦) أَصْحَابُ السَّبْتِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ أى : يا معشر اليهود آمنوا بما نَزَّلنَا على محمد ﷺ من القرآن ، مُصَدِّقاً لما معكم من التوراة ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾أى: من قبل أن نطمس أبصارها ونمحو آثارها حتى تصير كالأقفاء(١) ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ أى : أو نخزيهم فنمسخهم قردةً كما فعلنا بالذين اعتدوا فى السبت ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾(٢) ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾(٣) أى : ولا يمتنع عليه شئ مما أراده .

ولقد أشار الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة(٤) ، فقال : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ أى : ولقد عرفتم الذين اجترأوا على مخالفة أمرى فاصطادوا يوم السبت ، عرفتم ماذا فعلتُ بهم ، ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ أى : فقلنا لهم : صيروا قردة ،

---

(١) المراد : أن نطمس منها حواسها فلا نبقى لها سمعاً ، ولا بصراً ، ولا أنفاً ، وروى عن ابن عباس أن المراد بالآية أن يجعل وجوههم من قِبَلِ أقفيتهم فيمشون القهقرى .

(٢) البقرة : ٦٥ .

(٣) النساء : ٤٧ (مختصر تفسير الطبرى) .

(٤) الآية رقم : ٦٥ ، ٦٦ .

أذلاء صُغـراء ، مُبعـدين مُطردين ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ أى : فجعلنا تلك المسخة التى مسخناهُمْ بها ، عقوبة لما سبق من ذنوبهم السَّالفة ، ولمن بقى بـعدهم أن يعـملوا بمثل ما عـملوا ، فيُمـسَخُوا بمثل ما مـسخوا ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) ﴾ أى : وتذكـرة للمتقين وعبرة للمؤمنين ، ليتعظوا بها ويعتبروا .

كما قال تعالى فى سورة النساء ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ ﴾(١) أى : ورفعنا فوقـهم جبل الطور ، بما أعطوا الله الميثـاق والعهد ، على العمل بمـا فى التوراة ﴿ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ﴾ أى : ادخلـوا باب « بيت المقـدس » ساجدين شكراً لله ، فـبدَّلوا ودخلوا يزحـفون على مقاعدهم(٢) ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾ أى : لا تتـجاوزوا أمر الله فـتصطادوا يوم السـبت ، فخالـفوا واصطادوا ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ أى : عهداً شديداً مؤكداً ، على العمل بما فى التوراة .

وقال تعالى فى سورة الأعراف(٣) :

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ . أى : اسأل اليـهـود

---

(١) الآية : ١٥٤ .

(٢) روى البـخارى أن بنى إسـرائيل قـيل لهم : ﴿ وَادْخُلُـوا الْبَـابَ سُـجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ (٥٨) ﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم فـبدلوا وقـالوا : (حبة فى شعرة) وفى رواية : حنطة .

(٣) الآية : ١٦٣ .

يا محمد ـ سؤال تقرير وتوبيخ ـ عن أمر القرية[1] ، التى كانت بقرب البحر وعلى شاطئه ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ أى : إذ يعتدون أمر الله يوم السبت ، ويتجاوزونه إلى ما حرم الله ، فيصطادون فيه السمك ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾ أى : حين تأتيهم الأسماك ، يوم السبت الذى نُهوا عن العمل فيه[2] ، ظاهرة على الماء من كل مكان ﴿ وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ ﴾ أى : وفى غير يوم السبت لا تأتيهم الحيتان ﴿ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ أى : كذلك نختبرهم ـ بإظهار السمك على ظهر الماء ، فى اليوم المحرم عليهم صيده ، وإخفائه عنهم في اليوم المُحلل صيده ـ بسبب فسقهم عن طاعة الله ، وخروجهم عنها[3] .

وقال فى سورة النحل[4] :

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ أى : ما جعل الله تعظيم يوم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه ـ وهم اليهود ـ اختاروا

---

(١) قال ابن كثير : هذه القرية هى (أيلة) وهى على شاطئ بحر القلزم ، وقيل هى (مدين) .

(٢) كانت الأسماك تخرج من البحر يوم السبت ، وتظهر قريبة منهم كثيرة ابتلاء لهم ، إذ كان صيدها عليهم حراماً ، وتغيب عنهم سائر الأيام .

(٣) هؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله فعاقبهم تعالى بأنواع العقاب الأليم .

(٤) النحل : ١٢٤ .

السبت وتركوا يوم الجمعة(١) ، الذى فرض الله عليهم تعظيمه ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أى : وإن ربك **يا محمد** ليفصل بينهم يوم القيامة بحكمه العادل ، فيجازى كُلاًّ بما هو أهله .

لاحظ كل هذا أخا الإسلام .. حتى تعرف ألاعيب اليهود وما جُبلوا عليه .. من يوم أن خلقهم الله تبارك وتعالى .. ولسوف يظل هذا هو حالهم مع المسلمين خاصة ، والعرب (عامة) إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. وإلى أن يقول الحجر في آخر الزمان : « **يا مسلم ورائى يهودى فاقتله**»(٢) .

والله المستعان عليهم وعلى شرورهم .



---

(١) إنما اختار اليهود السبت ليكون عيداً لهم ، لأنه على زعمهم يوم استراحة الرب ، حيث قالوا : إن الله فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة ، ثم استراح يوم السبت ، فنحن نعظم هذا اليوم لأنه يوم استراحة الرب جل وعلا . تعالى الله عما يقولون عُلُوّاً كبيراً .

(٢) فقد ورد في السنة أن هذا من علامات الساعة الصغرى ، والحديث ورد بنحو هذا فى البخارى ومسلم .

(٧) الملعونُ إبليسُ

﴿إن يَدْعُـونَ من دُونِهِ إلاَّ إنَاثًا ﴾ أى : ما يدعون بـعد الله وسواه إلا أوثاناً سَمَّـوهَا آلهةً ، كاللاَّت والـعُزَّى ومَناة ، فحـسبُ هؤلاء ضلالاً أنهم يعـبـدون إناثاً ويدعونهـا آلهـة وأرباباً ﴿وَإن يَدْعُـونَ إلاَّ شَـيْطَانًا مَّرِيدًا(١١٧) ﴾ أى: وما يدعون إلا شيطاناً متمرداً على الله ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أى : أخـزاه وأبعـده عن رحـمـتـه ﴿ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا(١١٨) ﴾ أى : وقـال الشـيطان لربه حين لعنـه : لأُضلَّنَّ من عبادك عدداً وافراً معلوماً ، بتزيين الكفر والضلال لهم حتى يتبعونى ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ أى : ولأضلَّنّهـم عن مَـحـجَّـة الهُـدى ، ولأُزيغنَّهُم عن طاعَتك بالأمَانى ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ ﴾ أى : ولآمرنهم بتشقيق آذان الأنعام بحيرة لطواغيتهم . قال قتادة : كانوا يشقون آذانهم لطواغيتـهم ، كما شرع لهم إبليس ﴿ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ بالخِصَاء ، والوشْـمِ وغير ذلك ـ كإطالة الأظافـر وطليها بالمناكير(١) ، وتكديس الشعور المستعارة(٢) ، واستعـمال « المكياج »

---

(١) أى المونوكير .

(٢) كالباروكة .

الذى يجعل العجوز الشمطاء صبية هيفاء[1] ، وفى الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه : « **لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلّجات للحسن المغيِّرات خَلْقَ الله** » ، والنامصة : التى تنتف الشعر من الوجه ، والمتفلِّجة : التى تبرد أطراف أسنانها للتجميل ... كما ظهر فى هذا الزمان المأسوف عليه ﴿ **وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ أى : ومن يتبع الشيطان فيطيعه فى معصية الله ، ويتخذه نصيراً من دون الله ﴿ **فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا(١١٩)** ﴾ أى : فقد خسر خسارةً فادحة لمصيره إلى النار المؤبدة ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا** ﴾ أى : يعدهم الشيطان بالنُّصرة والدفاع عنهم ، ويمنيهم بالظُّفر على خُصُومهم ، وما يَعِدُهُم إلاَّ بَاطلاً ﴿ **أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا** ﴾[2] أى: أولئك مصيرهم الذى يصيرون إليه جهنم ، ولا يجدون عنها معدلاً ولا مهرباً .

فإذا كان هذا هو شأن الشيطان مع عباد الله من يوم أن حكم الله تعالى عليه بالإغواء .. ومن يوم أن قال الله تبارك وتعالى له ولأبوَينا :

---

(١) وهذا ضرب من الخداع المحرم .

(٢) النساء : ١١٧ ـ ١٢١ .

﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾(١) .فإنَّ هذا معناه أن الشيطان الأكبر وأتباعه من الإنس والجن يعملون ليلاً ونهاراً على إغوائنا .. حتى نكون معهم من أصحاب السعير .. فلنكن على علم بكل هذا .. حتى نجاهده ونجاهد أتباعه بكل صدق وإيمان .. والله المستعان .



---

(١) البقرة : من الآية ٣٦ .

(٨) الذِينَ ينقضُونَ الميثَاقَ

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ أى : أخذ الله عهودهم المؤكدة على الوفاء لله بطاعته والإيمان برسله ، وأرسل منهم اثنى عشر كَفيلاً من رؤسائهم ، ليكفلوا قومهم على الوفاء بالعهود والمواثيق ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أى : وقال الله لهم : إنى معكم بالعون والنصر ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ أى : وأُقْسمُ لئن أقمتم يا معشر بنى إسرائيل الصلاة ، وأعطيتُم الزكاةَ لُمستحقِّيهَا ﴿وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أى : وصدَّقتُم برسلى ونصرتموهُم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أى : وأنفقتم فى سبيل الله وابتغاء مرضاته ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أى : لأمحُونَّ عنكم ذنوبكُم ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أى : ولأُدخلنكم يوم القيامة بفضلى بساتين ، تجرى من تحت أشجارها أنهار الجنة ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢)﴾ أى : فمن جحد نعمة الله منكُم ، بعد ذلك العهد والميثاق ، فقد أخطأ قصد الطريق الواضح ، وزَلَّ عن منهج الهداية والسداد .. والآية إعلامٌ من الله جَلَّ

وعلا لنبيه ﷺ وللمؤمنين ، ما عليـه اليهود من الغدر ونقض العهد ، وأن ذلك من أخـلاقهم وأخـلاق أسلافـهم قـديماً وحديثـاً ، وتوبيخٌ لليهود في تماديهم في الغيِّ والضلال ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ أى : فبسـبب نقضـهم الميثاق الذى أخذ عـليهم ، طردناهم وأبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ أى : جعلنا قلوبهم غَليظَةً يابسةً ، لا تلين لموعظة ، قد نُـزِعت منْها الرأفَةُ والرحـمة ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ أى : يُحرفون كلام رَبِّهِم ـ التوراة ـ فيبدلونه ويُغَيِّرونه ، ويكتبون بأيديهم غيرما أنزل الله ، ثم يقولون لجُهَّال النَّاس : هذا هو كلام الله ﴿ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أى : وتركوا نَصيـباً من أوامر الله وأحكامه فلم يعـملوا بها ﴿ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾ أى : ولا تَزالُ تَطَّلعُ يا محمد من اليهود على خـيانة وغدر ، ونقض للعهد ، إلا قليلاً منهم لم يخونوا ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ أى : فَاعْفُ يا محمد عن هؤلاء اليهود ، واصفح عن جُـرمهم وكيدهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٣) ﴾ أى : يُحبُّ من أحـسن فَعَـفَا وصفح عَـمَّنْ أساء إليه ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ﴾ أى : ومن الذين ادَّعوا أنهـم نصارى ، أخذنا كـذلك عهـدهم المؤكد لطاعـتى ، واتباع رسلى ، فـسلكوا منهاج الأُمَّـة الضالة من اليـهود ، فبـدَّلوا دينهم ،

ونقضوا عـهدهم ﴿ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أى : فتـركوا نصيـباً وافـراً من أوامر الله وتشـريعـه فلم يطبقـوها ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ أى : فـألقـينا بين النصـارى العـداوة والبـغضـاء ، وحَرَّشنـا بينهم باتباع الأهـواء ـ لتركـهم كتـاب الله ، وتضييعهم فرائضه ، وتعطيلهم حدوده ـ ولا يزالون كذلك مُتَعادين مُتباغضين إلى قيام الساعة ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾(١) أى : وسوف يخبرهم الله في الآخرة بإجرامهم فى الدنيا ، ويعاقبهم على ما ارتكبوه من الكذب على الله ورسوله .

فلننتفع جميعـاً ـ نحـن المؤمنين ـ بهـذا الـدرس القرآنى حتى لا نكون كهـؤلاء الملاعين الذين ينقضون الميـثاق .. ولنكن على عكس هذا من المؤمنين الصادقين الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى آية البر فقال: . ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾(٢) ، كما قال : ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾(٣) ، وقال : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾(٤) .

---

(١) المائدة : ١٢ ـ ١٤ .
(٢) البقرة : من الآية ١٧٧ .
(٣) الرعد : ٢٠ .
(٤) المؤمنون : ٨ ، والمعارج : ٣٢ .

وحسبنا أننا عندما سنكون من المتخلقين بهذا الخلق الكريم سنكون قد نفذنا أمر الله تعالى فى قوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾ (١) وقوله : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾(٢) .

والله ولى التوفيق .



---

(١) النحل : من الآية ٩١ .

(٢) الإسراء : من الآية ٣٤ .

(٩) مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عليهِ

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا ﴾ أى قل لهم : يا معشر اليهود والنصارى هل تكرهون منا أو تعيبون علينا ﴿ إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾ أى : إلا إيماننا وتصديقنا بوحدانية الله ، وبالقرآن الذى أُنزلَ علينا ، وبالكُتب التى أُنزلت على أنبياء الله من قبلنا ؟ ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) ﴾ أى : وبأن أكثركم خارجون عن طاعة الله تعالى ؟ ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ ﴾ أى : هل أُخبركُم بشَرٍّ مما تعيبون به علينا من الإيمان بالله ، والتصديق بكتبه ورسله ؟ ﴿ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ﴾ أى : جزاءً وثواباً عند الله ﴿ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ ﴾ أى : مَن أبعده الله وطرده من رحمته ﴿ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ أى : وسخط عليه فعجَّل له الخزىَ والنكال فى الدنيا ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ أى : ومسخ بعضهم قردة ، وبعضهم خنازير ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ أى : وجعل منهم مَن عبد الشيطان والأوثان .

﴿ أُوْلَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) ﴾[1] أى : هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الشنيعة ، شرٌّ منزلة ممَّن نقمتم عليهم

---

(١) المائدة : ٥٩ ، ٦٠ (مختصر تفسير الطبرى) .

يا معشر اليهود ، وأبعد عن سبيل الرشد والهدى .. وفيه تعريض باليهود ، بإخبارهم بقبيح فِعالهم ، وذميمِ أخلاقِهم ، كأنه يقول : أهؤلاء المؤمنون الذين تستهزئون منهم شَرٌّ ، أم من لعنه الله ؟

فلنعتبر بهذا الدرس القرآنى .. الذى يوضح لنا لماذا لعن الله هؤلاء اليهود وغَضِبَ عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ...

نسأل الله تعالى أن يُعافينا جميعاً من قبيح الأفعال ، وذميم الأخلاق ، التى كانت سبباً فى لعنهم ومسخهم .. اللهم آمين .



(١٠) الذِينَ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعلُوهُ

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أى : أبعد الله اليهودَ ، وطردهم من رحمته ولعنهم ﴿ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ أى : على لسان أنبيائه ورسله ، فى الزبور والإنجيل ، قال **ابن عباس** : لُعنُوا بكل لسان ، لُعنُوا على عهد **موسى** فى التوراة ، ولُعنُوا على عهد **داود** فى الزبور ، ولعنوا على عهد **عيسى** فى الإنجيل ، ولعنوا على عهد **محمد** فى القرآن ﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ أى : ذلك اللعن بسبب عصيانهم لأوامر الله ، ومجاوزتهم حدوده ﴿ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ أى : كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً عما يفعله من المعاصى ، وركوب المحارم ، وقتل الأنبياء والرسل ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[1] أى: بئس فعلهم وصنيعهم ، تركهم النهى عن معاصى الله ومحارمه .

فلنأخذ درساً من هذا .. حتى لا نكون كهؤلاء الملعونين على كل لسان .. لأنهم : ﴿ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ ، ولنكن على عكس هذا ، من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر تنفيذاً لأمر الله تبارك وتعالى فى قوله :

---

(١) المائدة : ٧٨ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أى : يأمرون بالإيمان **بمحمد** ودينه ، وينهون عن الكفر بالله والتكذيب برسوله(١) ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢) أى : الفائزون فى جناته ونعيمه .

ونحن أساساً ما جعلنا الله تعالى خير أمة أُخرجت للناس إلا لأننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أى : كنتم يا أتباع **محمد** خير الأمم وأكرمها على الله ، وخير الناس للناس ... قال **عمر** : من سرَّه أن يكون من تلك الأمة فليؤدِّ شرط الله منها ـ وهو الإيمان بالله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٣) .

وقد مدح الله تبارك وتعالى المؤمنين والمؤمنات فقال : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أى : بعضهم أنصار بعض وأعوانهم ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أى : يأمرون الناس بالإيمان

---

(١) قال فى هامش التفسير : المعروف كل ما استحسنه الشرع من قول وعمل ، والمنكر كل ما استقبحه الشرع من قول وعمل ، وما ذكره الشيخ الطبرى نوع من أنواع المعروف والمنكر ، فهو للتمثيل لا للتعريف .

(٢) آل عمران : ١٠٤ (مختصر تفسير الطبرى) .

(٣) آل عمران : من الآية ١١٠ .

بالله ورســولــه وبما جـاء من عند الله ، وينــهــونهم عن الكــفــر بالله ورسـوله ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ أي : ويؤدون الصــلاة المفروضة على الوجه الأكمل ، ويعطون الزكاة لمستحقيها ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي : في كل أمــر ونهي ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ أي : هؤلاء سيرحـمهم الله ، فينقذهم من عـذابه ويدخلهم جنته ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[1] أي : عزيز في انتقامــه ممن عصاه ، حكيم في جميع أفعاله .

فلنكـن إن شــاء الله تعـالى من المـؤمنين المشــار إليــهم في الآية السابقة ، لا من المنافقــــين المشــــار إليهــــم في قـول الله تعـالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ أي : يأمرون بالـكفر بالله ورسوله ، وينهـون الناس عن الإيمان بالله ورســوله ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي : ويمـسكون أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ أي : تركوا طـاعة الله ، فتركهم من رحمته وهدايته .

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2] أي : هم الخارجون عن طاعة الله .. نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا منهم ، اللهم آمين .

---

(١) التوبة : ٧١ .

(٢) التوبة : ٦٧ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف .

(١١) الظَّالِمُونَ
الذِينَ يصدُّونَ عَنْ سبِيلِ اللهِ ويبْغُونهَا عِوجاً

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ أى : ونادى أهلُ الجنة أهلَ النَّار ، فقالوا : لقد وجدنا ما وعدنا ربنا من النعيم والكرامة حقاً ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ أى : فهل وجدتم ما وعدكم ربُّكُم من العقاب حقاً ؟ ﴿ قَالُوا نَعَمْ ﴾ أى : فأجابهم أهل النار : نعم لقد وجدنا كذلك ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾ أى : فنادى مناد بين أهل الجنة والنار ، أنَّ غضب الله وسَخَطَهُ على مَن كَفَر به .. ثم فَصَّلَهم ـ بعد ذلك ـ بقوله : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أى : الذين يمنعون الناس من الدخول فى دين الله ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ أى : ويطلُبون أن يُغَيِّرُوا الدينَ ويُبَدِّلُوه عن استقامته ﴿ وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) ﴾(١) أى : وهم بلقاء الله وثوابه وعقابه جَاحِدُون .

فلنحذر الوقوع فى هذا الإثم الكبير الذى استحقُّوا عليه لعنة الله .. وهو الظلم .. الذى بيَّن الله تبارك وتعالى بعد ذلك أهَمَّ

---

(١) الأعراف : ٤٤ ، ٤٥ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

مواصفاته التى ينبغى علينا نحن المؤمنين بصفة خاصة أن نبتعد عنها ، وعن جميع الأسباب الموصلة إليها حتى نكون إن شاء الله تبارك وتعالى من أهل الجنة لا من أهل النار .. قال تعالى :

﴿ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) ﴾(١) .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أصحاب الجنّة حتى نكون من الفائزين .. اللهم آمين .



(١) الحشر : ٢٠ .

(١٢) الذِينَ افتَرَوْا علَى اللهِ كذِباً

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أى : أىُّ الناس أشدّ عذاباً ممن اختلق الكذب على الله ؟ ﴿ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أى : ليسألهم عمّا عمِلُوا فى الدنيا ﴿ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَٰؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أى : وتقول الملائكة والأنبياء(١) الذين شهدوا أعمالهم : هؤلاء الذين كذبوا فى الدنيا على ربِّهم ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ أى : ألاَ غَضَبُ الله على الكافرين ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ أى : الذين يَردُّون الناسَ عن الإيمان ويفتنونهم عن دينهم ، ويلتمسون أن تكون سبيل الله ـ الإسلام ـ زيغاً وميلاً عن الاستقامة ﴿ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩) ﴾ أى : وهم جاحدون بالبعث بعد الموت ، مُنكرون له ﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ أى : هؤلاء المشركون فى قبضة الله ومُلكه ، لا يعجزون ربهم هرباً ، ولا يفوتونه طلباً ، إذا أراد عقابهم والانتقام منهم ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أى : وليس لهم أنصار ينصرونهم من دون الله ،

---

(١) قال فى الهامش : هذا قول مجاهد والضحاك واختاره الطبرى ، وقيل : الأشهاد الخلائق كلهم .

ويحـولون بينهم وبين عقـابه ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ أى : يُـزَاد عذابُهُمْ ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) ﴾ أى : كانوا لا يستطيعون أن يسمعوا الحقَّ سـماع منتفع ، ولا يبصرونه إبصار مُهتَد ، لاشتـغالهم بالكفر عن طاعة الله ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١) ﴾ أى : هؤلاء الذين خسـروا أنفسهم لأنهم أدخلوها ناراً حامـية ، وذهبت عنهم الأنداد والأصنام فلم تغن عنهم شيئاً ، وبطل كذبهم وإفكهم على الله ، بادعائهم له شركاء .

﴿لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ (٢٢) ﴾[1] أى : حقاً إن هؤلاء القوم هم الأخـسرون ، لأنهم باعـوا منازلهم فى الجنان بمنازل أهل النار .

فلننتفع كذلك بهذا الدرس القرآنى . حتى لا نكون والعياذ بالله من هؤلاء الظالمين الذين افتروا على الله كذباً .. وحـسبنا تحذيراً لنا قول الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[2] .

وقد ورد كذلك فى السنة التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ :

---

(١) هود : ١٨ ـ ٢٢ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير.
(٢) الزمر : ٦٠ .

عن أبـى هريـرة رضى الله عنه عن رسـول الله ﷺ أنـه قـال : « من كذبَ عليَّ مُـتَعَمِّـداً فليتـبوَّأ مَقْـعَدَهُ من النار » رواه البـخارى ومسلم وغيرهما ، وهذا الحديث قد روى عن غير واحد من الصحابة فى الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر .

فلنجعل كل هذا التذكير والتحذير نُصْبَ أعيننا حتى لا نكذب على الله ورسوله الذى يُبَلِّغُ عنه .

والله الموفق للصواب .



(١٣) قَوْمُ هُودٍ عليهِ السَّلامُ

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ أى : وأرسلنا إلى قوم عادٍ أخاهم هوداً ، فقال : يا قوم اعبدوا الله وحده ، فليس لكم معبود يستحق العبادة غيره ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أى : ما أنتم فى إشراككم الأوثان مع الله ، إلا أهل فرية ، تختلقون الباطل على الله ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ أى : لا أسألكم على ما أدعوكم إليه جزاءً وثواباً ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ أى : ما ثوابى إلا على الذى خلقنى ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ أى : أنِّى لو كنتُ أبتغى غير النَّصيحَة لكم ، لالتمستُ بعضَ أعراضِ الدنيا ؟ ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ أى : استغفروا ربكم من الإشراك ، ثم توبوا إليه من سالف الذُّنوب ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ أى : يرسل عليكم المطر متتابعاً ، تحيا به بلادكم من القحط والجدب ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ أى : ويَزِدْكُم شِدَّةً فوق شِدَّتكم ، وقوةً مع قوتكم ﴿ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ أى : ولا تُدبروا عما أدعوكم إليه كافرين بالله ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ أى : ما أتيتنا ببيان وبرهان ، حتى نُقرَّ لك بالنبوة ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾ أى : ولسنا بتاركى آلهتنا من أجل قولك ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ أى : ولسنا

بمصدقين لك بما تَدَّعي من النبوة والرسالة ﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ أى : ما نقول إلا أصابك بعضُ آلهتنا - يَعنُون الأوثان - بجنون وخَبل فى عقلك ، بسبب ذَمِّكَ لها ونهيكَ عن عبادتها ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ ﴾ أى : قال لهم هود : إنى أُشْهِدُ الله على نفسى وأُشهدكم أيضاً أنِّى بَرِيٌّ مما تُشركُونَ من دونه من آلهتكم وأوثانكم ، التى تعبدونها من دون الله ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ (٥٥) ﴾ أى : فاحتالوا أنتم وآلهتكم فى إيذائى وضُرِّى ، ثم لا تؤخِّرون إن قدرتم ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ﴾ أى : إنى اعتمدت على الله ، مالكى ومالككُم ، من أن تُصيبُونى بسوء ﴿ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ أى : ما من شئ يدبُّ على الأرض إلا والله مالكُه ، وهو فى قبضته وسلطانه وهو ذليل خاضع ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾ أى : إن ربى على طريق الحق ، يُجازى المحسنَ بإحسانه والمسئ بإساءته ، ولا يظلم أحداً ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ﴾ أى : فإن أعرضتم عن دعوتى ، فقد أبلغتُكم رسالة ربى ، وما على الرسول إلا البلاغ ﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أى : يُهلكُكُم ثم يستبدل ربى قوماً غيركم ، يُوَحِّدُونه ويخلصون له العبادة ﴿ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ﴾ أى : ولا تضرون ربَّكُم إذا أهلككُم ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧) ﴾

أى : حافظ لجميع خلقه ، وهو الذى يحفظنى من أن تنالونى بسوء ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ أى : ولما جاء أمرنا بالعذاب ، نجينا هوداً والذين آمنوا بالله ، بفضل منَّا عليهم ونعمة ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ أى : ونجَّيناهُم من السَّخَط والعذاب النازل بعاد ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴾ أى : وهؤلاء عادٌ الذين أحْلَلْنَا بهم نقمتنَا وعذابنا ، جحدوا بحُجَج الله الدالة على وحدانيته ، وعصَوْا رُسُلَ الله ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ أى : واتّبعوا أمرَ كُلِّ مُستكْبر على الله ، مُشْرك مُعاند لربه ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى : وتبعهم سَخَطٌ من الله ولعنة فى الدنيا والآخرة ﴿ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾ أى : جَحَدوا وحدانيةَ الله .

﴿ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾(١) أى : أبعدهم الله من الخير .

فهؤلاء هم **عادٌ** قومُ هود عليه السلام الذين استكبروا .. ﴿وجَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ فكانَ جَزاؤُهم هو الطرد من رحمة الله فى الدنيا والآخرة .. وكان عقابُ الله تعالى لهم ، هو ما أشار الله تعالى إليه فى سورة الحاقة حيث يقول سبحانه :

---

(١) هود : ٥٠ ـ ٦٠ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أى : وأما عَادٌ قوم **هود** ، فأهلكهم الله بريحٍ شديدة فى الهُبوب والبرد ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ أى قد عتَتْ فجاوزت الحدَّ فى الشدّة والعصوف ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ أى : سخر تلك الرياح على عَادٍ سبع ليالٍ ، وثمانية أيامٍ مُتتابعة ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ ﴾ أى : فترى يا **محمد** قوم **عاد** فى تلك الليالى والأيام قد هلكوا ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ ﴾ أى: كأنهم أصولُ نخلٍ ، مُتآكلَة الجوف قد خوت ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ۝٨ ﴾(١) . أى : فهل ترى يا محمد لقوم هُودٍ من بقاء ؟

وهكذا إخوة الإسلام يكون جزاء المفْتَرِين الظالمين الذين لا بُدَّ وأن تتعظ بما حدث لهم . حتى لا نفعل كما فعلوا .. وحتى لا يَحدث لنا ما حدث لهم .. وهذا هو الهدف الأسمى من ذكر قصص القرآن كما يُشير إلى هذا رب العزة سبحانه وتعالى فى قوله لحبيبه **المصطفى** صلوات الله وسلامه عليه : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٠ ﴾(٢) الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم .. اللهم آمين .

---

(١) الحاقة : ٦ ـ ٨ (مختصر تفسير الطبرى) .
(٢) هود : ١٢٠ .

(١٤) فِرْعَوْنُ وأتباعُه

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) ﴾ أى : أرسلناه بأدلتنا وحُجَّـتنَا الظاهرة ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾ أى : إلـى أشراف جنده وأتباعـه ، فأطاعوا أمر فرعونَ وكذبوا موسى ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) ﴾ أى : وليس فى قـول فرعون ولا عمله رُشْدٌ ولا هُدى ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ أى : يقـود فرعون قومه فيمضى بهم إلى النار ، حتى يُدخلَهُم فـيها ويُصليهم سعيرها ﴿ وَبِئْسَ الْوِرْدُ (١) الْمَوْرُودُ ﴾ أى :وبئس الدخـول الذى يـدخلونه نار جهنم ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً ﴾ أى : وأتبـعهم الله فى هذه الدنيـا مع العذاب لعنته ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى : ويوم القيامة يُلْعَنُون لعنةً أخرى ، قال مجاهد : زيدوا لعنـة أخـرى فـتـلك لَعْنَتـان ﴿ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩) ﴾(٢) أى : بئس العون المعان ، لعنة الدنيا والآخرة ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ﴾ أى : هـذا القصص الـذى أنبأناك عنه يا محمـد ، من أخبار القرى المُهلكَة نقصُّه عليك ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾

---

(١) الورد : الدخول

(٢) الرِّفد : العون ، فقد أصابتـهم لعْنتان ، لعنة فى الدنيا ولعنة فى الآخرة ، رفدت إحداهما الأخرى .

أي : منها ـ مَن ـ بنيـانه عامر ، ومنها ـ من هو ـ خـراب دائر ، قال **قتادة** : منها قـائم يُرى مكانه ، ومنهـا حصيـد لا يُرى له أثر ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ أي : وما عـاقبناهم بغيـر استحـقاق للعـقـوبة ، فنكون قـد ظلمناهم ، ولكنهم ظلـموا أنفـسـهم بكفـرهم ومعصيتهم لله ، فأوجبوا لها العقوبة والعذاب ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ أي : فما دفـعت عنهم آلهتهم من عقاب الله وعذابـه شيئاً ﴿ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ أي : لمَّا جـاء قضـاؤه بعذابهم ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) ﴾ أي : وما زادوهم غير تخسير وتدمير ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ أي : وكمـا أخذت أهل تلك القرى بالعذاب ، فـكذلك أخذى أهل القُرى إذا أخذتهم بعقابى وهم ظلمة ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ أي : إن عقابه موجعٌ شديد الإيجاع ، وهذا تحـذير لهذه الأمة ، أن يسلُكُوا طـريقَ مَن قبلهُم من الأمم الفاجرة . فيَحلُّ بهم مَا حَلَّ بهم من العقوبات ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴾ أي : إن ما ذُكرَ لعبـرة وموعظة . لمن خاف عقاب الله ، وعـذابه فى الآخرة ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) ﴾(١) أي : وهذا اليوم ـ يوم القيامة ـ يوم حق ، يجمع له الناس للجزاء والثـواب والعقاب ، وهو يـوم تشهـده الخلائق كلهم ، لا يتخلف منهم أحد .

---

(١) هود: ٩٦ ـ ١٠٣(مختصر تفسير الطبرى) .

وهذا كذلك درس قرآنى ينبغى علينا نحن المؤمنين ـ بصفة خاصة ـ أن ننتفع به ، حتى لا نصاب بمثل هذا العذاب الذى حَلَّ بأهل القرى الظالمة .. فضلاً عن الذى حدث لفرعون وجنوده وأتباعه .. كما يشير الله تبارك وتعالى إلى هذا فى قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ (١) حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ (٢) قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ(٣) ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٤) ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ (٥) الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا (٦) ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٧) .

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الدرس القرآنى حجة لنا لا علينا .. آمين ..

---

(١) أى : البلاد .
(٢) أى : طائفة قليلة .
(٣) أى : كاملو السلاح مجمعون لأمرنا .
(٤) أى : حين أشرقت الشمس .
(٥) أى : الجبل العظيم .
(٦) أى : قربنا هنالك .
(٧) الشعراء : ٥٢ ـ ٦٨ .

(١٥) الذينَ يَنقُضُونَ عهْدَ اللهِ منْ بعْدِ مِيثاقِهِ ويقَّطعُونَ مَا أمرَ اللهُ بِهِ أنْ يُوصَلَ ويُفسِدُونَ فِي الأرْضِ

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ(١) (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢)(٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ (٣) وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ (٤) وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ (٥) أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ (٦) وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾(٧) :

---

(١) أى : أهل العقول .

(٢) أى : الذين يوفون بوصية الله ، ولا يخالفون العهد الذى عاهدوا الله عليه .

(٣) أى : يصلون الرحم فلا يقطعونها .

(٤) أى : طلباً لمرضاة الله .

(٥) أى : يدفعون إساءة مَن أساء بالإحسان إليهم .

(٦) أى : جنات إقامة يدخلونها هم ونساؤهم وأهلوهم وذرياتهم .

(٧) الرعد : ١٩ ـ ٢٤ .

ثم بعد ذلك يُحدثنا الله سبحانه وتعالى عن عكس هؤلاء ، فيقول : ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ أى : والذين ينقضون عهد الله ، من بعد ما عاهدوه على الطاعة ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ أى : ويقطعون الرحم التى أمرهم الله بوصلها ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ أى: بالعمل بمعاصى الله ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ﴾ أى : الطرد من رحمته ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) ﴾ أى : ولهم ما يسوءهم فى الآخرة .

فلننتفع بهذا التذكير القرآنى .. الذى يوقفنا الله تعالى من خلاله على مصير أولى الألباب الذين : ﴿ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ ، وعلى مصير الآخرين ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ فكان جزاؤهم الطرد من رحمة الله ، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) ﴾(١) .

فلنكن إن شاء الله تعالى من الصنف الأول ، لا من الصنف الثانى.. حتى نكون من أهل الجنة ، لا من أهل النار .

والله ولى التوفيق .

---

(١) الرعد : ٢٥ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

(١٦) لعنةُ إبليسَ .. ومَا ترتَّب عليهَا مِنْ إغواءِ لِمنِ اتبعَهُ مِنَ الغَاوِين ..

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ ﴾ أى : خلقنا آدَم من طين يابسٍ ، إذا نقرته سمعتَ له صلصلةً أى صوتاً ﴿ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ أىَ : من طينٍ مُتَغَيِّـرٍ إلى السَّوَاد ، قال ابن عباس : « مـسنون » مُنْتِنٍ ، وقال قتادة : قدْ تغـيَّر وأنتن ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ﴾ أى : وخلقـنا إبليس من قـبل الإنسان ﴿ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ أى : من لهـب النار وهي نار السموم التى تقتل ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ أى : اذكر حين قال ربك للملائكة ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ أي : إنى سأخلق إنساناً من طين متَغيِّر مُنْتِنٍ ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ أى : فإذا صَـوَّرْتُه وعدَّلْت صَـورته ، ونَفَخْتُ فـيه من روحى(١) ، فصار بشراً حَياً ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ أى : فاسجدوا له ، سجـود تحية وتكرمـة لا سجود عـبادة ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾(٢) أى : فسجدت الملائكة لآدم كلهم جميعاً ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ

---

(١) الإضافة (من روحى) للتشريف والتكريم ، مثل : ناقة الله ، وبيت الله .

(٢) قال فى هامش (مـختصر تفـسير الطبرى): قـوله : (أجمعون) توكـيد بعد توكيد ، وأما قوله : (إلا إبليسَ) فـإنه استثناء منقطع ، أى لكـن إبليس لم =

أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) ﴾ أى : إلا إبليس أبى أن يسجد - لآدم تكبراً وحسداً ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) ﴾ أى : ما منعك من أن تكون مع الساجدين ؟! ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) ﴾ أى : قال إبليس: لا يصح لى أن أسجد لبشر ، خلقته من طين يابس مُتغيِّر ، وأنا من نار والنار تأكل الطين ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) ﴾ أى : اخرج من السماء فإنك مشتوم ملعون .﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) ﴾ أى : وإن غضب الله عليك إلى يوم القيامة . ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) ﴾ أى : قال إبليس : رب فأخِّرنى إلى يوم تُبعث فيه الخلق من قبورهم ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) ﴾ أى : قال الله له : فإنك ممّن أُخِّر هلاكه ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) ﴾.أى : إلى يوم هلاك جميع الخلق(١) ، وذلك حين لا يبقى على الأرض ديار ﴿ قَالَ

= يسجد ، وليس إبليس من الملائكة ، لأن الملائكة لا يعصون أمر الله ، وإنما توجّه له الخطاب بأمر خاص بالسجود لآدم ، والدليل قوله تعالى فى تقريعه وتوبيخه ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ ؟ ... والأدلة قاطعة بهذا فى أول سورة البقرة والصحيح المتفق عليه هو أنه من الجن وليس من الملائكة .

(١) قال فى الهامش : طلب اللعين أن يؤخره الله ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ حتى يتخلص من الموت فأجابه الله ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ أي الذى يموت فيه الخلائق كلهم ، فظهر من هذا أن الموت سيشمل إبليس كما يشمل سائر الخلق ، بعد أن تنتهى مهمته فى الدنيا .

﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ أى : قال إبليس : رب بإغوائك لى لأحَسِّنَنَّ لهم معاصيك ، ولأحَبِّبَنَّها لهم فى الأرض ﴿ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ أى : ولأُضلَّنَّهُم جميعهم عن سبيل الرَّشَاد ﴿ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ أى : إلا مَن عصمته بتوفيقك فهديته ، فإنه لا سلطان لى عليه ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ أى: قال الله : هذا طريق إلىَّ مستقيم ، ومرجعكم إلىَّ فأجازيكُم بأعمالكم ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ أى : إن عبادى ليس لك عليهم حجة(١) ﴿ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أى : إلا مَن اتبعك فى الضلالة ممَّنْ غوى وهلكَ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أى : وإن جهنم موعد جميع من اتبعك ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ أى : لها سبعة أطبَاق ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾(٢) أى : لكل طبقة من أتباع إبليس نصيب مقسوم ، قال على(٣) : إن أبواب جَهنَّم هكذا أطباق بعضها فوق بعض ، فيمتلئ **الأول** ، ثم **الثانى** ، ثم **الثالث**، حتى تمتلئ كلها ، وقال **ابن جُريج** : أولها جهنم، ثم لَظَى ، ثم الحُطَمة ، ثم السَّعير ، ثم سَقَر ، ثم الجحيم ، ثم الهَاوية .. والعياذ بالله منها ومن جميع أبوابها .

---

(١) وقد فسر الطبرى السلطان بالحجة ، وهو صحيح من حيث اللغة ، وفسره غيره بأنه لا قدرة ولا طاقة له على إغوائهم .. وهذا هو الأظهر (هامش) .

(٢) الحجر : ٢٦ ـ ٤٤ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

(٣) أى : ابن أبى طالب كرم الله وجهه .

هذا ، وإذا كان الله تبـارك وتعالى قد أشـار ، فى قوله :﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) ﴾ : إلى ما تَرتَّبَ على إغواء هذا اللعين .. من إغوائه لعبـاد الله بكل ما أوتيَ هو وقبيله من كَيد وخداع إلا عباد الله المُخلَصين .. الذين لا سلطان له عليهم .

فـقد أشـار الله تبارك وتعـالى كذلك فى سـورة الأعراف إلى مـا ترتب أيضـاً على هذا الإغواء ، فـقال : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)﴾(١) .

ولهذا فـإن الله تبارك وتعالى ، وبعـد أن يخبـرنا ـ بعد ذلك ـ بما فعله اللعين بأبوينْا حَتَّى كان سبباً فى طردهما معه من الجنة ..

كمـا يشير إلى هذا قول الله تبـارك وتعالى : ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) ﴾(٢) .

ثم بعد ذلك يقـول سبحانه وتعـالى مُحذِّراً بنى آدم من كيـد هذا الشيطان الأكبر وجنوده الملاعين :

---

(١) الأعراف : ١٦ ، ١٧ . مـع مـلاحظـة أن اللعـين لم يقـل : من فـوقـهـم.. لأنه لا يستطيع أن يمنع عنا رحمة الله .. (والحمد لله) .

(٢) الأعراف : ٢٤ ـ ٢٦ .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾(١) .

فلننتفع بهذا التذكير الذى أرجو أن يكون سَبباً فى أن نكون من الذين يؤمنون لا من الذين لا يؤمنون .. حتى لا يكون للشيطان ، أو للشياطين(٢) ولاية علينا .. والله المستعان ، وهو سبحانه ولى التوفيق .

❁ ❁ ❁

---

(١) الأعراف : ٢٧ .

(٢) شياطين الإنس والجن ... الذين نسأل الله تعالى أن يحفظنا منهم ، ويعيننا عليهم .. اللهم آمين .

(١٧) الشجرةُ المَلْعونةُ فى القُرْآنِ

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ أى : واذكر يا محمد حين قلنا لك: إنا سنمنعك من الناس فلا تَتَهـيَّب منهم فى تبليغ رسالتنا ، فهم فى قبضَتِنَا ومشيئتنا(١) ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أى : وما جـعلنا ما شاهـدته ليلة الإسراء(٢) من الآيات والعـبَر ، إلا ابتلاءً واختـباراً للناس ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ أى : وكـذلك شجـرة الزقوم جعلناها فـتنة للناس ، أما فتنتـهم فى الرؤيا فارتداد من ارتد عن الإسلام، واستهزاء المشـركين حين أخبرهم عما رآه فى إسرائه ، وأمـا فتنتهم في الشجـرة فقولهم : كيف تنبت شـجرة فى النار ، والنار تأكل الشـجـر(٣) ؟ ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ⁽٦٠⁾ ﴾(٤) أى : ونُخـوِّف المشركين بالعـقـوبات ، فمـا يزيدهم

---

(١) هذا وعـد من الله بنصـرة رسـوله على المشـركين ، وعـصـمـة له من شـرهم وكيدهم ، كقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

(٢) أخرج البـخارى عن ابن عباس قـال : هى رؤيا عين أريها رسـول الله ﷺ ليلة أسرى به .

(٣) هذا إشارة إلى مـا قاله أبو جهل اللعـين : يزعم صاحبكم أن فى النار شـجرة ، والنار تأكل الشجـر ، وكان يدعو بالتمر والزبد ، ويأكل هـذا بهذا ويقول : هذا الذى أوعدكم به محمد فتزقموا .

(٤) الإسْراء : ٦٠ (مختصر تفسير الطبرى) .

تخويفنا إلا تمادياً وغَياً فى كفرهم .

وقد أشار الله تبارك وتعالى فى سورة الصافات إلى فتنة (شجرة الزقوم) ، فقال : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) ﴾ أى : أهذا الذى أعطيت هؤلاء المؤمنين ـ فى الجنة ـ من الفضل خير ، أو ما أعددتُ لأهل النار من الزقوم ؟! ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) ﴾ أى : جعلنا شجرة الزقوم ابتلاء للمشركين ، الذين قالوا : كيف ينبت الشجر في النار ، والنار تحرق الشجر ؟ ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) ﴾ أى : إنها شجرة نابتة فى أصل نار جهنم ، كأن طلعها فى قبحه وبشاعته رءوس الشياطين فى قبحها ﴿ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ﴾ أى : فإن هؤلاء المشركين لآكلون من شجرة الزقوم ، فمالئون من زقومها بطونهم ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ﴾ أى : ثم إن لهم لخلطاً من الماء الساخن ، الذى انتهى حَرُّه ، يُخلط به طعامهم ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) ﴾(١) .

أى : إن مصيرهم لإلى نار جهنم .

وقال فى سورة الدخان : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ

---

(١) من الآية ٦٢ ـ ٦٨ .

الأَثِيمِ (٤٤) ﴾ أى : إن شَجرة الزقوم التى تنبت فى أصل الجحيم ، طعام الكافر الفاجر ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) ﴾ أى : كالرصاص المذاب فى النار ، الذى تناهت حرارته ، يغلى ذلك فى بطون هؤلاء الأشقياء ، كغلى الماء المسَخَّن المحموم من شدة حَرِّه ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ﴾ أى : خذوا هذا الآثم ، فادفعوه دفعاً وسوقوه إلى وسط النار ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ﴾ أى : ثم صُبُّوا على رأس هذا الأثيم الماء المُسَخَّن ، الذى يُصهر به ما فى بطونهم والجلود ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) ﴾ أى : ويقال لهذا الشقى[1] : ذُق هذا العذاب الذى تُعَذَّبُ به اليوم ، إنك أنت العزيز فى قومك ، الكريم عليهم ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠) ﴾[2] أى: إن هذا العذاب الذى تُعذَّبون به هو العذاب الذى كنتم تشكون فيه فى الدنيا ، فقد لقيتموه فذوقوه .

وقال تعالى فى سورة الواقعة :

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) ﴾ أى : ثم إنكم أيها الضَّالُّون

---

(١) وقد نزلت هذه الآية فى (أبى جهل) الذي كان يقول : إن محمداً يتوعدنى ، ووالله إنى لأعز مَن مشى بين جبليها وإنما يقال له فى الآخرة : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ على سبيل السخرية والاستهزاء ، فالأسلوب إذاً أُسلوب سخرية وتهكم (هامش مختصر تفسير الطبرى) .

(٢) الدخان : ٤٣ ـ ٥٠ .

عن طريق الهُدى ، المكذِّبون بوعـيد الله وَوَعْده ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ أى : ستـأكلون فى جَهنَّم من شجـر من زَقُّومٍ ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ أى : فمالئون بطونهم من شجر الزقُّوم ﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ ﴾ . أى : فشاربون على الشـجر ، ماءً حميـماً قد انتهى غلْيُه وَحرُّهُ ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ أى : فشاربون شُربَ الإبل العطـاش ، المصـابة بداء لا تَروى مـن المـاء ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾(١) أى : هذا هو نُّزلُهُم(٢) الذى يُنزلُهمْ ربُّهم ، يوم يُدينُ الله عباده .

وعن ابن عبـاس رضى الله عنهمـا أن النبى ﷺ قـال : « **لو أن قطرةً من الزَّقُّوم قَطَرتْ فـى دار الدنيا ، لأفسـدت على أهل الدنيا معـايشَهم ، فكيف بمن يكون طعـامه ؟** » أخرجه أحـمد والنسائى وابن ماجه والحاكم والترمذى وقال : حسن صحيح .

فـعلى الإخوة المسلمين أن يلاحظـوا كل هذا حتى ينتـفعـوا به .. وحتى يكونوا إن شاء الله تعالى من الناجين من عذاب النار .. وحتى لا يكون طعـامهم (والعـياذ بالله) من شـجرة الزقـوم ... نسأل الله السلامة فى الدنيا والآخرة ... اللهم آمين .

---

(١) سورة الواقعة : ٥١ ـ ٥٦ (مختصر تفسير الطبرى) مع الهامش .

(٢) النُّزُل : الضيافـة التى تقدم للضيف أول قدومه ، وتسمـية (الزقوم) نُزلاً إنما هو للتهكم والسخرية ، لأن النُّزل للكرامة ، وهذا العذاب للإهانة .

(١٨) الذِى يرْمى زَوجتَهُ بالفَاحِشة كَذِباً

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ ﴾ أى : والرجال الذين يرمون أزواجهم بالفاحشة فيقذفونهنَّ بالزنا ، ولم يكن لهم شهداءُ أو أحد يشهد لهم بصحة ذلك ﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) ﴾ أى : فيحلف أحدُهم أربع أيمان بالله إنه لمن الصادقين فيما رمى زوجته به ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) ﴾ أى : والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه حالَّةٌ ، إن كان فيما رماها به من أهل الكذب والافتراء ﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ ﴾ أي : ويدفع عنها الحدَّ ﴿ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) ﴾ أى : أن تحلف بالله أربع أيْمان ، أن زوجها الذى رماها بالفاحشة ، لمن الكاذبين فيما رماها به ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) ﴾ أى : والشهادة الخامسة أن غضب الله عليها إن كان زوجها صادقاً فيما رماها به من الزنا ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠) ﴾(١) . أى : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم ، وأنه عوّاد على خلقه بلطفه ، حكيم

---

(١) النور : الآية ٦ ـ ١٠ .

فى تدبيـره إياهم ، لعاجلكم بالعـقوبة على مـعاصيكـم وفضـح أهل الذنوب .

وقد جاء فى **القرطبى** ، فى سبب نزولهـا : ما رواه أبو داود عن **ابن عباس** أن **هلال بن أُمية** قذف امـرأته عند النبى ﷺ بشريك بن سَحماء ، فقال النبى ﷺ « **البينة أو حَدٌّ فى ظهرك** » قال : يا رسول الله ، إذا رأى أحدنا رجلاً على امرأته يلتمس البينة ؟ فجعل النبى ﷺ يقول : « **البينة وإلا حَدٌّ فى ظهرك** » فقال هلال : والذى بعثك بالحق إنى لصـادق ، وليُنْزلنَّ الله فى أمـرى مـا يبـرئ ظهـرى من الحـد ، فنزلت : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ ﴾فقرأ حتى بلغ : ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(١) . الحـديث بكماله . وقـيل : لما نزلت الآية المتـقـدمة فى الذين يرمـون المحـصنات(٢) ، وتنـاول ظاهـرها الأزواج وغيرهم . قال **سعد بن مُعاذ** : يا رسـول الله ، إن وجـدت مع امرأتى رجـلاً أمهله حـتى آتى بأربعة ! والله لأضربنـه بالسيف غيـر مُصفح . فقـال رسول الله ﷺ « **أتعجبون من غَـيْرةِ سعدٍ لأنا أَغيرُ منه والله أغْيَرُ منى** » وفى ألفاظ **سعد** روايات مختلفة ، هذا نحو معناها . ثم جـاء من بعد ذلك **هلال بن أمية الواقفى** فرمى زوجته

---

(١) حتى نهاية الآية رقم ٩ .

(٢) وهى الآية ٤ من سورة النور .

بشريك بن سَحْماء البلَوِى على ما ذكرنا ، وعزم النبى ﷺ على ضربه حد القذف ، فنزلت هذه الآية عند ذلك ، فجمعهما رسول الله ﷺ فى المسجد وتلاعنا ، فتلكَّأت المرأة عند الخامسة لمَّا وُعظَت وقيل إنها مُوجبَةٌ(١) ، ثم قالت : لا أفضحُ قومى سائر اليوم(٢) ، فالتعنت ، وَفَرَّقَ رسول الله ﷺ بينهما ، وولدت غلاماً كأنه جمل أورق(٣) ـ على النعت المكروه ـ ثم كان الغلام بعد ذلك أميراً بمصر ، وهو لا يعرف لنفسه أباً . وجاء أيضاً عُوَيْمر العجلانيُّ فرمى امرأته ولاعن . والمشهور أن نازلة هلال كانت قبلُ وأنها سبب الآية . وفى المسألة الثالثة والعشرين ذكر القرطبى .

كيفية اللِّعَان:

فقال : أن يقول الحاكم للملاعن : قل أشهد بالله لرأيتُها تزنى ورأيت فرج الزانى فى فرجها كالمِرْوَد فى المكحلة وما وطئتُها بعد رؤيتى . وإن شئت قلت : لقد زنت وما وطئتها بعد زناها يُرَدِّدُ ما شاء من هذين اللفظين أربعَ مرات ، فإن نكَل عن هذه الأيْمانِ أو عن شئ منها حُدَّ .

---

(١) أى : الشهادة الخامسة موجبة للعذاب الأليم إن كانت كاذبة .

(٢) أريد باليوم الجنس ، أى جميع الأيام .

(٣) الأورق من الإبل : الذى فى لونه بياض إلى سواد .

وإذا نفى حملاً قال : أشــهد بالله لقد استبرأتُهَا ومَا وطِئـتُها بعد ، وما هذا الحمل مني ، ويُشيـر إليه ، فيحلف بذلك **أربع مرات** ويقول فى كل منها : وإنى لمن الصادقين فى قـولى هذا عليها . ثم يقول فى الخامـسة : « عَلَىَّ لعنة الله إن كنتُ من الكاذبين » وإن شــاء قال : إن كنتُ كاذباً فيـما ذكرت عنها . فإذا قال ذلك ســقط عنه الحد وانتفى عنه الولد . فإذا فرغ الرجل من التعانه قامت المرأة بعده فحلفت بالله **أربعة أيمان** تقول فيهــا : أشـهد بالله إنه لكاذب ، أو إنه لمن الكاذبين فيما ادعاه عَلَىَّ وذكر عنى . وإن كــانت حاملاً قالت : وإن حملى هذا منه . ثم تقول فى الخامسة : وَعَلَىَّ غَضَبُ الله إن كان صـادقاً ، أو إن كان من الصــادقين فى قوله ذلك. وَمَـن أوجب اللعان بالقـذف يقول فى كل شـهادة من الأربع : أشـهد بالله إننى لمن الصادقين فيما رَمَيْتُ به فلانة من الزنى . ويقول فى الخـامسة: عَلَىَّ لعنة الله إن كنتُ كاذباً فـيمـا رميتُ به من الزنى وتقـول هى: أشــهد بالله إنه لكاذب فـيمـا رمانى به من الزنى . وتقـول فى الخامسة : عَلَىَّ غـضب الله إن كان صـادقاً فيما رمانى به من الزنى ...

كما قال **القرطبى** ـ كذلك ـ فى المسـألة السـابعة والعشـرين : ذهب الجمهور من العلماء أن المتَلاعنَيْن لا يتناكَحَان أبداً ، فإن أكذب نفسه جُلد الحد ولحق به الولد ، ولم ترجع إليه أبداً . وعلى هذا السنة التى لا شك فيها ولا اختلاف ..

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا حتى يحذرا الوقوع فى هذا المحظور الذى يُوَصِّل غالباً إلى تلك الملاعنة التى نسأل الله تعالى أن يعافينا منها .. وأن يجعلنا جميعاً مسلمين ومسلمات من الطاهرين والطاهرات ، والصادقين والصادقات.

والله تعالى هو الموفق للصواب .



(١٩) الذينَ يرْمُونَ المُحْصنَات الغَافِلاتِ المؤْمِناتِ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أى : إن الذين يتهمون بالزنى العفيفات ، الغافلات عن الفواحش ، المؤمنات بالله ورسوله ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ أى : أُبعدُوا من رحمة الله ، فى الدنيا ويوم القيامة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(١) أى : ولهم فى الآخرة عذاب جهنم الشديد ، إلا أن يتوبوا قبل وفاتهم .

وهذا ترهيب شديد ينبغى على الرجال والنساء أن يلاحظوه .. حتى لا يرموا المحصنات الغافلات المؤمنات بالزنى ظلماً وعدواناً وهُنَّ منه براء .

وحسب الذين يقعون فى هذا الذنب الكبير أن يعلموا أو يَعلَمْنَ أنه من الكبائر المشدَّد عليها فى القرآن والسنة :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **اجتنبوا السَّبع الموبقات** »(٢) قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : « **الشرك بالله ، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ،**

---

(١) النور : الآية ٢٣ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

(٢) أى : المهلكات .

وأكل مال اليتيم ، والتولّى(١) يومَ الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ ، قال : « من ذكر امرأ بشئ ليس فيه لتعييبه به حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاد(٢) ما قال فيه » رواه الطبرانى بسند جيد .

بل وحسبنا جميعاً زجراً لنا أن نفهم المراد من قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٣)﴾(٤) .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن لا يجعلنا من هؤلاء ـ الخاسرين ـ الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات... اللهم آمين .



---

(١) أى : الفرار عند لقاء العدو .

(٢) أى : المخلص ولن يأتى .

(٣) هذا بالإضافة إلى حد القذف الذى يجب أن يُنفذ فيه .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (النور ٤) .

(٤) الأحزاب :٥٨ .

(٢٠) فِرْعَوْنُ وجُنُودُه ..
بعدَ أنْ استكبروا فِي الأرْض بغيـرِ الحَـقِّ
فَـأهلكهُم اللهُ وجعلهُم عِبرةً للمعْتبِرِين

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ ﴾ أى : قـال لهم موسى : ربى أعلم بالمحق منّا منَ المُبطل ، وبمن جاء بالرشاد والبيان من عـند الله ! ﴿ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ أى : ومن الذى تـكون له العقبى المحمودة فى الدار الآخرة ؟ ﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ أى : إنه لا ينجح الكافرون ولا يـصلون إلى مرادهـم ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ أى : وقال فرعونُ لأشراف قومه : لا أعلم لكم من إله غيرى فتعبدوه .

﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ أى : فاعمل لى يا هامان آجُراً ، وابن لى بناء شامخاً ، لأنظر إلى معبود موسى الذى يعبده(1) ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ أى : وإنى لأظنه فيـما يقـول كاذباً ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ أى : واستكبر فرعون وجنوده فى أرض مصر ، عن تصديق

---

(١) يقول فرعون ذلك على سـبيل التهكم ، و (هامان) هو وزير فرعون الذى كان يعينه على فجوره وضلاله .

موسى ، والإقرار بالعبودية لله ، تَعَدِّياً وعُتُوّاً على ربهم ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ (٣٩) ﴾ أى : وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون ، وأنه لا ثواب ولا عقاب ، فركبوا أهواءهم ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ أى : فجمعنا فرعون وجنوده من القبط(١) ، فألقيناهم فى البحر وأغرقناهم جميعاً ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ أى : فانظر يا محمد بعين قلبك ، كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ؟ ألم نُهلكهم فنورث ديارهم المؤمنين بعد أن كانوا مُستضعفين ؟ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ (٤٠) ﴾ أى : وجعلنا فرعون وقومه ، أئمة يأتم بهم أهل الكفر ؟ ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ (٤١) ﴾ أى : ويوم القيامة لا ينصرهم من الله ناصر ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ أى : وألزمناهم في هذه الدنيا خزياً وغضباً منَّا عليهم ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)﴾(٢) أى : من الذين قَبَّحهم الله ، فأهلكهم وجعلهم عبرةً للمعتبرين .

فلنعتبر نحن كذلك بهذا الدرس القرآنى الذى يُرينا وبوضوح جزاء الظالمين لأنفسهم ولغيرهم والمستكبرين فى الأرض بغير الحق وكيف أغرقهم الله تبارك وتعالى فى اليمِّ وجعلهم عبرة لغيرهم من

---

(١) القِبْط ، بوزن السِّبْط : أهل مصر وَهُم بُنْكُهَا أى أصلها (مختار الصحاح) .
(٢) القصص : ٣٧ ـ ٤٢ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

المعتبرين إلى يوم الدين .

وذلك حتى لا نتشبه بهم .. ونكون على عكس هذا من الموحدين المتواضعين لله رب العالمين الذى بيده ملكوت كل شئ .. والذى إذا أراد شيئاً قال له كُن فيكون .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل الدروس القرآنية حُجة لنا لا علينا .. اللهم آمين .



(٢١) الذين يُؤذُونَ الله ورسُولهُ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أى : يؤذون ربهم بمعصيتهم له ، وركوبهم مَا حَرَّم عليهم ، ويطعنون على رسوله ﷺ فيما يفعل ، ومن ذلك زواجه بصفية رضى الله عنها(١) ﴿ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ أى : أبعدهم الله من رحمته فى الدارين ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ أى : وأعدَّ لهم فى الآخرة ، عذاباً يُهينُهم بالخلود فيه ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾ أى : والذين يعيبون المؤمنين والمؤمنات طلباً لشينهم ، بغير ما عملوا ﴿ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾(٢) أى : فقد احتملوا زوراً وكذباً ، وفرية شنيعة .

فحذار أن نكون من هؤلاء المشار إليهم فى هاتين الآيتين حتى لا نكون ـ والعياذ بالله ـ من الملعونين مثلهم فى الدنيا والآخرة وحتى لا نكون كذلك من الذين ﴿ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ بهذا المعنى الذى وقفنا عليه .. والذى نسأل الله تعالى السلامة منه ، اللهم آمين .

---

(١) وكان زوجها قد قتل عنها يوم خيبر فسباها النبى ﷺ يومئذ واصطفاها لنفسه فأسلمت وأعتقها وجعل عتقها صداقها .

(٢) الأحزاب : الآية ٥٧ ، ٥٨ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

(٢٢) المُنافِقُونَ والذِين فِى قُلُوبِهِم مرضٌ والمُرجِفُون

﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أى : لئن لم ينته أهل النفاق ، الذين يُبطنون الكفر ، ويُظهرون الإيمانَ ، والذين فى قلوبهم ريبة من شهوة الزنا ، وحُبٍّ الفجور ﴿ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ أى : وأهل الإرجاف(١) فى المدينة بالكذب والباطل ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً ۞٦٠﴾ أى: لنُسلِّطنَّك عليهم ، ثُم لننفينَّهم عن المدينة فلا يسكنون معك فيها إلا قليلاً من الزمن ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ۞٦١﴾ أى : مطرودين منفيين من رحمة ربهم ، حيثما لقوا من الأرض ، أُخذوا وَقُتِّلُوا لكفرهم بالله تقتيلاً ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ﴾ أى: سنة الله فى الذين مضوا قبل هؤلاء المنافقين ، من أمثالهم أن يقتلهم ويلعنهم ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ۞٦٢﴾(٢) أى : ولن تجد يا محمد لسنة الله التى سنَّها فى خلقه تغييراً .

فلنحذر جميعاً كمؤمنين ـ بصفة خاصة ـ أن نكون من هؤلاء

---

(١) المرجفون : جمع مرجف وهو الذى يشيع الكذب والباطل ، وينشر الرعب والفزع فى قلوب الناس .

(٢) الأحزاب : ٦٠ ـ ٦٢ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

المنافقين ، أو الذين فى قلوبهم مرض ، أو المرجفين ... حتى لا نتعرض لمثل هذا المشار إليه فى الآية الثانية ، من اللعنة والتقتيل ولنكن على عكس هذا من أهل الصلاح والتقوى الذين لا يفعلون غير ما يُرضى الله ورسوله ... وحسبنا إن فعلنا هذا - إن شاء الله - أننا سنكون من خير البرية المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾(١) .

والله الموفق للصواب .



(١) سورة البينة : الآية ٧ . وخير البرية ، أى : خير خلق الله .

(٢٣) الذينَ أطاعُوا سَادَتَهُمْ وكُبرَاءَهُم فأضلُّوهم السَّبيل

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً (٦٤) ﴾ أى : إن الله أبعد الكافرينَ من كُلِّ خير ، وأقصاهم عنه ، وأعدَّ لهم فى الآخرة ناراً تَتَّقدُ ليُصليَهُم إيَّاهَا ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ أى : ماكثين فى السعير أبداً ، إلى نهاية ﴿لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً (٦٥) ﴾ أى : لا يجدون ولياً يتولاَّهُم فَيَسْتَنْقذُهم من السَّعير ، ولا نصيراً ينصرهم فَيُنَجِّيهم من عقاب الله ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ أى : يوم تتقلَّبُ وجوهُهُم فى النار حَالاً بعد حال(١) ﴿ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ (٦٦) ﴾ أى : يقولون وهم فى النار : ياليتنا أطعنا الله فى الدنيا ، وأطعنا رسوله ، فكُنَّا مع أهل الجنة فى الجنة ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) ﴾ أى : وقال الكافرون أيضاً : ربنا إننا أطعنَا أئمتَنَا فى الضلالة ، وكُبراءنا فى الشِّرك ، فصرفونا عن طريق الهُدى ﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ أى : يا ربنا عذِّبهم

---

(١) يريد أن وجوههم تتقلب فى النار من جهة إلى جهة ، كاللحم الذى يُشوى بالنار (هامش مختصر تفسير الطبرى) .

مِثْلَيْ عذابِنَا الذى تُعذبنَا به ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾(١) أى : واخزهِمْ خِزْيًا كَبيراً .

فليكن هذا الدرس القرآنى موعظة لنا حتى لا نكون كهؤلاء الحمقى الذين أطاعوا سادتهم وكُبَراءهم طاعة عمياء .. فأضلوهم السبيل .. وكَانوا بسبب هذا من أهل النار .. التى تُقلَّب وجوههم فيها والعياذ بالله ـ ولنكن على عكس هذا من الذين يُطيعون الله ورسوله .. حتى نكون إن شاء الله تعالى ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾(٢)

والله الموفق للصواب ، والهادى إلى سواء السبيل .



(١) الأحزاب : ٦٤ ـ ٦٨ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .
(٢) النساء : من الآية ٦٩ (وأول الآية) : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ ... ﴾ الآية .

(٢٤) الذينَ أفسَدُوا فى الأرْضِ وَقَطَّعُوا أرحَامهُمْ

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أى : فلعلَّكم أيها القوم إن أدبرتُم عن محمد ﷺ وعما جاءكم به ﴿ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ﴾ أى : أن تعصوا الله فى الأرض ، فتكفروا به ، وتسفكوا الدماءَ ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ أى : وتعودوا لمَا كنتُم عليه فى جاهليتكم ، من التَّشتُّت ، والتفرق ، بعد ما جمعكم الله بالإسلام ، وألَّف بين قلوبكم !! ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ أى : هؤلاء المفسدون الذين طردهم الله من رحمته ﴿ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ أى : فسلَبهُم فَهْمَ ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله ، وسلبهم عقولهم فلا يتَبَينُونَ حُجج الله ، ولا يتذكَّرون عِبَره وأدلَّته ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ أى : أفلا يتدبَّر المنافقون مواعظ الله فى آى القرآن ، ويتفكرون فى حُجَجه ، فيعلموا خطأ ما هم عليه مقيمونَ ؟! ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾(١) أى : أم أقفل الله على قلوبهم ، فلا يعقلون المواعظ والعبر .

فليكن هذا التذكير القرآني موعظة لنا حتى لا نكون كهؤلاء

---

(١) سورة محمد : ٢٢ ـ ٢٤ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

المنافقين المفسدين فى الأرض .. والذين قطَّعوا أرحامهم .. فنكون كذلك ـ والعياذ بالله ـ من **الملعونين** مثلهم بهذا المعنى الذى وقفنا عليه .. وحسبنا إذا أردنا أن نكون من **المعافين** من هذا .. أن نكون على صلةٍ **بالقرآن الكريم** الذى ينبغى علينا أن نتدبر معانيه ، وأن نقف علَى المراد من تلك الآيات **القرآنية** التى ينبغى أن نعيش معها بكل جوارحنا .. وأن نعمل مع ذلك وبعد ذلك على أن تكون تلك **الآيات القرآنية** حُجَّةً لنا لا علينا .. والله ولى التوفيق .



(٢٥) الظَّانُّون باللهِ ظَنَّ السَّوْء .. منَ المنافقينَ والمنَافقاتِ ، والمشْرِكينَ والمشْركَاتِ

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى : أنزل الله السكون والطمأنينة فى قلوب المؤمنين إلى الحق الذى بعثك الله به **يا محمد** ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ أى : ليزدادوا بتصديقهم - بما جَدَّد الله من الفرائض - إيماناً مع إيمانهم ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أى: ولله جنود السموات والأرض أنصارٌ ، ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ④ ﴾ أى : ولم يزل الله عالماً بخلقه ، حكيماً فى تدبيره ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ أى : ليشكر المؤمنون رَبَّهُم على إنعامه عليهم ، فيُدخلَهُم بذلك بساتين تجرى من تحت غُرفها الأنهار ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى : ماكثين فيها إلى غير نهاية ﴿ وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ أى : وليُكفر عنهم سئ أعمالهم ، بالحسنات التى يعملونها ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ⑤ ﴾ أى : وكان ما وعدهم الله به - بإدخالهم الجنة - ظَفَراً عظيماً بما كانوا يأملون ، ونجاةً مما كانوا يحذرون ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ﴾ أى : وليعذب المنافقين والمنافقات والمشركين كذلك والمشركات ، بفتح الله لك **يا محمد** ما

فتح ، ونصرك على مشركى قريش ، فيكبتهم ويُخَيِّبُ رجاءهم ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ أى : الظانين بالله الظَّنَّ السَّيِّءَ ، بأن الله لن ينصر رسوله ، ولن يُظهر كلمته ، فيجعلها العُليا على كلمة الكافرين ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ أى : على المنافقين والمشركين تدور دائرة العذاب ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أى : ونالهم الله بغضب منه ﴿وَلَعَنَهُمْ ﴾ أى : وأبعدهم فأقصاهم من رحمته ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ﴾ أى : وأعدَّ الله لهم نار جَهَنَّم ، يصلونها يوم القيامة ﴿ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾[1] أى: وساءت جهنم منزلاً ، يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات .

فلنكن إخوة الإسلام من الصنف الأول ، أى من الذين أنزل الله السكينة فى قلوبهم فازدادوا إيماناً مع إيمانهم فكانوا لهذا أهلاً لأن يُدخلهم الله جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وكفَّر عنهم سيئاتهم .

وحذار أن نكون من الصنف الثانى .. أى : من المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظَّانِّين بالله ظَنَّ السَّوء .. الذين ﴿ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ ، والعياذ بالله منهم ومن صفاتهم التى استحقوا بها غضب الله ولعنته .

والله الموفق للصواب

---

(١) الفتح : الآية ٤ ـ ٦ (مختصر تفسير الطبرى) بتصرف يسير .

والملعونون والملعونات
في القرآن أيضًا

هم الذين جحدوا بالقرآن وبرسالة محمد ﷺ ، كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ (١) وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ(٢) وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٣) .

وهُم المنافقون الذين يُبدون بأفواههم خلاف ما في قلوبهم ، كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٤) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا (٥) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٦)﴾(٧) .

---

(١) أى : طبع الله على قلوبهم وأسماعهم ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر منها مخلص .

(٢) أى : غطاء فلا يبصرون سبيل الهدى .

(٣) البقرة : ٦ ـ ٧ .

(٤) أى : بمصدقين .

(٥) أى : شكًا وحَيرة ...

(٦) أى : بسبب كذبهم بدعواهم الإيمان ... والمراد بهم فى الآية أهل النفاق من أحبار اليهود وغيرهم من العرب ، ممن أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر .

(٧) البقرة : ٨ ـ ١٠ .

وهُم الذين يَتَّـخِذُون من دون الله أنداداً يُحِـبونـهم كَـحُبِّ الله ..
كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا (١)يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ(٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾(٣) .

وهُمُ الذين يَكْتُمُـــونَ ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ(٤) وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً(٥) أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ(٦) وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ (٧) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ(٨) وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ (٩) ﴾(١٠) .

---

(١) أى : من يجعل لله شركاء وعدلاء .
(٢) أى : كحب المؤمنين لله .
(٣) البقرة : ١٦٥ .
(٤) وهم أحبار اليهود الذين كتموا الناس أمر محمد ﷺ ونبوته وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة .
(٥) أى : اليسير من عرض الدنيا .
(٦) أى : ما يأكلون فى بطونهم إلا ما يوردهم النار .
(٧) أى : ولا يطهرهم من دنس الذنوب والكفر .
(٨) أى : أخذوا الضلالة وتركوا الهُدى .
(٩) أى : فما أجرأهم على عذاب النار !؟ وهو تعجب من حالهم .
(١٠) البقرة : ١٧٤ ، ١٧٥ .

وهُم الذين يُفسـدون فى الأرض ويُهلكُون الحرثَ والنسلَ كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ(١) فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ (٢) وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) (٣) وَإِذَا تَوَلَّىٰ (٤) سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا (٥) وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ (٦) وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) (٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ (٨) فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ(٩) وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)(١٠) ﴾(١١) .

وَهُمُ الذين يُبْطِلُونَ صدقاتهم بالمنِّ والأذى .

كمـا يشيـر إلى هذا قول الله تبـارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

---

(١) أى : ومن الناس فريق يعجبك ظاهر قوله وعلانيته .

(٢) أى : ويستشهد الله على ما فى قلبه بأنه مُحق فى قوله .

(٣) أى : وهو شديد الخصومة ، يجادل بالباطل والزور .. وهذه صفة المنافقين ..

(٤) أى : إذا أدبر هذا المنافق منصرفاً عنك .

(٥) أى : عمل فى الأرض بما حـرم الله من قطع الطريق ، وإفسـاد السبيل ليـخيف عباد الله .

(٦) أى : ويهلك الزرع وقتل ما لا يحل من الحيوان والدواب .

(٧) أى : لا يحب المعاصى وقطع الطريق وإخافة السبيل .

(٨) أى : استكبر وأخذته العزة والحمية ، وتمادى فى غيِّه وضلاله .

(٩) أى : كفاه عقوبة على غيِّه الاصطلاء بنار جهنم .

(١٠) أى : ولبئس الفراش والوطاء جهنم .

(١١) البقرة : ٢٠٤ ـ ٢٠٦ .

تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ(١) كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ (٢) وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ (٣) فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا(٤) لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا (٥)وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)(٦) ﴾(٧) .

وهُمُ الذين يأكلون الرِّبَا ... كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا (٨) لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ (٩) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا (١٠) وَأَحَلَّ اللَّهُ

---

(١) أى : لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمن والأذى .

(٢) أى : كالمنافق الذى ينفق ماله لغير وجه الله ليحمده الناس فيقولوا : هو سَخِىٌّ كريم ...

(٣) أى : فمثل هذا المرائى ، كمثل حجارة مُلس ، عليها تراب .

(٤) أى : فأصاب هذه الحجارة المُلس ، مطرٌ شديد عظيم فترك الصفوان صلداً لا تراب عليه ، ولا شئ من نبات ولا غيره .. فكذلك هؤلاء المراءون تذهب أعمالهم وتضمحل .

(٥) أى : لا يقدرون يوم القيامة على ثواب شئ من أعمالهم ، لأنهم عملوها رئاء الناس وطلب حمدهم .

(٦) أى : لا يوفقهم لإصابة الحق بل يتركهم فى ضلالهم يعمهون .

(٧) البقرة : ٢٦٤ .

(٨) أى : الذين يتعاملون بالربا أخذاً وعطاء وأكلاً ...

(٩) أى : لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كقيام المصروع الذى يخنقه الشيطان فيصرعه من الجنون .

(١٠) أى : ذلك الجزاء بسبب أنهم كانوا يكذبون ويفترون ويقولون باطلاً .

الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ (١) فَلَهُ مَا سَلَفَ (٢) وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ (٣) وَمَنْ عَادَ(٤) فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ(٥) وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾(٦) .

وهُمُ الذين يَكْفُرونَ بآياتِ الله ويقتُلُونَ النبيينَ بغير حَقّ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ (٧) وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ (٨) وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ (٩) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ(١٠) وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾(١١) ﴾(١٢) .

---

(١) أى : فمن جاءه تذكير وتخويف من ربه فانزجر عن أكل الربا وارتدع .

(٢) أى : فله ما قد مضى قبل مجئ التحريم .

(٣) أى : أمر آكل الربا إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه .

(٤) أى : ومن عاد لأكل الربا بعد التحريم .

(٥) أى : ينقص الله الربا فيذهبه ، ويضاعف أجر الصدقات ويُنميها .

(٦) البقرة : ٢٧٦ .

(٧) أى : يجحدون حجج الله من اليهود والنصارى .. والآية عامة لكل كافر وجاحد .. لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٨) كزكريا ويحيى وغيرهما من أنبياء الله .

(٩) أى : ويقتلون الذين يأمرون بالعدل وينهون عن ارتكاب معاصى الله .

(١٠) أى : بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة .. فأما فى الدنيا فباللعنة والمذمة .. وفى الآخرة بالحرمان من النعيم والخلود فى الجحيم ، لأن أعمالهم تصير بوراً لا ثواب لها .

(١١) أى : ما لهم ناصر ينصرهم من الله ويستنقذهم من عذابه .

(١٢) آل عمران : ٢١ ، ٢٢ .

وهُمُ الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ (١) ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا (٢) لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ (٣) وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ (٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ (٥) بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾(٦) .

وهُمُ الذين تفرقُوا واختلفوا ...

كَمَا يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ(٧) وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾(٨) .

---

(١) أى : كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم به .

(٢) بما أصابوا من المعاصى .

(٣) أى : من الذنوب حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد .

(٤) أى : هم الذين ضلوا السبيل عن الحق .

(٥) أى : فلن يقبل من أحدهم عوض أبداً حتى ولو كان من الذهب قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها .

(٦) آل عمران : ٩٠ ، ٩١ .

(٧) أى : لا تكونوا كاليهود والنصارى الذين اختلفوا فى دين الله وأمره ونهيه من بعد ما علموا الحق ، وظهرت لهم حجج الله وآياته البينات .

(٨) آل عمران : ١٠٥ .

وهُمُ الذين اشتروا الكفر بالإيمان ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ(١) لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) ﴾(٢) .

وهُمُ الذين يبخلُون بما آتاهمُ الله من فضله ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ (٣) هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٤) وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) ﴾(٥) .

وهُمُ الذين يأكلون أموال اليتامى ظُلماً ...

كما يُشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا(٦) إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا (٧)وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) ﴾(٨) .

---

(١) أى : إن هؤلاء المنافقين الذين استبدلوا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً بارتدادهم عن الإيمان .

(٢) آل عمران : ١٧٧ .

(٣) أى : فلا يخرجون منها الزكاة .

(٤) أى : سيجعل الله ما بخلوا به يوم القيامة طوقاً فى أعناقهم .

(٥) آل عمران : ١٨٠ .

(٦) أى : يأكلونها ظلماً بغير حق .

(٧) أى : إنما يأكلون ناراً تتأجج فى بطونهم يوم القيامة .

(٨) النساء : ١٠ .

وهُمُ الذين يأكلون أموالهم بينهم بالباطل ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ (١) إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ (٢) وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ (٣) إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا(٤) وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾(٥) .

وهُمُ الذين جحدوا آيات القرآن فلم يصدقوا بها ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا (٦) كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ (٧) إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٨) .

وهم الذين يُشاقُّون الرسولَ من بعد ما تبين لهم الهُدى ..

كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ (٩) مِنْ بَعْدِ

---

(١) أى : لا يأكل بعضكم أموال بعض بالحرام ، كالربا والقمار ، وغير ذلك مما حرم الله.

(٢) أى : إلا ما كان بطريق التجارة ، والبيع ، والعطاء عن رضى منكم .

(٣) أى : لا يقتل بعضكم بعضاً .

(٤) أى : فسوف نورده ناراً يحترق فيها .

(٥) النساء : ٢٩ ، ٣٠ .

(٦) أى : سوف نشويهم فى نار جهنم .

(٧) أى : كلما احترقت جلودهم بدلناهم بجلود أخرى ليجدوا ألم العذاب وشدته .

(٨) النساء : ٥٦ .

(٩) أى : ومن يُعاد الرسول ويخالف أمره ، من بعد ما ظهر له الحق وأنه رسول الله .

مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ(١) نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ (٢) وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾(٣) .

وهم المنافقون الذين يُخادعون الله وهو خادعُهم ..

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ (٤) وَهُوَ خَادِعُهُمْ (٥) وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ (٦) يُرَاءُونَ النَّاسَ(٧) وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ (٨) لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴿١٤٣﴾ ﴾(٩) .

وهُمُ الذين كَفَروا وصَدُّوا عن سبيل الله ..

كما يُشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ (١٠) قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ (١١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) أى : غير طريق المؤمنين ومنهاجهم .

(٢) أى : نتركه وما استعان به من الأوثان والأصنام ونحرقه بنار جَهنم .

(٣) النساء : ١١٥ .

(٤) أى : يخادعون الله بإظهار الإيمان وإبطان الكفر حقناً لدمائهم .

(٥) بإجراء أحكام المسلمين عليهم استدراجاً لهم ، حتى يردوا نار جهنم .

(٦) أى : إذا قاموا لأداء الصلاة قاموا إليها متثاقلين .

(٧) أى : يصلون رياءً للمؤمنين .

(٨) أى : مترددين بين الكفر والإيمان .

(٩) النساء : ١٤٢ ، ١٤٣ .

(١٠) أى : إن الذين جحدوا نبوتك ـ يا محمد ـ وصدوا الناس عن دين الإسلام .

(١١) أى : قد حادوا عن طريق الإسلام وزاغوا عن الهدى زيغاً كبيراً .

وَظَلَمُوا (١) لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨)(٢) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ(٣) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) ﴾(٤) .

وهُمُ الذين يُحاربونَ الله ورسولَه ويَسْعَونَ فى الأرضِ فَسَاداً ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (٥)وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا (٦) أَن يُقَتَّلُوا (٧) أَوْ يُصَلَّبُوا(٨) أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ (٩) أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ (١٠) ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا (١١) وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)(١٢) إِلاَّ الَّذِينَ

---

(١) أى : جحدوا رسالتك يا محمد ، وظلموا بمقامهم على الكفر .

(٢) أى : لم يكن الله ليصفح عن ذنوبهم ، ولا ليوفقهم للإسلام ، ولكنه يخذلهم عنه حتى يسلكوا طريق جهنم .

(٣) أى : إلا الطريق الموصل إلى نار جهنم .

(٤) النساء : ١٦٩ .

(٥) أى : إنما جزاء من يقتل النفوس بغير حق ، ويخيف الآمنين فيُغير عليهم فى أمصارهم وقراهم .

(٦) أى : بقطع الطريق ، والعمل بمعاصى الله .

(٧) أى : عقوبتهم القتل إن قَتلوا .

(٨) أى : إن قَتَلوا وأخذوا المال .

(٩) أى : تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ، إن أخذ المال ولم يقتل .

(١٠) أى : أو يطرد من بلده إلى بلد آخر ويحبس فيها بالسجن ، إن أخاف الناسَ ولم يقتل ولم يسلب مالاً ...

(١١) أى : هذا الجزاء لهم عقوبة وشر وذلة فى عاجل الدنيا قبل الآخرة .

(١٢) أى : ولهم فى الآخرة إن لم يتوبوا عذاب جهنم .

تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ (١) فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٢) ﴿٣٤﴾ ﴾(٣) .

وهمُ الذين قالوا : إن الله هو المسيحُ بنُ مريم ..

والذين قالوا : إن الله ثالثُ ثلاثَة .. كما يُشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ (٤) وَقَالَ الْمَسِيحُ (٥) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ (٦) وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ (٧) وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ (٨) وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا

---

(١) أى : إلا من تاب من قطَّاع الطريق إذا ترك الحرابَة وأمَّنَهُ الإمام قبل أن يُقبض عليه .

(٢) أى : فإن توبته تضع عنه تبعات الدنيا ، رحمة من الله عليه .

(٣) المائدة : ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) أى : لقد كفر النصارى الذين قالوا إن عيسى هو الله ، واتخذوه ربّاً ، وهذا قول (اليعقوبية) عليهم غضب الله ـ وكيف يكون عيسى إلهاً وقد خرج من فرج امرأة ؟ وكيف يكون ربّاً يُعبد وقد صُلبَ على زعمِ النصارى ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون عُلُواً كبيراً .

(٥) أى : وقال لهم المسيح : اعبدوا الله الذى خلقنى وخلقكم ..

(٦) أى : ومرجعه ومكانه الذى يأوى إليه نار جهنم .

(٧) أى : لقد كفر النصارى الذين قالوا : إن الله واحد من ثلاثة آلهة .. وهذا قول جماهير النصارى .. وهذا هو المشهور فى زماننا حيث يقولون : (باسم الأب ، والابن ، وروح القدس)

(٨) أى : وما لكم معبود إلا معبود واحد .

يَقُولُونَ(١) لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢) ﴿٧٣﴾ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ(٣) وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ (٤) قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ(٥) وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ (٦) كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ (٧) انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ(٨) ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ (٩)﴾(١٠).

وهُمُ الظالمون الذين افتروا على الله كَذِباً ...

كما يُشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ومَن أظلمُ مِمَّن

---

(١) أي : وإن لم يكفوا عن هذا الافتراء والكذب .

(٢) أي : لَيُصيبَنَّ الذين قالوا : المسيح هو الله ، والذين قالوا : الله ثالث ثلاثة ، عذاب موجع .

(٣) أي : أفلا يتوبون مما قالوا ويسألون ربهم المغفرة ؟

(٤) أي : ليس المسيح إلا رسول كسائر الرسل ، أجرى الله على يديه ما شاء من الآيات والمعجزات ، ولدته أمه كما تلد الأمهات ، فهو ابن مريم ، وهذا من صفات البشر لا من صفات خالق البشر .

(٥) أي : قد مضت من قبله رسل كثيرون ، أجرى الله على أيديهم الآيات والخوارق .

(٦) أي : وأمه تقية صالحة مبالغة في الصدق ..

(٧) أي : كانا يتناولان الطعام والشراب كسائر البشر ، فكيف يكون إلهاً من كان محتاجاً إلى الغذاء ليقيم به حياته ؟

(٨) أي : انظر يا محمد كيف نبين لهؤلاء النصارى الأدلة الساطعة على بطلان ما يدعون.

(٩) أي : انظر كيف يحيدون عن الحق إلى الباطل والضلال ؟

(١٠) المائدة : ٧٢ ـ ٧٥ .

افتَرى على الله كَذِباً(١) أو قـال أُوحِيَ إليَّ ولم يُوحَ إليـه شَيْءٌ(٢) ومَن قالَ سأنزِلُ مثلَ مـا أَنْزَلَ الله(٣) ، ولَوْ تـَرى إذِ الظالمـونَ فى غمـَرات الموت(٤) والملائكة باسطُوا أيديـهم أَخْرِجُـوا أنفسَكُم(٥) اليومَ تُجـزونَ عَذَابَ الهُونِ(٦) بما كُنْتُم تقُـولُونَ عَلَى الله غَـيْـرَ الحَقِّ(٧) وكُنْتُم عن آياته تَسْتَكْبِرُونَ(٨) ﴾(٩) .

وهُـمُ الذين يكنِزُون الذهبَ والفِضَّـةَ ولا يُنفِقُونها فـى سبيل الله ..

كمـا يُشـيـر إلى هذا قول الله تبـارك وتعالى : ﴿ .. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠)(٣٤) يَوْمَ

---

(١) أى : ومن أظلم ممن اختلق الكذب على الله ؟

(٢) أى : أو زعم أن الله أوحى إليه ، فبـعثه نبياً وأرسلـه نذيراً ، وهو مبطل كاذب ، كمسيلمة الكذاب والعنسى ؟

(٣) أى : ومن زعم أنه لو شاء لقـال مثل مـا قال الله ؟ وهذا كقـول المشركين : (لو نشاء لقلنا مثل هذا) .

(٤) أى : ولو ترى إذ الظالمون وقد غشيتهم سكرات الموت .

(٥) أى : والملائكة يضربون وجـوههم وأدبارهم قائلين لهم : أخـرجوا أرواحكم من أجسامكم إلى سخط الله ولعنته .

(٦) أى : فإنكم اليوم تُثابون على كفركم بعذاب يُهينكم ويُذلكم وهو عذاب جهنم .

(٧) أى : بقولكم على الله الباطل .

(٨) أى : واستكباركم عن الخضوع لأمره ، والانقياد لطاعته .

(٩) الأنعام : ٩٣ .

(١٠) أى : والذين يجمعون الأموال الكثيرة ، ولا يؤدون زكاتها فبشرهم بعذاب أليم موجع يوم القيامة .

يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ (١) هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ(٢) ﴿٣٥﴾ ﴾(٣) .

وهُمُ الذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكُفراً وتفريقاً بينَ المؤمنين ..

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا (٤) وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ (٥) وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ (٦) وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ (٧) وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٨)﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا (٩) لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ

---

(١) أى : يوم يوقد على الأموال التى كنزوها فى نار جهنم ، فتحرق بها الجباه والجنوب والظهور .

(٢) أى : ويقال لهم ..

(٣) التوبة : من الآية : ٣٤ ، ٣٥ .

(٤) أى : والذين ابتنوا مسجداً ضراراً لمسجد رسول الله ﷺ ، وهم قوم من المنافقين بنوا مسجداً بجانب مسجد قُبَاء ، وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يُصلى فيه ، وأرادوا ببنائه أن يكون وَكْراً لهم ليتآمروا على الإسلام والمسلمين ، فأمر رسول الله ﷺ بهدمه وإحراقه .

(٥) أى : وكفراً بالله لمحادَّتهم رسوله ، وليفرقوا به جماعة المؤمنين .

(٦) أى : وإعداداً وانتظاراً لمن قاتل رسول الله من قبل « وهو أبو عامر الفاسق » الذى حزَّب الأحزاب لقتال رسول الله ، ثم لحق بالروم وكتب إلى أهله يأمرهم ببناء مسجد الضِّرار .

(٧) أى : وليحلفن ما أردنا ببنائه إلا المنفعة والتوسعة على المسلمين .

(٨) أى : والله يعلم كذبهم فى حلفهم ذلك .

(٩) أى : لا تصل يا محمد فى هذا المسجد الذى بناه المنافقون أبداً .

أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ (١) فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا (٢) وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ (٣) فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ (٤) وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) ﴿١٠٩﴾ لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ (٦) إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ (٧) وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ (٨) ﴾ (٩) .

وهُمُ الذين بَدَّلوا نعمة الله كفراً وأحلُّوا قومهم دارالبوار...

كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

---

(١) أى : والله لمسجد الرسول الذى بُنى على تقوى الله وطاعـته من أول يوم ابتدئ فى بنائه أولى أن تقوم فيه مصلياً من مسجد الضرار .

(٢) أى : فى هذا المسجد رجال يحبون أن يتنظفوا بالماء إذا أتوا الغائط .

(٣) أى : هل من ابتدأ أسـاس بنائه على طاعة الله ، والله عنه راض خيـر أم من ابتدأ أساس بنائه على طرف حفرة هائرة ؟

(٤) أى : فسقط به البناء فى نار جهنم .

(٥) أى : لا يوفق الظالمين ولا يرشدهم إلى طريق السعادة .

(٦) أى : لا يزال بنيـان هؤلاء المنافـقين لمسجـد الضرار ، شكاً ونفاقـاً فى قلوبهم يحسبون أنهم كانوا فى بنائه محسنين .

(٧) أى : إلا أن تتصدَّع قلوبهم فيموتوا .

(٨) أى : عليم بأفعال خلقه ، حكيم فى تدبير شئونهم .

(٩) التوبة : ١٠٧ ـ ١١٠ .

كُفْرًا (١) وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢) ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٣) ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٤) ﴾(٥) .

وهُمُ الذين يجعلونَ لله البناتِ ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ(٦) سُبْحَانَهُ (٧) وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٨) ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ (٩) ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا (١٠) وَهُوَ كَظِيمٌ (١١) ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ (١٢)

---

(١) أى : ألم تنظر يا محمد إلى الذين غيَّروا نعمة الله ؟ وهم كفار قريش ـ كما قال ابن عباس وعطاء ورجحه الطبرى ـ فقد أنعم الله عليهم بمحمد فكفروا به وكذبوه .

(٢) أى : وأنزلوا قومهم دار الهلاك .

(٣) أى : وجعلوا لربهم شركاء عبدوهم معه ، كى يضلوا الناس عن دين الله .

(٤) أى : قل لهم يا محمد : استمتعوا فى الحياة الدنيا ، فإنها سريعة الزوال ، وعما قريب تصيرون إلى النار ، وهو وعيد وتهديد .

(٥) سورة إبراهيم : ٢٨ ـ ٣٠ .

(٦) أى : ويجعل هؤلاء المشركون البنات لمن خلقهم وأنعم عليهم ، ولا ينبغى أن يكون له ولد ذكر ولا أنثى .

(٧) أى : تنزه جل جلاله عما نسبوا إليه من البنات .

(٨) أى : ولهم البنون الذين يشتهونهم ـ وهذا منتهى السفه ..

(٩) أى : وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين بولادة البنات أو البنت .

(١٠) أى : صار وجهه مسوداً من كراهته لها .

(١١) أى : وهو مملوء غماً وحزناً .

(١٢) أى : يستخفى من القوم من مساءته من الأنثى .

أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ(١) أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ(٢) أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(٣) ﴿٥٩﴾ ﴾(٤).

وهُمُ الأخسَرُونَ أعمالاً ..

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (٥) ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٦) وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(٧) ﴿١٠٤﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ (٨) فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ (٩) فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠) ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا (١١) وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٢)﴿١٠٦﴾ ﴾(١٣).

---

(١) أى : أيمسكه على ذل وهوان .

(٢) أى : أم يدفنه حياً فى التراب فيئده ، قال قتادة : كان أحدهم يغذو كلبه ، ويئد ابنته .

(٣) أى : ألا ساء الحكم الذى يحكمون به ، حيث جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم .

(٤) النحل : ٥٧ ـ ٥٩ .

(٥) أى : قل لهم **يا محمد** : هل نخبركم أيها القوم ، بالذين أتعبوا أنفسهم فى عمل يبغون به ربحاً ، فنالوا به عَطَباً وهلاكاً ؟

(٦) أى : الذين لم يكن عملهم على هدى واستقامة ، بل كان على جور وضلالة ، لأنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به .

(٧) أى : وهم يظنون أنهم لله مطيعون ، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون .

(٨) أى : هؤلاء الذين ذكرناهم ، هم الذين كفروا بحجج ربهم وأدلته ، وأنكروا لقاءه .

(٩) أى : فبطلت أعمالهم ، فلم يكن لها ثواب ، بل لهم منها عذاب .

(١٠) أى : ليس لهؤلاء شئ من الأعمال الصالحة ، فتثقل به موازينهم .

(١١) أى : أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله .

(١٢) أى : وباتخاذهم آيات كتابه سخرية ، واستهزائهم برسل الله .

(١٣) الكهف : ١٠٢ ـ ١٠٦ .

وهُمُ الذين يعبُدُون الله على حرفٍ ..

كمـا يُشيرُ إلى هذا قول الله تبـارك وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ (١) فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ(٢) ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ (٣)﴾(٤) .

وهُمْ أصحابُ الشِّمال ..

كما يشيـر إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ(٥) ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٦) ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٧) ﴿٤٣﴾ لا بَارِدٍ (٨) وَلا كَرِيمٍ (٩) ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (١٠) ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا

---

(١) أى : ومن الناس من يعبـد الله على شك ـ قـال الطبـرى : نزلت فى أقـوام من الأعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ مـهاجرين ، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الدخول فى الإسلام أقاموا على الإسلام ، وإلا ارتدوا على أعقابهم .

(٢) أى : خسر دنياه لأنه لم يظفر بحاجته ، وخسر آخرته لأنه معذب فيها .

(٣) أى : ذلك هو الهلاك الواضح ، لمن فكر فيه وتدبره .

(٤) الحج : ١١ .

(٥) أى : وأصحـاب الشمـال الذيـن يؤخـذ بهـم مـن موقف الحسـاب إلى النار، ماذا لهم ؟ وماذا أُعدَّ لهم ؟

(٦) أى : هم فى هواء جهنم الحار وسمومها وفى حميمها .

(٧) أى : وظل من دخان شديد السواد .

(٨) أى : ليس ذلك الظل ببارد ، كبرد ظلال سائر الأشياء ، لأنه دخان من سعير جهنم حار .

(٩) أى : وليس بكريم ، لأنه مؤلم لمن استظل به .

(١٠) أى : إن هؤلاء كانوا منعَّمين فى الدنيا .

يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (١) ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا (٢) وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٣) ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (٤) ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥) ﴿٥٠﴾ ﴾(٦) .

وهُمُ الذين ألهتهُم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله ..

كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ (٧) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ(٨) ﴿٩﴾ ﴾(٩) .

وهُمُ الذين لا يؤمِنُونَ بالله العظيمِ ولا يحضُّون على طعام المساكين ..

كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ

---

(١) أى : وكانوا يقيمون على الذنب العظيم ، وهو الشرك بالله .

(٢) أى : وكانوا يقولون كُفراً منهم بالبعث : أئذا كنا تراباً في قبورنا بعد مماتنا .

(٣) أى : وكنا عظاماً نخرة ، أئنا لمبعوثون أحياء كما كنا قبل الممات ؟

(٤) أى : وكذلك آباؤنا الذين كانوا قبلنا يبعثون ؟

(٥) أى : قل يا محمد لهم إن الأولين من آبائكم ، والآخرين منكم ومن غيركم ، لمجموعون يوم القيامة .

(٦) سورة الواقعة : ٤١ ـ ٥٠ .

(٧) أى : لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وعن الصلاة .

(٨) أى : ومَن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله فأولئك هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى .

(٩) المنافقون : ٩ .

فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (١) ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢) ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٣)﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٤) ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ(٥) ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(٦) ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٧) ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٨) ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٩) ﴿٣٣﴾ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٠) ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (١١) ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ(١٢) ﴿٣٦﴾ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾(١٣)﴾(١٤) .

وهُمُ الذين تجاوزوا حُدودَ الله ..

كَمـا يُشـير إلـى هذا قـول الله تبـارك وتعـالـى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ

---

(١) أى : لم أعط كتابى .

(٢) ولم أعرف أى شئ حسابى .

(٣) أى : التى مُـتُّهَا فى الدنيا لم يكن بعدها بعث .

(٤) أى : لم يدفع عنى مالى ... شيئًا من العذاب .

(٥) أى : ذهبت عنى حُجَجى .

(٦) أى : قشدوه بالأغلال .

(٧) أى : أوردوه فى نار جهنم ليصلىّ فيها .

(٨) أى : أدْخلوه .

(٩) أى : لا يصدق بوحدانية الله العظيم .

(١٠) أى : لا يحض على إطعام ذوى المسكنة والحاجة .

(١١) أى : قريب يدفع عنه .

(١٢) هو ما يسيل من صديد أهل النار .

(١٣) أى : لا يأكل هذا الطعام إلا المذنبون ..

(١٤) الحاقة : ٢٥ ـ ٣٧ .

كَانَتْ مِرصَادًا(١) ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢) ﴿٢٢﴾ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٣) ﴿٢٣﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٤) ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٥) ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا(٦) ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٧)﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٨)﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٩) ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴿٣٠﴾ (١٠)﴾(١١) .

---

(١) أى : إن جهنم ترقب من يجتازها وترصدهم .
(٢) أى : هى للذين تجاوزوا حدود الله منزل ومرجع ، يرجعون ويصيرون إليه .
(٣) أى : ماكثين فى جهنم دهوراً لا تنقضى فى عذاب متنوع .
(٤) أى : لا يطعمون فيها برداً يبرد حَرَّ السعير عنهم إلا الغسَّاق ، ولا شراباً يرويهم من شدة العطش إلا الحميم .
(٥) أى : لا يشربون إلا ماء حميماً قد أُغلى حتى انتهى حره ، فهو كالمهل يشوى الوجوه ، ولا بردًا إلا غسَّاقاً وهو السائل الزمهرير ، الجامع مع شدة برده نتن رائحته .
(٦) أى : هذا العذاب للكفار ثواباً لهم على أفعالهم وأقوالهم الرديئة التى كانوا يعملونها فى الدنيا .
(٧) أى : إن هؤلاء الكفار كانوا لا يخافون محاسبة الله إياهم فى الآخرة على نعمه عليهم .
(٨) أى : وكذبوا بحجتنا وأدلتنا تكذيباً .
(٩) أى : وكل شئ كتبنا عدده ومبلغه ، وقدره كتاباً ، فلا يعزب عنا علم شئ منه .
(١٠) أى :فذوقوا أيها القوم من عذاب الله الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا فلن نزيدكم إلا عذاباً على العذاب الذى أنتم فيه .
(١١) النبأ : ٢١ ـ ٣٠ .

وهُمُ الطُّغاةُ الذين آثروا الحياةَ الدنيا على الآخرة ...

كما يُشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (١) ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٢) ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ(٣) ﴿٣٩﴾ ﴾(٤) .

وهُمُ الذينَ فَتَنُوا المؤمنينَ والمؤمناتِ ثم لم يتُوبوا ..

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا(٥) فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾(٦) ﴾(٧) .

وهُمُ الذين طَغَوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٨) ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٩) ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ (١٠) ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ(١١) ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي

---

(١) أى : من عتا على ربه وعصاه واستكبر عن عبادته .

(٢) أى : فضل الدنيا على الآخرة .

(٣) أى : فإن جهنم منزله ومأواه .

(٤) النازعات : ٣٧ ـ ٣٩ .

(٥) أى : إن الذين ابتلوا المؤمنين والمؤمنات بتعذيبهم وإحراقهم بالنار ثم لم يتوبوا من كفرهم وفعلهم هذا .

(٦) أى : فلهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا .

(٧) البروج : ١٠ .

(٨) أى : ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فترى كيف فعل ربك بإحدى قبائل عاد ؟

(٩) أى : إرم الذين كانوا أهل عمد ، ينتجعون أماكن الغيث ، وينتقلون إلى الكلأ حيث كان ، ثم يرجعون إلى منازلهم .

(١٠) أى : التى لم يخلق الله مثلها فى العظم والبطش والقوة .

(١١) أى : وما فعل ربك كذلك بثمود الذين خرقوا الصخر ودخلوه فاتخذوه بيوتاً ؟

الأَوْتَاد(١) ⑩ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (٢) ⑪ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (٣) ⑫ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (٤) ⑬ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (٥) ⑭﴾(٦)

أى : إن ربك رقيب على كل ظالم ..

وهُمُ الذين خَفَّ وزنُ حسناتهم يوم القيامة ...

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٧) ⑧ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٨) ⑨ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (٩) ⑩ نَارٌ حَامِيَةٌ (١٠) ⑪ ﴾(١١).

---

(١) أى : وما فعل ربك أيضاً بفرعون ، صاحب الأوتاد التى كان يعذب الناس بها وقيل : وصف بذلك لكثرة جنوده .

(٢) أى : الذين تجاوزوا الحد فى الكفر ، وعتوا على ربهم فى البلاد التى كانوا فيها.

(٣) أى : فأكثروا فى البلاد المعاصى وركوب ما حرم الله عليهم .

(٤) أى : فأنزل بهم ربك عذابه وأحل بهم نقمته .

(٥) أى : إن ربك يا محمد لأهل الكفر بالمرصاد .

(٦) الفجر : ٦ ـ ١٤ .

(٧) أى : وأما مَن خف وزن حسناته .

(٨) أى : فمأواه ومسكنه الهاوية ، التى يهوى فيها على رأسه فى جهنم ، فهى تضمه كأمه ليس له سواها .

(٩) أى : وما أشعرك يا محمد ما الهاوية ؟!

(١٠) أى : هى النار التى حميت من الوقود عليها .

(١١) القارعة : ٨ ـ ١١ .

وهُمُ الـهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ ...

كمـا يشيـر إلى هذا قـول الله تبـارك وتعـــالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١)﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢)﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣)﴿٣﴾ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤)﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥)﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦)﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧)﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ(٨) ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ(٩) ﴿٩﴾﴾(١٠) .

وهُمُ الذين يُكَذِّبون بيوم الدين وما فيه من ثواب وعقاب .

كمـا يشير إلى هذا قول الله تبـارك وتعالى : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ

---

(١) الويل : هو الوادى الذى يسيل من صـديد أهل النار لكل مغتاب للناس يَعـيبهم ويطعن فـيهم . والهـمزة : الهـماز الذى يـغتـاب الناس ويطعن فى أعراضـهم . واللمزة : أى اللماز الذى يعيب الناس وينال منهم بالحاجب والعين .

(٢) أى : الذى جمع مـالاً وأحصى عدده ، ولم ينـفقه فى سـبيل الله ، ولكنه جمـعه فأوعَاه .

(٣) أى : أيظن أن مـاله الذى جمـعه وبخل بإنفـاقه مـخلده فى الدنيا ـ وقـد نزلت السـورة فى (الأخنس بن شريق) كـان كثـير الطـعن فى الناس يسخـر منهم ويعيبهم ، والآية عامة ـ .

(٤) أى : ليس ماله مخلده ، ولكن ليقذفن به يوم القيامة فى النار التى تحطم كل ما أُلقى فيها .

(٥) أى :وأى شئ أشعرك يا محمد ما الحطمة ؟

(٦) أى : النار المسعرة بأمر الله تعالى .

(٧) أى : التى يبلغ ألمها ووهجها القلوب .

(٨) أى : إن النار على هؤلاء الهمازين اللمازين مُطبقة .

(٩) أى : أنهم يعذبون بعمد فى النار .

(١٠) سورة الهُمزة بأكملها .

بالدِّينِ (١)(١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢)(٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ(٣) (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤)(٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)(٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ(٦) (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)(٧) ﴾(٨) .

---

(١) أى : أرأيت يا محمد الذى يكذب بثواب الله وعقابه .. فى يوم الدين ؟ وهو يوم القيامة .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى في سورة الانفطار من الآية ١٧ ـ ١٩ : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩) ﴾ .

(٢) أى : فذلك الذى يدفع اليتيم عن حقه ويظلمه .

(٣) أى : ولا يحث غيره على إطعام المحتاج من الطعام .

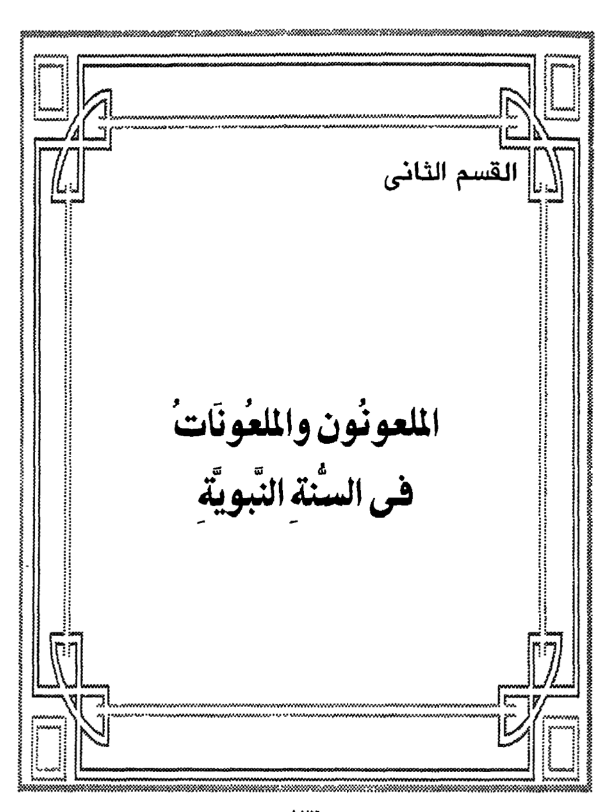
(٤) أى : فالويل وهو الوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين الذين يُصلون لا يريدون الله عز وجل بصلاتهم .

(٥) أى : الذين هم عن صلاتهم لاهون ، غافلون عنها أحياناً ، ويضيعون وقتها أحياناً أخرى .

(٦) أى : الذين يُراءُون بصلاتهم إذا صلوا ، لأنهم يصلون ليراهم المؤمنون فيكفون عن سفك دمائهم ، وهؤلاء هم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، يبطنون الكفر ، ويظهرون الإسلام .

(٧) أى : ويمنعون الناس منافع ما عندهم . وقد قيل : إن الماعون هو زكاة أموالهم ، وقيل المال ، وقيل : إنه اسم جامع لمنافع البيت كالفأس والقدر وما أشبه ذلك ، وقيل : هو ما لا يحل منعه كالماء والملح والنار ، ويحتمل أنه المعونة بما خَفَّ فعله وقد ثقله الله .. وقيل : هو المعروف كله كالذى يتعاطاه الناس فيما بينهم . (ففى) هذه الآية زجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة ، فإن البخل بها فى نهاية البخل (قال) العلماء : ويستحب أن يستكثر الرجل فى بيته مما يحتاج الجيران إليه فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب .

(٨) سورة الماعون بأكملها .



القسم الثانى

الملعونُون والملعُونَاتُ فى السُّنةِ النَّبويَّةِ

(١) هُمُ الذيـن لا يَـتَّقُون اللاَّعنَـين أو الملاعنَ الثلاث ... أو أَسباب اللعن بصفة عامة ...

فـعن أبى هريرة رضـى الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال : « **اتقوا الَّلاعنَين قالوا : ومـا اللاعنان يا رسول الله ؟ قـال : الذى يَتَخَلَّى فى طُرُقِ النَّاسِ ، أو فى ظِلِّهِمْ** »

رواه مسلم وأبو داود وغيرهمـا ، وكذلك رواه الإمام أحمد ، وفى لفظ لمسلم : « **اتقوا اللّعَانَيْنِ : قالوا : وما اللعانـان** » وقولـــه : (اللاعـنــين) : أى الأمرين الجـالبين اللَّعْن ، وذلك لأن من فعلهـما ، أو مَن سيفـعلهما : لُعِنَ وشُتِم ، فلمـا كاناً سبباً لذلـك أضيفَ الفعلُ إليهما فكانا كأنهما اللاَعنان .

ـ وذلك على طريق المجاز العقلى الذى هو إسناد الفعل إلى غير ما هو له لعلاقة السببية أو المسببية(١) ـ .

وقوله : (يتـخلى) أى : يقضى حاجـته (فى طرق الناس) التى يسلكونها إلى أعمالهم وبيوتهم .. وسُمِّى قضاء الحاجة بالتخلِّى لأنه يكون عادة فى الخلاء وهو الأرض الفضاء .

---

(١) كما جاء فى هامش الترغيب والترهيب .

■ وعن معاذ بن جَبَل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « اتقوا الملاعنَ الثلاثَ : البَرازَ فى الموارِد ، وقارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَالظِّلِّ » رواه أبو داود وابن ماجة كلاهما عن أبى سعيد الحميرى عن معاذ ، وقال أبو داود : هو مرسل ، يعنى أن أبا سعيد لم يدرك معاذاً .

وقوله : (الملاعنَ) أى مواضع اللعن .

قال الخطابى : والمراد هنا بالظل ، هو الظل الذى اتخذه الناس مقيلاً ومنزلاً ينزلونه ، وليس كل ظل يَحرُمُ قضاء الحاجة تحته ، فقد قضى النبى ﷺ حاجته تحت حايشٍ من النخل ، وهو لا محالة له ظل . ا هـ .

و (البَرَازَ) بفتح الباء والراء : هو فى الأصل اسم للفضاء الواسع ، وكُنِي به عن قضاء الحاجة .

و (المواردِ) أى : أمكنة المياه التى يردها الناس ليَسْتَقُوا منها .

و (قارعة الطريق) أى : وسطه ، وقيل : أعلاه ، والمراد نفس الطريق .

■ ورُوِىَ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « اتقوا الملاعنَ الثلاثَ . قيل : ما الملاَعنُ الثَّلاَثُ يا رسولَ الله ؟ قال : أن يَقْعُدَ أحدُكُم(١) فى ظلٍّ يُسْتَظَلُّ بهِ ، أو فى طريقٍ ، أو نقع ماء » رواه أحمد .

---

(١) أى : لكى يتبول .. أو يتبرز .

و (نقع ماء) أى : ما يجتمع فى البئر من الماء .

■ وعن حُذيفَـةَ بن أسيد رضى الله عـنه أن النبيَّ ﷺ قال : « **مَن آذى المسلمين فى طُرقهمْ وجَبَتْ عليه لعنَتُهُم** » .

رواه الطَبَرانى فى الكبير بإسناد حسن .

وقوله : « **وجبت عليـه لعنتهم** » أى : اسـتحق منهم أن يدعـوا عليه باللعنة والطرد من رحمة الله .

■ وعن مـحمـد بن سـيرينَ رضى الله عـنه قال : قـال رجُلٌ لأبى هريرةَ رضى الله عنه : أفْـتَـيـتَنَا فى كُـلِّ شئ يوشكُ أن تُفْـتـينَا فى الخَراء ، فقال : سـمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَنْ غَسَلَ سَخيمتَهُ على طَرِيقٍ مِن طرقِ المسلمينَ ، فعليهِ لعنَةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعينَ** » .

رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهـقى وغيرهما ، ورواته ثقات إلا محمد بن عمر الأنصـارى (وهو ضعيف) .

وقوله : (يوشك) أى : يكاد ويسرع . و(الخراء) و (السخيمة) : أى الغائط . و (مَن غسل سخيمته) يعنى نتنه وقذره .

■ وعن جابر بن عبد الله رضـى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«**إياكم والتـعريسَ على جَـوادِّ الطريق ، والصلاة عليـها ، فـإنها مأوى الحيَّاتِ والسِّباعِ ، وقَضَـاءِ الحاجَةِ عليها ، فإنَّهَا الملاَعِنُ** »

رواه ابن ماجة ، ورواته ثقات .

و(التعريس) أى : النزول للراحة آخر الليل .

وقوله : (على جَـوادِّ الطريق) أى : ما اتسع منها ، جـمع جادة ، ويقابلها بنيان الطريق .

■ وعن مكحـول رضـى الله عنه قال : نَهَى رسـول الله ﷺ أن يُبَال بأبواب المسـاجد . رواه أبو داود فى مـراسـيله ، أى : فى مراسـيل مكحول ، فإنه تابعى من أهل الشام ، وعنه أخذ الأوزاعى وغيره .

(وذلك) لأن ذلك يؤذى الداخلين فيـها حيث تتلوث نعـالهم بهذه الأوبال ، وهم كانوا يصلون فى نعـالهم ، وكذلك تؤذى رائحتـها من كان جالساً بالمسجد ، بل الواجب أن يُنظفَ حرم المسجد ويُصانَ من الأقذار .

وعلى هذا ، فـإنه ينبغى عـلى الأخ المؤمن ـ بصفـة خاصـة ـ أن يلاحظ الآتى وينفـذه ، حتى لا يكون من **الملعونين** ... وحتى يكون منفذاً للسنة :

١ ـ أن يتجنب طريق الناسِ وظلَّهم ـ إذا أراد قضاء الحـاجة ـ لما فيه من أذيتهم بالتنجيس والرائحة الكريهة : (للأحاديث التي وقفنا عليها).

٢ ـ وأن يبـتعـد ليـسـتـتر عن الناس ، لـقول جـابر رضـى الله عنه : خرجنا مع النبى ﷺ فى سـفر فكان لا يأتى البرَازَ حـتى يغيبَ فـلا يُرى . أخرجـه ابن ماجـة بسند رجاله رجـال الصحـيح ، ولأبى داود : كان إذا أراد البَراز انطلق حتى لا يراه أحد .

وهذا الحديث يدل على مشروعية الإبعاد لمن يريد قضاء الحاجة ، لإخفاء ما يستقبح سماعه أو رائحته . وقال المغيرة بن شعبة : كان النبى ﷺ إذا ذهب المذهب أبعد . أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والحاكم ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

٣ ـ وأن يستتر .. فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : **« من أتى الغائط فليستتر ، فإن لم يجد إلا أن يجمع كَثيباً[١] من رمل فليستدبره ، فإن الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم ، مَن فعلَ فقد أحسن ، ومَن لا فلا حرج »**

أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة والحاكم والبيهقى .

(فى الحديث) الأمر بالتستر ، مُعلِّلاً بأن الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم ، وذلك أن الشيطان يحضر مكان قضاء الحاجة لخلوه عن الذكر الذى يُطرَدُ به . فإذا حضر أمر الإنسان بكشف العورة وحسَّن له البول فى المواضع الصلبة التى هى مظنة رشاش البول . فأمر رسول الله ﷺ قاضى الحاجة بالتستر حال قضائها ، مخالفةً للشيطان ودفعاً لوسوسته التى يتسبب عنها النظر إلى سوأة قاضى الحاجة المُفضى إلى إثمه .

٤ ـ وأن لا يستقبل القبلةَ ولا يستدبرها . (فعن) أبى هريرة رضى

---

(١) (الكثيب) بالمثلثة قطعة مستطيلة تشبه الربوة ، أى إن لم يجد سترة ، فليجمع من التراب أو الرمل قدراً يكون ارتفاعه بحيث يستره .

الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أُعَلِّمُكُم ، فإذا أتى أحدُكُم الغائط ، فلا يستقبل القبلةَ ولا يستدبرها ، ولا يستطب**[1] **بيمينه ، وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروثة والرِّمَّة** »[2] أخرجه مالك وأحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجة .

(وهذا) الحديث : يدل على المنع من استقبال القبلة واستدبارها بالبول والغائط (وبه) قال **الأوزاعى والثورى وأبو ثور وأحمد** فى رواية (قالوا) : لا يجوز ذلك فى الصحراء ولا فى البنيان أخذاً بالحديث ، وبحديث أبى أيوب الأنصارى أن النبى ﷺ قال : « **إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ، ولكن شَرِّقُوا أو غَرِّبُوا** » أخرجه الجماعة والبيهقى (وقال) الترمذى : حديث أبى أيوب أحسن شئ في هذا الباب وأصح .

(وقال) **مالك والشافعى وأحمد** فى رواية : يحرم استقبال القبلة عند قضاء الحاجة فى الصحراء . ولا يحرم ذلك فى البنيان ، حملاً للنهى فى الحديث على الصحراء ، لقول **ابن عمر** : لقد ارتقيت على ظهر البيت فرأيت رسول الله ﷺ على لَبِنَتَيْنِ مستقبل بيت المقدس لحاجة . أخرجه السبعة والبيهقى ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

---

(١) (لا يستطب) : من الاستطابة ، أى لا يستنجى .

(٢) (و الرمَّة) بكسر الراء وتشديد الميم : العظم البالى .

(وقــال) **الحنفيون** : يكره اسـتقـبال القـبلة واسـتـدبارها فى الصـحراء والبنيان ، وهو رواية عن **أحمد** وأبى **ثور** . وحملوا النهى فى حديث **أبى هريرة** السابق ونحـوه على كراهة التنزيـه ، لما تقدم عن **ابن عمر** وغيره ، ولحديث أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إذا أتيتم الغائــط فــلا تســتـقبلوا القبلـــة ولا تستـدبروها ولكن شَرِّقُـوا أو غربوا** » قال أبو أيوب : فـقدمنا الشــام فوجـدنا مـراحيض قـد بنيت نحـو الكعـبة فنـنحرف عنهـا ونستغفر الله تعالى . أخرجه الشيخان .

فما انحرف أبو أيوب وغيره ، إلا لأن فى عدم الانحراف مخالفة . وقوله : « كنا » يشعر بتقرر الحكم عند الصحابة وله قوة المرفوع إذ مثلـه لا يصدر عن الـرأى .. وقـــد دل قولـه فى حديـــث أبى أيوب « **ولكن شـرقوا أو غـربوا** » على جواز اسـتقبال الشمـس والقمر واســتدبارهمــا حال قـضاء الحـاجة بلا كـراهة إذ لابد أن يكونا فى الشرق أو الغـرب (وبه) قال **الحنفيون ومالك والجمهور** .

(وقال) **أحمد** وبعض **الشافعية** : يكره استقبالهما بفرجه . فإن استـتر عنهما بشـئ فلا بأس لأنه لو استتـر عن القبلة جاز فـهاهنا أولى . (قال) **النووى** : قـال كثيـر من أصحـابنــا : يستحـب أن لا يستقبل الشـمـس ولا القمر ، واستأنسوا فيـه بحديث ضعيف بل باطل ، ولهذا لم يذكره **الشافعى** ولا كثيـرون وهذا هو المختار ، لأن الحكم بالاستحباب يحتاج إلى دليل ، ولا دليل فى المسألة .

٥ ـ وأن لا يستقبل الريح ... لئلا ترد عليه رشاشه من البول فينجسه .

٦ ـ وأن يختار المكان اللين الذى لا صلابة فيه ، أو المنخفض ليأمن رشاش البول ونحوه ، لقول أبى موسى : مال رسول الله ﷺ إلى دَمث(١) فى جنب حائط فبال .

وقال : « **إذا بال أحدكم فليرتد لبوله** » أخرجه أحمد ، وكذا أبو داود عن أبى موسى قال : إنى كنت مع رسول الله ﷺ ذات يوم ، فأراد أن يبول فأتى دَمثاً فى أصل جدار فبال ثم قال ﷺ : « **إذا أراد أحدكُم أن يبول فليرتَد(٢) لبوله موضعاً** » .

(والحديث) وإن كان ضعيفاً ، لأن فى سنده مجهولاً ، فإن أحاديث الأمر بالتنزه عن البول تفيده قوة .

٧ ـ وأن يتقى الجُحْرَ لئلا يكون فيه شئ يؤذيه ، لحديث قتادة عن عبد الله بن سَرجسَ قال : نهى رسول الله ﷺ أن يُبَالَ فى الجُحر(٣) ، قالوا لقتادة: ما يكره من البول فى الجُحر ؟ قال : يقال إنها مساكن الجن . أخرجه أحمد والنسائى وأبو داود والحاكم والبيهقى .

---

(١) (دَمث) بدال مهملة فميم مكسورة فثاء مثلثة : أى سهل .

(٢) (فليَرتد) من الارتياد وهو الاختيار ، أى : فليختر مكاناً سهلاً ليناً أو منخفضاً .

(٣) وهو الشق فى الحائط أو فى الأرض .

(والحديث) يدل على كراهة البول في الحُفر التى تسكنها الهوام والسباع ، إما لأنها مساكن الجن ، أو لأنه يؤذى ما فيها من الحيوانات أو تؤذيه ، ومثل البول الغائط .

هذا ، وإذا كان الهدف الأسمى من وراء هذا التذكير هو الوقوف على أهم ما ينبغى علينا أن نلاحظه بالنسبة للتبول والتغوُّط فى طُرقِ الناس أو ظلِّهم ... فإن هذا يعتبر كذلك من حق الطريق أو من حقوقه التى ينبغى علينا أن نلاحظها حتى لا نؤذى غيرنا من الناس فنُلعَنَ بسبب هذا .

■ فعن أبى سعيد الخدريِّ رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إياكم والجلوسَ فى الطرقات** » فقالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بُدٌّ نتحدث فيها . فقال رسول الله ﷺ « **فإذا أبيتُم إلاَّ المجلسَ فأعطوا الطريقَ حقَّه** » قالوا : وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال : « **غضُّ البَصرِ ، وكفُّ الأذى ، وردُّ السَّلامِ ، والأمرُ بالمعروفِ والنهىُ عن المنكَرِ** » متفق عليه .

هذا ، بالإضافة إلى الأحاديث الشريفة التى وردت فى فضل الترغيب، فى :

إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« الإيمانُ بِضْعٌ[1] وسِتُّونَ أو سبعون شُعبَةً[2] أدناها[3] إماطة الأذى عن الطريق[4] ، وأرفعها[5] قول : لا إله إلا الله[6] »** رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة .

ومعنى : (أماط) الشئ عن الطريق ، أى : نَحَّاهُ وأزاله ، والمراد بالأذى كل ما يؤذى المارّ كالحَجر والشوكة والعظم ونحو ذلك .

والأذى بصفة خاصة ، هو البول والغائط ، بدليل ما كان يدعو به النبى ﷺ بعد خروجه من الخلاء (قال) أنس رضى الله عنه : كان النبى ﷺ إذا خرج من الخلاء قال : **« الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى »** أخرجه ابن ماجة (وورد) عنه كذلك أنه كان يقول: **« الحمد لله الذى أذاقنى لذَّته ، وأبقى فِىَّ قُوَّته ، وأذهب عَنِّى أذاه »** .

---

(١) (البضع) بكسر فسكون : من الثلاثة إلى التسعة .

(٢) (الشعبة) بضم فسكون : الطائفة من الشئ والقطعة منه .

(٣) أى : أقلها شأناً .

(٤) أى : إزاحته وإزالته .

(٥) أى : أفضلها وأعظمها شأناً .

(٦) لأنها كلمة التوحيد التى خلق الله الأشياء جميعاً من أجلها وبعث الرسل وأنزل الكتب للدعوة إليها .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قـال : قال النبى ﷺ « **عُرِضَت عَلَىَّ أعمالُ أُمَّتِى حَسَنُها وسَيِّئها[1] ، فوجَدْتُ فى مَحَاسنِ أعمالهَا الأذى يُماطُ عَن الطَّريق [2] ، وَوَجَدْتُ فى مَسَاوِى أعمالهَا النُّخَامَةَ[3] تكونُ فى المسْجِد لاَ تُدفَنُ[4]** » رواه مسلم وابن ماجة .

وعن أبى بَرزَةَ رضى الله عنه قال : قلتُ يا نبى الله : إنِّى لا أدرى نفسى تمضى[5] أو أبقَى بعدكَ فَزوِّدْنى شيئاً ينفعُنى الله به ، فقال رسول الله ﷺ « **افْعَلْ كَذَا ، افْعَلْ كَذَا ، وأَمِرَّ الأذى عن الطريق[6]** » .

وفى رواية قال أبو برزة : قلتُ : يا نبى الله علِّمنى شيئاً أنتفع به ، قال : « **اعزِلِ الأذى عن طريق المسلمين** » رواه مسلم وابن ماجة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **كُلُّ سُلامَى من الناسِ عليه صَدَقَةٌ ، كُلَّ يومٍ تطلع فيه الشمسُ : تعدل بينَ الاثنينِ صدقَةٌ ، ويُعينُ الرجُلَ فِى دَابَّتِه ، فيحملُهُ عليْهَا**

---

(١) أى : شريفها وقبيحها .

(٢) أى : يزال ويُبعد عنه .

(٣) وهى البصقة التى تخرج من أقصى الحلق .

(٤) أى : لا تستر فى التراب حتى لا تؤذى المصلين .

(٥) أى : تذهب وتموت .

(٦) أى : أذهبْه وأبعده .

أَمْ يرفعُ لهُ عليهَا متاعَهُ صدقَةٌ ، وَالكَلمةُ الطيبةُ صدقةٌ ، وبكُلِّ خطوة يمشيهَا إلى الصلاة صدقَةٌ ، ويُميطُ الأذى عنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» رواه البخارى ومسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « على كُلِّ ميْسَمٍ[1] مِنَ الإنسانِ صَلاةٌ كُلَّ يومٍ[2] » فقال رجل من القوم : هذا من أشدِّ مَا أنبَأْتَنَا به[3] ، قال : « أَمْرُكَ بالمعروف ونهيُك عن المنكر صَلاةٌ ، وحَمْلُكَ على الضَّعيف صَلاةٌ ، وإنْحاؤُكَ القَذرَ عن الطَّرِيقِ صَلاةٌ ، وكُلُّ خُطْوة تَخْطُوها إلى الصَّلاة صَلاَةٌ[4]» رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

وعن أبى ذَرٍّ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ليس من نفس ابن آدمَ إلا عليها صدقة فى كل يوم طَلَعتْ فيه الشمس[5] ، قيل : يا رسول الله من أين لنا صَدَقَةٌ نَتَصَدَّقُ بِهَا ؟ فقال : « إن أبوابَ الخيرِ لكَثيرةٌ : التَّسبيح ، والتحميد ، والتَّكبيرُ، والتَّهليل ، والأمْرُ بالمعروفِ ، والنَّهيُ عن المنكَرِ ، وتُميطُ الأذى عن الطَّريقِ ،

---

(١) قال فى النهاية : « أى كل عضو موسوم بصنع الله تعالى ».

(٢) أى : لتكون معبرة عن الشكر لله فى الإنعام به .

(٣) يعنى أنه يشق علينا أداء صلاة عن كل ميْسَم .

(٤) ليس المراد فى الصلاة ما كانت بركوع وسجود ، بل المراد بها أعمال الخير كلها .

(٥) يعنى ليس من عضو من أعضائه إلا واجب عليه صدقة فى صبيحة كل يوم .

وتُسْمِعُ الأَصَمَّ(١) ، وتَهْدى الأعمى(٢) ، وتَدُلُّ المُسْتَدِلَّ على حَاجَتِه ، وتَسْعَى بِشِدَّة سَاقَيْكَ مَعَ اللَّهْفَانِ المُستَغيث ، وتَحْمِلُ بِشِدَّة ذِرَاعَيْكَ مع الضعيفِ ، فهذا كُلُّهُ صَدَقَةٌ منكَ عَلَى نَفسكَ » .

رواه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى مختصراً ، وزاد فى رواية :

« وتَبسُّمُكَ فى وجه أخيك صدقَةٌ ، وإماطُتكَ الحَجَر والشوكةَ والعظمَ عن طريقِ الناسِ صدقَةٌ ، وهَدْيُكَ الرجُلَ فى أرضِ الضَّالَّة لكَ صَدَقَةٌ » .

وعَن بُرِيْدَةَ رضى الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : **« فى الإنسانِ ستُّونَ وثلاثُمائَة مَفْصلٍ(٣) ، فعليه أنْ يَتَصَدَّقَ عن كُلِّ مَفْصل منها صَدَقة(٤) »** قالوا : فَمَنْ يُطيقُ ذَلكَ(٥) يا رسُولَ الله ؟ قال : **«النُّخَامَةُ فى المسْجِد تَدْفنُها(٦) ، والشَئُ تُنَحِّيه(٧) عن الطريقِ ، فإنْ لم تقدِرْ ، فرَكْعَتَا الضُّحَى تَجْزِى عَنْكَ(٨) »** رواه

---

(١) أى : ترفع له صوتك حتى يسمعك .

(٢) أى : تدله على الطريق وتقوده إلى حيث يريد .

(٣) المفصل : هو ملتقى عظمين من الجسد .

(٤) أى : فواجب عليه أن يخرج عن كل مفصل منها صدقة .

(٥) أى : فمن يقدر على ذلك وكثير من الناس لا تتسع أموالهم لهذه الصدقات كلها .

(٦) أى : تغطيها بتراب ونحوه .

(٧) أى : تزيله وتبعده .

(٨) أى : تكفى عن كل ذلك .

أحـــمـــد ، واللفظ له ، وأبـو داود وابن خـــزيمة وابن حـــبـــان فى صحيحيهما .

وعن المُسـتنير بن أخـضَر بن معـاويةَ عن أبيه قـال : كنتُ مع مَـعقل بن يَسَـار رضى الله عنه فى بعض الطرقـات ، فمـرَرْنَا بأذىً فأماطَهُ ، أو نَحَّاهُ عن الـطَّريق ، فرأيتُ مثلَهُ ، فأخذتُه فنحَّيـتُه ، فأخذ بيدى وقال : يا بن أخى ما حَملكَ علَى مَا صَنعْتَ ؟ قلتُ : ياعَمُّ رأيتُكَ صَنَعْتَ شيئاً ، فَصَنَعْتُ مثْـلَهُ ، فَقَالَ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقـولُ : « **مَنْ أمـاطَ الأذى منْ طَرِيقِ المسلمينَ كُـتِـبَتْ لَهُ حَـسَنَةٌ**[1] **ومَن تُقُبِّلَتْ منْهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الجنَّةَ**[2] » رواه الطبرانى فى الكبير هكذا ، ورواه البـخارى فى كـتـاب الأدب المفرد ، فـقال : عـن المستنيـر بن أخضر بن معاوية بن قرة عن جده (قال الحافظ) : وهو الصواب .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **بينَمَا رَجُلٌ يَمْشِى بطَرِيقٍ وَجَدَ غُصن شوكٍ فأخَّرَهُ**[3] ، **فشكر الله له**[4] **فغفر الله له**[5] » رواه البخارى ومسلم .

---

(١) أى : كتب الله له ذلك العمل حسنة .

(٢) أى : ومن تقبل الله منه حسنة فقد رضى عنه ، ومن رضى عنه أدخله الجنة .

(٣) أى : أبعده عن الطريق .

(٤) أى : رضى عمله هذا وقبله منه .

(٥) أى : حط عنه ذنوبه وخطاياه .

وفى رواية لمسلم قال : « لقد رأيتُ رجُـلاً يتقلبُ فى الجنَّةِ فى شجرة قطعَها من ظَهْرِ الطَّريقِ[1] كانت تؤذى المسلمين » .

وفى أخرى له : « مَرَّ رجلٌ بغُصْنِ شـجَرَة على ظَهْرِ الطَّريقِ ، فقَـالَ : والله لأُنحِّيَنَّ[2] هَذَا عنِ المـسْلِمينَ لاَ يُـؤْذيهِمْ[3] ، فـأُدخلَ الجنَّةَ[4] » .

ورواه أبو داود ، ولفظه قال رسول الله ﷺ : « نَزَعَ رَجُلٌ[5] لم يَعْملْ خَيراً قَطُّ[6] غُـصْنَ شوك عن الطريق : إمـا قال : كَـانَ فى شجرة فَقطَعه ، وإمَّا كانَ مَوْضُوعاً ، فأماطَهُ عن الطريقِ ، فشكر الله ذلِـكَ لَهُ ، فأدْخَلَهُ الجنةَ » .

وعن أنس بن مـالك رضـى الله عنه قـال : كـانت شـجـرةٌ تؤذى الناسَ ، فَأَتَاهاً رجُلٌ فعزَلَهَا[7] عن طريق الناس ، قـال : قال نبىُّ الله ﷺ « فلقد رأيتُه يتقلَّبُ فِى ظلِّهَا فى الجنَّة[8] » .

رواه أحمد وأبو يعلى ، ولا بأس بإسناده فى المتابعات .

---

(١) يعنى : من وسطه .

(٢) أى : لأبعدنه .

(٣) أى : حتى لا يتسبب لهم فى الأذى .

(٤) يعنى : كان هذا العمل القليل الذى شكره الله له سبباً فى دخول الجنة .

(٥) النزع : هو الأخذ بشدة .

(٦) أى : لم يعمل هذا الرجل خيراً أبداً قبل هذا .

(٧) أى : أزالها وأبعدها .

(٨) قوله (فى الجنة) بدل من قوله (فى ظلها) .

■ فعلى الأخ المسلم أن يلاحظَ كُلَّ هذا وينفـذَهُ ولا سيَّما بالنِّسبة لإماطَة الأذَى عن الطريق والذى منْ أحْقَر أنواعه ـ كما علمنا ـ البولُ والغـائطُ ، وكذلك كلُّ مـا يؤذى المارَّة ويعـوق مصـالحـهم المتعلقـة بعرض الطريق وجـانبيه بتلك الصـورة التى نشاهدها كثيـراً ونتألم بسببها .. من جانب هؤلاء البـاعة والجالسين على قارعة الطريق فى تلك المقاهى التى ـ كما نعلم ـ تُعتـبر مرتَعاً للكثيرين من هؤلاء الذين لا خلاق لهم والذين ما سَـعوا إليها غالبـاً إلا مَن أجل اللهو واللعب ، ومغازلة النساء ... الخ .

وكـذلك من جانب هؤلاء الصُّنَّاع الذيـن يستـغلُّون طُولَ الطريق وعرضَه فى صناعـة ما يعوقُ المارة ويلوث ملابسَـهُم بل ويمزِّقُهَا . بالإضافـة إلى وقُوف السَّيـارات والدراجات وعرض البـضائع على جـانبيـه .. (وأيضاً) من جـانب هؤلاء الصِّبْيَـة أو الشُّبـان الذين يلعَبُونَ الكُرة فى عَرض الطريق .. بتلك الصورة التى كَثيراً ما تُزعجُ وتؤذى الكثيرين من المارة .. أثناء غُدوهم ورواحهم(١) .

ولا شك أن كل هذا .. وغـيـره يعتـبـر من المؤذيات التى تجلب اللعنة لفاعليهـا والمتسببين فيها . بل والراضـين عـنها .. فلا تكن أخا الإسلام من هؤلاء المشار إليهم .

والله الموفق للصواب .

---

(١) من وإلى أعمالهم أو إلى منازلهم ، وبالعكس .. صباحاً ومساء .

(٢) مَنْ سأَلَ بوجهِ الله .. ومَن سُئِل بوجهِ اللهِ ، ثُمَّ منعَ سائِله

عن أبى موسى الأشعرىِّ رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **ملعونٌ من سَأَلَ بِوَجه الله ، وملعُونٌ من سُئِل بوجه الله ، ثم مَنَعَ سَائِلَهُ ما لَمْ يَسْأَلْ هُجْراً** » .

رواه الطَبرانى ، ورجاله رجال الصحيح إلا شيخه يحيى بن عثمان بن صالح ، وهو ثقة ، وفيه كلام .

والحديث وإن كان ضعيفاً إلا أنه يشير إلى أمر هام ينبغى علينا جميعاً أن نلاحظه و نُنَفِّذَهُ ، وهو أنَّنَا إذا سَألنَا بوَجه الله ، أو سُئِلْنَا بوجه الله أن نسارع بالاستجابة لهذا الطالب .. ما لم يكن هذا الأَمر المطلوَب (هُجراً) أى : فحْشاً وشيئاً مُحَرَّماً .. فإن مثل هذا المحرم ينبغى أن لا نشارك فى ترويجه أو تشجيع السائلين له . وإنماً ينبغى أن يكون العكس هو الصحيح .

وقد ورد الترغيب في الأمر الأول ، كما ورد الترهيبُ من عكسه :

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « **من اسْتَعَاذَ بالله فأعيذُوهُ**(١) **، ومَن سَأَلَ بالله فأعطُوهُ**(٢) **، ومَن دعاكُم**

---

(١) أى : من التجأ إليكم ـ فى شدة ـ عائذاً بالله وطالباً منكم الحماية والنجدة فأغيثوه.

(٢) أى : من جعل اسم الله عز وجل واسطة فى السؤال فإنه ينبغى عليكم أن تعطوه.

فأجيبُوه(١) ، **وَمَن صنع إليكُم معـروفاً (٢) فَكَافئُوهُ(٣)** ، **فـإن لم تَجِدُوا مَـا تُكَافِئُوهُ فَـادْعُوا لَهُ حَتّـى تَروا أنَّكُمْ قَد كَافَـأتُموهُ »(٤)** رواه أبو داود والنسائى وابن حـبان فى صحـيحه والحـاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وعن ابنِ عبـاس رضى الله عنهما أن رسـول الله ﷺ قال : « **ألا أُخبركُم بشَرِّ النَّاسِ(٥) ؟ رجل يُسْـألُ بالله ، ولا يُعطى(٦)** » رواه التـرمذى وقـال : حَديث حـسن غريب . والنســائى وابن حبـان فى صحيحه .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « **ألا أُخبركُم بَشر البَـرِيَّة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الذى يُسأل بالله ولا يُعطى** » رواه أحمد .

فـلاحظ كل هذا أخا الإسـلام ، وأنت تحـرص على أن تكون من خير الناس ، لا من شرهم .

والله ولى التوفيق ،

---

(١) أى : من دعاكم إلى وليمة ـ شرعية لا إثم فيها ـ أو نحوها فأجيبوا دعوته فإن ذلك من حق المسلم على المسلم ، وفى الحديث : « مَن دُعِى فليجبْ » .

(٢) أى : جميلاً وإحساناً .

(٣) أى : فقـدموا له مكافـأة مناسبـة على جمـيله ومعـروفه .. قال تـعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (٦٠) ﴾ .

(٤) يعنى : إن عـجزتم عن تقـديم مكافأة من المال لـضيق ذات يدكم فـأثيبـوه على جمـيله بالدعاء الصالح له حتى تروا أنكم قد كافأتموه .

(٥) أى : أعظمهم شراً وخبثاً وأبعدهم عن الخير ... والاستفهام للتشويق ..

(٦) يعنى : يسأله السائل بوجه الله عز وجل فلا يؤثر ذلك فيه ، ولا تتحرك أريحيته للعطاء وإنما كـان شر الناس ، لأن مـنعه من يسـأل بالله دليل على عـدم توقـيره وإجـلاله لله سبحانه وتعالى ، ومن كان كذلك كان شر الناس وأبعدهم عن الله .

(٣) مَن فَرَّقَ بين والدةٍ وولدهَا

عن عمران بن حُصين رضى الله عنه قال : قالَ رسول الله ﷺ : «ملعون مَن فَرَّقَ بين وَالِدة ووَلَدهَا(١)» قال أبو بكر ، يعنى ابن عياش : هذا مبهم ، وهوَ عندنا فى السَّبى والولد ، رواه الدارقطنى من طريق طليق بن محمد عنه ، وطليق مع ما قيل فيه لم يسمع من عمران .

ورواه ابن ماجة والدارقطنى أيضاً من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، وقد ضعف عن طليق بن عمران عن أبى بردة عن أبى موسى قال : لعن رسول الله ﷺ من فَرّقَ بين الوالدة وولدِها وبين الأخ وأخيه .

ويُقَوِّى هذا ، ويؤيده ، ما ورد :

عن أبى أيوبَ رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «**مَن فَرَّقَ بين والدةٍ وولدها(٢) : فَرّق الله بينه وبين أحبّته يوم القيامة** » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب ، والحاكم والدارقطنى ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

---

(١) قال الحفنى : أى الذى لم يستغن عنها ، أما التفريق بين الأخوين ، فلا يحرم عندنا ، ويحرم عند بعض الأئمة .

(٢) التفريق بين أمَة وولدها بنحو بيع حرام قبل التمييز عند الشافعى ، وقبل البلوغ عند أبى حنيفة ، وإن رضيت الأم بذلك التفريق بأن قالت : بعنى وحدى وولدى وحده ، فلا يُعتبر رضاها .

فـعلى الأخ المسلم كوالد يعـرف حنان الأُبُوَّة ، كـما يدرك كـذلك حُبَّ الأُمِّ لولدهـا .. أن يلاحظ هذا حـتى لا يشـارك أو يـوافق على ارتكاب جـريمة من هذا النوع المـشار إليـه فى الحـديث الأخـيـر .. وحسبـه ترهيباً له من هذا الفـعل المشين ، أنه إذا فعله أو شـارك فيه أو أعـان على تنفـيذه بأى صـورة من الصـور : فـرَّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة .

والله المستعان على فعل الخير ..



(٤) آكلُ الربا ، ومُؤكله ، وكاتبُه والواشمةُ والمُسْتوشِمةُ.. ولاوِى الصَّدقةِ ...

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : « **لعن رسولُ الله ﷺ آكلَ الربا**(١) **ومؤكِلَهُ**(٢) ، وكاتبه ، وشاهدَيْهِ وقال : **هُم سَواء**(٣)».

رواه مسلم وغيره .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « **لعن رسول الله ﷺ آكِلَ الربا ومؤكِلَهُ** » .

رواه مسلم والنسائى ، ورواه أبو داود والترمذى وصححه ، وابن ماجة ، وابن حبان فى صحيحه ، كلهم من رواية عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود عن أبيه . ولم يسمع منه وزادوا فيه : وشاهديه وكَاتبه .

وعن عون بن أبى جُحَيفَةَ عن أبيه رضى الله عنه قال : « لعن

---

(١) الربا فى اللغة : الزيادة ، يقال : ربا الشئ يربو ، وفى الشرع هو فضل مال بدون عوض فى معاوضة مال بمال ، والربا قسمان : ربا النسيئة وربا الفضل ، والصحيح أن الربا كله حرام لعموم النهى .

(٢) مؤكله بسكون الهمزة بعد الميم ، ويجوز إبدالها واواً يعنى : مُعطيه .

(٣) أى : متساوون فى الإثم والعقوبة .

رسول الله ﷺ الواشمة(١) والمستوشمة(٢) وآكلَ الربَا ، وموُكلَهُ ، ونهى عن ثمن الكلب(٣) ، وكَسْبِ البَغِيِّ(٤) ، ولعَنَ المصورين(٥) » .

رواه البخارى ، وأبو داود (قال الحافظ) : واسم أبى جُحَيفة : وهب بن عبد الله السوائى .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : آكلُ الربَا ، ومُوكلَهُ وشاهداه ، وكاتباه إذا علموا به (٦) ، والواشمَةَ والمُستَوشمَة للحُسن(٧) ولاوى الصَّدقَة(٨) ، والمرتَدُّ أعرابيّاً بَعد الهجرة(٩) ، ملعونونَ على لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

---

(١) أى : قاعلة الوشم وهى التى تغرز اليد أو العضو المراد وشمه بالإبرة ثم تذر عليه مادة خاصة فيظهر له لون أخضر .

(٢) أى : التى تطلب أن يفعل بها ذلك من أجل الجمال والزينة .

(٣) وهذا النهى يقتضى التحريم .. وكره أبو هريرة ثمن الكلب ورخص فى كلب الصيد خاصة ، وبه قال عطاء وإبراهيم ، وقال مالك فى الموطأ : أكره ثمن الكلب الضارى وغير الضارى لنهيه ﷺ عن ثمن الكلب .

(٤) أى : ما تأخذه من أجرة على الزنا ، والبغى هى التى تحترف الزنا .

(٥) يعنى : دعا عليهم بالطرد والبعد من رحمة الله ، والمراد تصوير ما فيه روح ، أما تصوير الشجر ونحوه فلا بأس به .

(٦) أى : علموا بأن المطلوب كتابته والشهادة عليه عقد ربا .

(٧) أى : للتجميل والتزين .

(٨) أى : مؤخرها عن وقت وجوبها ، أو المعرض عن إخراجها .

(٩) أى : أنه يعود إلى البادية فيسكنها بعد هجرته إلى الحاضرة .

رواه أحمد ، وأبو يعلى ، وابنُ خُزيمةَ ، وابنُ حبان فى صحيحيهما ، وزاد فى آخره : يوم القيامة[1] .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام .. حتى لا تكون من الملعونين المشار إليهم فى هذه الأحاديث الشريفة ولا سيما بالنسبة لموضوع الربا ... الذى هو من السبع الموبقات[2] .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشركُ بالله والسحرُ ، وقتلُ النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكلُ الربا ، وأكلُ مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات** » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

نسأل الله تعالى أن يعافينا من كل هذا ... اللهم آمين .



(١) يعنى : أنه ظرف للعن .. أى أنهم يوم القيامة يكونون مطرودين ومبعدين من رحمة الله .

(٢) أى : المهلكات .

(٥) المرأة التى لاَ تُؤدى للزوج حقَّه عليها ... وأيضاً التى تخرجُ من بيتِها بغيرِ إذْنهِ ...

فقد رُوِىَ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من خَثْعَمَ أتت رسولَ الله ﷺ ، فقالت : ياً رسول الله أخبرنى ما حَقٌّ الزوج على الزوجة فإنِّى امرأة أيِّم(١) ، فإن استطعتُ ، وإلا جلَسْتُ أيِّماً . قال : **« فإن حَقَّ الزوج على زوجته إن سألها نفسها وهى على ظهر قَتَب(٢) أن لا تمنعَهُ نفسَهَا ، ومن حَقِّ الزوج على الزوجة أن لا تَصوم تطوعاً(٣) إلا بإذنه ، فإن فعلت جاعت وعَطشَت ، ولا يُقبل منها(٤) ، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه ، فإن فعلت لعنتها(٥) ملائكة السماء ، وملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب حتى ترجع(٦) »** قالت : لا جرم(٧) ، لا أتزوج أبداً . رواه الطبرانى .

---

(١) يقال : آم الرجل من زوجته والمرأة من زوجها أى فقدها ، فهو وهى أيم ، والجمع أيائم وأيامى ، قال تعالى : ﴿ وأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ ﴾ .

(٢) يعنى : وهى راكبة على بعيرها .

(٣) كيوم الاثنين أو الخميس .

(٤) أى : لا ثواب لها عليه .

(٥) أى : دعت عليها باللعنة وهى الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى .

(٦) أى : تظل تدعو عليها باللعنة إلى أن تعود إلى بيتها .

(٧) أى : لا شك ، وقيل معناه : قطعاً أو حقّاً .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا دعا الرجلُ امرأتَهُ إلى فراشه فلم تأته**(١) **، فباتَ غضبانَ عليها : لعنتها الملائكةُ**(٢) **حتى تُصْبِحَ** » رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود والنسائى . وكذلك رواه أحمد والبيهقى كلهم عن أبى هريرة .

وفى رواية للبخارى ومسلم قال رسول الله ﷺ : « **والذى نفسي بيده ، ما من رجل**(٣) **يدعو امرأتهُ إلى فراشه**(٤) **فتأبى عليه**(٥) **إلا كان الذى فى السماء**(٦) **ساخِطاً عليها حتى يَرْضَى عنها**(٧) » .

وفى رواية لهما والنسائى : « **إذا باتت المرأةُ هاجرةً**(٨) **فراشَ زوجِها لعنتها الملائكة حتى تُصبِحَ**(٩) » .

فعلى الأخت المسلمة أن تلاحظ كل هذا حتى لا تكون من

---

(١) أى : امتنعت من إجابته بلا سبب .. كحيض أو نفاس ، أو مرض شديد .

(٢) أى : سبّتها وذمتها ودعت عليها .

(٣) ما نافية ومن زائدة لتأكيد استغراق النفى ورجل مبتدأ .

(٤) يعنى : يطلب إليها أن تدخل فى فراشه ليضاجعها ويستمتع بها أو هو كناية عن الجماع .

(٥) أى : ترد طلبه وتفوت عليه حظه .

(٦) وهو الله عز وجل .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى فى سورة الملك : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ ﴾ .

(٧) أى : زوجها .. أى : أن سخط الله لا يزول عنها إلا إذا رضى عليها وعفا عنها .

(٨) أى : تاركة وهو حال من المرأة .

(٩) أى : حتى الصباح .

الملعونات المشار إليهن فى هذه الأحاديث الشريفة .. وحسبها كذلك تحذيراً لها بالإضافة إلى كل ما وقفت عليه ، ما ورد :

عن زيد بن أرقمَ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **المرأة لا تؤدى حقَّ الله عليها حتى تؤدِّىَ حَقَّ زوجِهَا كُلَّه**(١) ، **ولو سألها وهى على ظَهْرِ قَتَبٍ لم تمنعه نفسَهَا** » رواه الطبرانى بإسناد جيد .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : «**لا ينظر الله تبارك وتعالى**(٢) **إلى امرأة لا تشكر لزوجها**(٣) **وهى لا تستغنى عنه**(٤) » رواه النسائى والبزار بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

والله الموفق للصواب .



---

(١) أى : ليس المراد أن تشتغل بحق الزوج عن حق الله تعالى ولكن المراد أنها لا تعتبر مؤدية لحق الله حتى تقوم بحق زوجها كاملاً فى الطاعة والرعاية وتمكينه من نفسها .

(٢) يعنى : نظر رحمة ورضا . والمراد أنه يكون ساخطاً عليها .

(٣) أى : لا تعترف بإحسانه وفضله ولا تقوم له بحقه عليها .

(٤) أى : أنها لا تستغنى عنه ، لأنه هو الذى يقوم بحمايتها والإنفاق عليها .

(٦) الذى ينتسبُ إلى غيْرِ أبيه أو يتولَّى غير مَواليهِ وهو يعلمُ أَنَه كاذَبٌ ..

عن يزيد بن شريك بن طارق التَّميميِّ قال : رأيت علياً رضى الله عنه على المنبر يخطب فسمعته يقول : لا والله ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله ، وما فى هذه الصحيفة فنشرها(١) ، فإذا أسْنَانُ(٢) الإبل وأشياءُ من الجراحات(٣) ، وفيها قال رسول الله ﷺ : « **المدينة حرام ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْر(٤) ، فمن أحدث فيها حدثاً(٥) ، أو آوى مُحدثاً(٦) : فعليه لعنة الله ، والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ، ولا صرفاً(٧) ، وذمَّةُ المسلمين واحدةٌ(٨) يسعى بها أدناهم(٩) ، فمن أخفر مسلماً(١٠) فعليه لعنة الملائكة والناس أجمعين ، ولا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً**

---

(١) أى : بسطها وفتحها ويقابلها الطى .

(٢) أى : مقادير أعمارها التى يجب إخراجها في الزكاة .

(٣) يعنى : ما يجب فيها من الأرش ونحوه .

(٤) عَيْر وثور : جبلان بالمدينة .

(٥) أى : جنى جناية .

(٦) أى : ضم إليه جانياً وقام بإخفائه .

(٧) العدل: الفداء ، والصرف : التوبة .

(٨) يعنى : أن عهد أحدهم ملزم لكلهم .

(٩) أى : أقلهم شأناً كالعبد والمرأة .

(١٠) أى : خانه ونقض عهده .

ولا صـرفـاً ، ومَنِ ادعى[1] إلى غير مـواليه[2] فـعليـه لعنة الله والملائكةِ والناسِ أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم الـقيامةِ عدلاً ولا صرفاً » رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود والترمذى والنسائى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهمـا قال : قال رسول الله ﷺ « **مَنِ ادَّعى إلى غـير أبيـه ، أو تولَّى غـير مـواليـه ، فعليـه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين** » رواه أحمد وابن ماجـة وابن حبان فى صحيحه .

وعن أنسٍ رضى الله عنه قال : سـمـعتُ رسـول الله ﷺ يقول : « **مَنِ ادعى إلى غير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه : فعليه لعنة الله المتتابِعَةُ[3] إلى يوم القيامة** » رواه أبو داود .

وقد ورد الترهيب من هذا الادعاء :

فعن سعد بن أبى وقـاص رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**مَنِ ادَّعى[4] إلى غير أبيه[5] وهو يعلم أنه غيـرُ أبيه[6] فالجنةُ عليه حرامٌ[7]** » .

---

(١) أى : انتسب .
(٢) أى : أسياده ومالكيه .
(٣) أى : الدائمة المستمرة ، أو التى يتبع بعضها بعضاً بلا انقطاع .
(٤) أى : زعم أنه له حقًا أو باطلاً .
(٥) يعنى : يبتغى بذلك الشهرة والجاه ورفعة النسب : لأن أباه خامل وضيع .
(٦) يعنى : وهو متيقن أنه كاذب فى ذلك الانتساب .
(٧) ظاهر الحديث أنه لا يدخلها أبداً لأنه كافر بالانتساب إلى غير أبيه ، وقيل معناه أنه لا يستحق دخولها ابتداء بل لابد أن يعذب بهذا الذنب إذا لم يغفر الله له .

رواه البخـارى ومسلم ، وأبو داود وابن ماجة ، عن سـعد وأبى بكرة جميعاً .

وعـن أبـى ذرٍّ رضـى الله عنه أنه سـمع رسـول الله ﷺ يقول : **« ليس من رَجُلٍ[1] ادَّعى بغير أبيه[2] وهو يعلم إلا كفر[3] ، ومن ادعى ما ليس لَه فليس منَّا وليتبوأ مقعدَهُ من النَّارِ[4] ، ومَنْ دَعَا رجُلاً بالكفر[5] ، أو قـالَ : عـدوُّ الله ولـيس كـذلك[6] إلا حَـارَ عليه[7] » .**

رواه البخارى ومسلم ، (حَـارَ) بالحاء المهملة والراء : أى رجع عليه ما قال .

فـعلى الأخ المسلم أن يلاحـظ كل هذا ، حـتى لا يحـدث منه هذا الادعاء المُرهَّبُ منه .. والله الموفق للصواب .

❁ ❁ ❁

---

(١) أى : ليس رجل ، فمن زائدة لتأكيد شمول النفى .

(٢) أى : زعم له أبا غير أبيه الحقيقى الذى ولد فى فراشه .

(٣) والمراد به كفر النعمة .

(٤) أى : فقد استحق دخول النار فعليه أن يتخذ له مكاناً فيها .

(٥) أى : ناداه بقوله يا كافر .

(٦) أى : وليس هذا الذى دعاه بالكفر أو العداوة لله .

(٧) أى : رجع عليه ما قال .

(٧) الكَاسياتُ العارياتُ .. والمُميلاتُ المَائِلاتُ .. والمُتشبِّهاتُ بالرِّجالِ ..

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يكونُ فى آخر أُمَّتِى(١) رِجَالٌ يركبونَ على سُرُجٍ(٢) كَأشباه الرجَال(٣) ، ينزلون على أبواب المساجد(٤) نساؤهم كَاسيَاتٌ عارياتٌ(٥) على رءوسهنَّ كَأسنمَة(٦) البُخت العجَاف(٧) العنُوهُنَّ(٨) ، فإنهُنَّ ملعونَاتٌ ، لو كانَ وراءكُم(٩) أُمَّةٌ من الأُمَمِ خدمَتْهُنَّ نساؤكُم كَمَا خدمَكُم نساءُ الأُمَمِ قبلَكُمْ » .

---

(١) يعنى : فى آخر الزمان قرب قيام الساعة .

(٢) هو بضمتين جمع سَرْج بفتح وسكون ، وهو للحصان كالرحل للبعير .

(٣) صفة لسرج ، يعني أنها عالية ضخمة كأنها رجال .

(٤) يعنى : أنهم لزيادة الترف والإغراق فى النعيم يذهبون إلى المساجد راكبين جيادهم فلا ينزلون عنها إلا على أبواب المساجد .

(٥) يعنى : أنهن يقصرن ثيابهن فيكشفن عن بعض أجسادهن كالسيقان والأذرع والصدور ... وقيل : المراد أنها تلبس ثوباً رقيقاً يصف حجم عظامها ويكشف عما تحته من جسدها فكأنها عارية .

(٦) جمع سنام وهو أعلى ظهر البعير .

(٧) البخت نوع من الإبل ، والعجاف أى المهازيل .

(٨) أى : ادعوا عليهن باللعنة والبعد عن رحمة الله .

(٩) يعنى : بعدكم .

رواه ابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « صِنْفَان من أَهْلِ النَّار لَمْ أَرَهُمَا[1] : قَوْمٌ مَعَهُم سِيَاطٌ[2] كأذناب البقَرِ يَضْرِبُونَ بَهَا النَّاسَ[3] ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِياتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ[4] ، رُءوسُهُنّ كَأسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَة[5] ، لا يَدْخُلْنَ الجَنةَ[6] ولاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا[7] وإَن رِيحَهَا ليُوجَدُ من مَسِيرَةِ كذا وكذَا[8] » .

رواه مسلم وغيره ، وكذلك رواه أحمد رحمه الله .

---

(١) يعنى : لم يجيئا في حياتى ولكنهما كائنان فى آخر الزمان .

(٢) جمع سوط ، وهو ما يضرب به من جلد مضفور ونحوه .

(٣) أى : ظلماً وتجبراً فى غير حد ولا تعزير .

(٤) يعنى : أنهن يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن ورءوسهن ، وقيل مائلات أى : زائغات منحرفات عن طاعة الله ، ومميلات يُعلمن غيرهن الدخول فى مثل فعلهن أو مائلات إلى الرجال مميلات لهم بما يُبدين من زينتهن .

(٥) أى : يُغطين رءوسهن باللفائف والعمائم وغيرها مما يُلف على الرأس حتى تشبه أسنمة البخت من الإبل .

(٦) قال **العلقمى** : « يتأول بتأويلين أحدهما : أنه محمول على من استحلت حراماً من ذلك مع علمها بتحريمه فتكون كافرة مخلدة فى النار ، والثانى : يحمل على أنها لا تدخل أولاً مع الفائزين » .

(٧) أى : لا يشمُمْن عرفها وطيبها .

(٨) أى : من مسيرة أربعين عاماً كما ورد .

وعن عـائشة رضـى الله عنهـا أن أسمـاء بنتَ أبى بكر[1] دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثيابٌ رقَاقٌ[2] ، فأعرضَ عنها رسول الله ﷺ . وقال : « **يا أسماءُ : إن المرأةَ إذا بلغت المحيضَ [3] لم يَصلُحْ أن يُرَى منْهَا إلا هذا[4] ، وأشار إلى وجهه وكَفَّيه** » .

رواه أبو داود ، وقـال : هذا مُرسل . وخـالد بن دريك لم يدرك عائشة . (والحديث)[5] وإن كان فيه ضـعف إلا أنه تقويه أحاديث صحاح فى إباحة رؤية الوجه والكفين عند أمن الفتنة .

هذا ، ولما كان هذا الموضـوع من الأمور الهامـة التى ينبغى على الأخت المسلمة أن تقف على أهم أحكامها حتى لا تكون بسبب الجهل بهذه الأحكام من أهل النار المشار إليهن فى الحديث الثانى :

فإننى أرى أن أزود الأخت المسلمة بالآتى :

فقد قرأت فى كتـاب (الحلال والحرام فى الإسلام)[6] ، تحت عنوان :

---

(١) وهى ذات النطاقين رضى الله عنها .

(٢) جمع رقيق ، وهو الثوب الذى يشف عما تحته ويصف حجم العظام .

(٣) أى : وصلت إلى تلك السن التـى ينزل فيـها دم الحـيض ، والمراد أنهـا بلغت . ومن علامـات بلوغها كـذلك : نبت شعـر فوق الفرج وحـواليه ، وتحت الإبطين ، وخروج المنى فى اليقظة أو فى النوم . (وهذا بالنسبة للذكر والأنثى) .

(٤) وفى رواية بزيادة (وهذا) .

(٥) كمـا أشار إلى هذا فى (الحـلال والحرام فى الإسـلام) صفـحة ١٦٤ (تحت عنوان : حدود إباحة النظر ..) .

(٦) للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى ـ بارك الله فيه .

لباسُ المرأةِ المسلمة :

ما نَصُّهُ :

وقد حرَّم الإسلام على المرأة أن تلبس من الثياب ما يصف وما يشفُّ عما تحته من الجسد ، ومثله ما يحدد أجزاء البدن ، وبخاصة مواضع الفتنة منه ، والثديين والخصر والإلية ونحوها .

وفى الصحيح عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر ..** » الحديث الذى وقفنا عليه قبل هذا .. ثم بعد ذلك يقول :

وإنما جعلن (كاسيات) : لأن الثياب عليهن ، ومع هذا فهُنَّ : (عاريات) : لأن ثيابهن لا تؤدى وظيفة الستر ، لرقتها وشفافيتها ، فتصف ما تحتها ، كأكثر ملابس النساء فى هذا العصر .

و (البُختُ) نوع من الإبل ، عظام الأسنمة ، شَبَّهَ رءوسَهُنّ بها، لَمَا يرفعن من شُعُورهنَّ على أوساط رؤوسهنَّ ، وكأنه ﷺ كان ينظر من وراء الغيب إلى هذا الزمان ، الذى أصبَحَ فيه لتصفيف شعور النساء وتجميلها وتنويع أشكالها خاصة (كوافير) يُشْرِفُ عليها غالباً رجال يتقاضون على عملهم أبهظ الأجور ، وليس ذلك فحسب ، فكثير من النساء لا يكتفين بما وهَبهُنَّ الله من شعر طبيعى ، فيلجأنَ إلى شراء شعر صناعى تصله المرأة بشعرها ، وليبدو أكثر نعومةً ، ولمعاناً وجمالاً ، ولتكون هى أكثر جاذبية وإغراء .

والعجيب فى أمر هذا الحديث أنه ربط بين الاستبداد السياسى

والانحلال الخُلُقى ، وهذا ما يصدقه الواقع ، فإن المستبدين يُشغلون الشعوبَ عادة ، بما يقوى الشهوات ، ويُلهى الناسَ بالمتاع الشخصى عن مراقبة القضايا العامة .

كما يقول بعد ذلك ، تحت عنوان :

تشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة

وأعلن النبى ﷺ أن من المحظور على المرأة أن تلبس لُبْسة الرجل ومن المحظور على الرجل أن يلبس لبسة المرأة(١) ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال(٢) . ويدخل فى ذلك المتشبه فى الكلام والحركة والمشية واللبسة وغيرها .

إن شر ما تصاب به الحياة ، وتبتلى به الجماعة ، هو الخروج على الفطرة ، والفسوق عن أمر الطبيعة ، والطبيعة فيها رجل ، وفيها امرأة ، ولكل منهما خصائصه ، فإذا تخنَّث الرجل ، واسترجلت المرأة ، فذلك هو الاضطراب والانحلال .

وقد عَدَّ النبى ﷺ ممن لعنوا فى الدنيا والآخرة ، وأمَّنت الملائكة على لعنتهم ، رجلاً جعله الله ذكراً فأنَّث نفسَهُ وتَشَبَّهَ بالنساء ، وامرأة جعلها الله أنثى ، فتذكَّرت ، وتشبَّهت بالرجال(٣) .

---

(١) والحديث الذى ورد فيه هذا النهى : رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) روى ذلك البخارى وغيره .

(٣) والحديث الذى ورد فيه هذا : رواه الطبرانى .

ومن أجل ذلك نهى النبى ﷺ الرجال عن لبس المُعَصفر من الثياب. روى مسلم فى (صحيحه) عن على قال : « نهانى رسول الله ﷺ عن التَّخَتّم بالذهب ، وعن لباس القسى(١) ، وعن لباس المعصفر » .

وروى أيضاً عن ابن عمر قال : رأى رسول الله ﷺ عَلَىَّ ثوبين مُعَصْفَرَيْنِ فقال : « **إن هذه من ثياب الكُفَّارِ فلا تَلْبَسْهَا** » .

كما أشار كذلك ، تحت عنوان :

عورة النساء

إلى خُلاصَةٍ هامّة ، قال فيها :

ومما تقدمَ ـ أىَ تحت عنوان : حدود إباحة النظر إلى الرجل أو المرأة ـ نعلم أن كل ما لا يجوز للمرأة إبداؤه من جَسَدِهَا فهو عورةٌ يجب سَتْرُهَا ، ويَحرُمُ كَشْفُهَا .

فعورتُها بالنِّسْبَةِ للرجال الأجانب عنها ، وكذلك النساءُ غير المسلمات جميع بدنها ما عَدا الوجه والكفين ، على ما اخترناه ، إذْ أُبيحَ كَشْفُهما ـ كما قال الرازى ـ للحاجة فى المعاملة والأخذ والعطاء ، فأمرن بسَتْرِ مَا لاَ تؤدِّى الضرورة إلى كشفه ، ورخَّصَ لهُنّ فى كشف ما اعتَيد كَشْفُه ، وأدَّت الضرورةُ إلى إظهاره ، إذْ كانت شرائع الإسلام حنيفية سمحة . قال **الرازى** : ولما كان ظهور

---

(١) نوع من الحرير .

الوجه والكفين كالضرورى ، لا جرم اتفقوا على أنهما ليسا بعورة . أما القدم فليس ظهورها بضرورى فلا جرم اختلفوا هل هى عورة أم لا ؟[1] .

وعورتها بالنسبة للأصناف الاثنى عشر المذكورين فى آية **النور**[2] تتحدد فيما عدا مواضع الزينة الباطنة من مثل : الأذن والعنق والشعر والصدر والذراعين والساقين ، فإن إبداء هذه الزينة لهؤلاء الأصناف قد أباحته الآية .

وما عدا ذلك من مثل : الظهر والبطن والسوأتين والفخذين ، فلا يجوز إبداؤه لامرأة أو لرجل إلا للزوج .

وهذا الذى يفهم من الآية أقرب ما ذهب إليه بعض الأئمة ، أن عورة المرأة بالنظر إلى المحارم ما بين السرة والركبة فقط . وكذلك عورتها بالنسبة إلى المرأة ، بل الذى تدل عليه الآية أدنى إلى ما قاله بعض العلماء : إن عورتها للمَحرم ما لا يبدو منها عند المهنة . فما كان يبدو منها عند عملها فى البيت عادة فللمحارم أن ينظروا إليه .

ولهذا أمر الله نساء المؤمنين أن يستترن عند خروجهنَّ بجلباب سابغٍ كاس ، يتميزن به عمن سواهن من الكافرات والفاجرات ، وفى هذا أَمر اللهُ نبيه أن يؤذن فى الأمة بهذا البلاغ الإلهى العام :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن

---

(١) تفسير الفخر الرازى ج٢٣ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

(٢) وهى رقم ٣١ .

جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ ﴾(١) من الآية ٥٩ . والجلاليب جمع جلباب ، وهو ثوب واسع كالملاءة تستتر به المرأة .

وكان بعض نساء الجاهلية إذا خرجن من بيوتهن كشفن عن بعض محاسنهنَّ ، من مثل النحر والعنق والشعر ، فيتبعهُنَّ الفساق والعابثون . فنزلت الآية الكريمة تأمر المرأة المؤمنة بإرخاء بعض جلبابها عليها ، حتى لا ينكشف شئ من تلك المفاتن من جسدها ، وبهذا يعرف من مظهرها أنها عفيفة مؤمنة ، فلا يتعرض لها ماجن أو منافق بإيذاء .

فالواضح من تعليل الآية أن هذا الأمر خوف على النساء من أذى الفساق ، ومعاينة المُجّان ، وليس خوفاً منهن ولا فقداناً للثقة بهنَّ ـ كما يَدّعى بعضهم ـ فإن المرأة المتبرجة بزينتها وثيابها ، أو المتكسرة فى مشيتها ، أو الطَّريَّة فى حديثها ، تُغْرى الرجال بها دائماً ، وتُطمع العابثين فيها ، وهذا مصداق الآية الكريمة : ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾(٢) .

وقد شدد الإسلام فى أمر التستر والتصون للمرأة المسلمة . ولم

---

(١) وتمام الآية : ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩)﴾ ، قال الإمام أبو حيان فى البحر المحيط عند قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ ﴾ أى : يعرفن لتسترهن بالعفة ، فلا يتعرض لهن ولا يلقين بما يكرهن ، لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر ، والانضمام لم يقدم عليها ، بخلاف المتبرجة فإنها مطموع فيها .

(٢) الأحزاب : من الآية ٣٢ .

يُرَخِّص فى ذلك إلا شيئاً يسيراً خَفَّفَ به عن عجائز النساء . قال تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) .

والمراد بالقواعد النساء اللاتى قعدن عن الحيض والولد لكَبرهِنَّ فلا يطمعن فى الزوج ، ولا يرغبن فى الرجال كما لا يرغبَ فيهن الرجال فهؤلاء قد خَفَّفَ الله عنهن ، ولم يجعل عليهنَّ حَرَجاً أن يضعن من بعض الثياب الخارجية الظاهرة كالملحفة والملاءة والعباءة والطرحة ونحوها .

وقد قيد القرآن هذه الرخصة بقوله : ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ أى : غير قاصدات بوضع هذه الثياب للتبرج ، ولكن التخفف إذا احتجن إليه.

ومع هذه الرخصة ، فالأفضل والأولى أن يتعفَّفْنَ عن ذلك ، طلباً للأكمل ، وبعداً عن كل شبهة ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ .

وقد تسأل الأخت المسلمة عن (النقاب) وهل هو فرض أم لا ؟ فأقول لها ما خلاصته : إن هذا الموضوع فيه خلاف بين العلماء .. وليس هناك اتفاق على فرضيته .. ومع هذا ، فإننى أقول لها : إذا كُنْتِ تخافين الفتنةَ على نفسك من جانب هؤلاء الذين لا خلاق لهم ـ

---

(١) النور : ٦٠ .

ولا سيما إذا كنت جميلة مُـغرية ـ أو إذا كنت تخافين على غيرك من الشـبـاب الجـائع والمحروم الـذى لا يملك (الباءة) التى يسـتطيع التزوج بها ، وذلك مـخافة أن يُفتن بك بتلك الصورة التى قـد تدفعه إلى ارتكاب جريمة أخلاقية لا يُحمـدُ عقباها ، والتى ستكونين السبب المباشر فيها [١] : فإننى أنصحُك بوضـع (الـنقاب) على وجهك ولو على سبيل الاحتياط.. والاحتياطَ فى الدين واجب ، والواجب ما يُثَابُ الإنسانُ على فعله ، ويُعَاقَبُ على تركه .. وهذا الرأى أيضاً : خُروجاً من الخلاف .. الذى نـسأل الله تعالى أن يُعـافينا جـميـعاً منه .. وأن يوفق الأُخت المسلمة وجميعَ المسلمين والمسلمات للعمل الصالح الذى من أهمه الالتزام بما أمر الله تعالى به ، واجتنابُ ما نهى الله عنه .

والله ولى التوفيق .



---

(١) وستُسألين عنهـا أمام الله تبارك وتعالى .. بل وستسـألين عن كل مَـن سيُفتن بك .. أو سيكون بعـد ذلك فاسـداً بسبب هذا الافتـتان بك ثم بغـيرك لأنك كنت المفتاح فى هـذا الشر الذى أسأل الله سبحـانه وتعالى أن يعافينا ويعـافى نساءنا وبناتنا منه . اللهم آمين .

(٨) المتشبِّهُونَ مِنَ الرجالِ بالنسَاءِ ..
والمتشبهاتُ مِنَ النساءِ بالرجالِ

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لعن رسول الله ﷺ **المتشبِّهينَ من الرجاَل بالنساء ، والمتشبهاتِ من النساء بالرجال .**

رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى ، وابن ماجة والطبرانى، وعنده :

أن امرأة مَرَّتْ على رسول الله ﷺ متقلدةً قوساً ، فقال : « **لعن الله المتَشبِّهَاتِ من النساء بالرجال ، والمتشبِّهين من الرجال بالنساء** » .

وفي رواية البخاري : لعن رسول الله ﷺ **المُخنَّثِينَ من الرجال ، والمترجِلاَت من النساء .**

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ **الرجُلَ يلبس لبسةَ المرأةِ ، والمرأةَ تلبَسُ لِبسةَ الرجل .**

رواه أبو داودَ والنسائى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم . وكذلك قال شارح الجامع : إسناده صحيح .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« **ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاقُّ لوالديْه ، والديُّوثُ ، ورجُلَةُ النساء** » رواه النسائى والبزار والحاكم ، واللفظ له ، وقال : صحيح الإسنادَ .

وتوضيحاً لكل ما ورد فى تلك الأحاديث الشريفة من أسباب اللعنة(١) :

فإن المراد من « **المتشبهين من الرجال بالنساء** » أى الرجال الذين يحاكون النساء فيما هو مختص بهن فيتكسرون فى مشيتهم ، ويرقِّقُون من أصواتهم ويُزَجِّجُون حواجبهم ، ويصفِّفُون شعورهم ، ويلبسون الرقيق من الثياب ، وغير ذلك مما نشاهده الآن من الشباب المتحلل الذين يُسمونهم الخنافس ، الذين فقدوا رجولتهم ، وأصبحوا أشبه بالفتيات منهم بالرجال .. بتلك الصورة المنثنية المشار إليها فى قول الشاعر المصرى الغيور(٢) :

شبابَ النيل يا زين الشباب ... ويا أشبال آساد غِضَاب

مَعِى عَتبٌ أُوَجِّهُهُ إليكم ... وقد تَصْفُو المودَّة بالعتاب

إلى أن يقول بعد ذلك واصفاً هؤلاء الشباب الذين يريد أن يُوجِّهَ إليهم عتابه :

لزهر النرد (٣) قد خُلِقَتْ يداه ... وليست لليراعِ(٤) وللكتاب

---

(١) كما جاء فى هامش (الترغيب والترهيب) للشيخ خليل الهراس رحمه الله تعالى.. بتصرف يسير .. مع إضافات موضوعية .

(٢) وهو الأستاذ محمود غنيم (رحمه الله) .

(٣) وهو الزهر الذى يلعب به فى (الطاولة) أو غيرها .

(٤) واليراع : أى القلم .

تفنَّنَ فى مُحاكَاة العَذارى وخالفْهُنَّ في وضعِ النِّقَاب(١)
وأرسل شعره المضغوط يحكى وميضَ البرقِ أو لمعَ السَّراب(٢)
له حُلَلٌ تُحاكى الطيفَ لونًا بأزرارٍ من الذَّهبِ اللُّباب(٣)

ثم يقول بعد ذلك كلاماً له أبعاده من الألم والحسرة :

إذا الذئبُ استحال بِمصْرَ ظبْياً فمن يَحمِي البلادَ من الذِّئاب
بَرِئْتُ من الفتى يَبدُو فتبدُو عليه نُعُومَةُ البِيضِ الكِعَابِ

وإن المراد من (**المتشبهات من النساء بالرجال**) : فهن هؤلاء النسوة اللاتى يحاكين الرجال فى مشيتهم وأصواتهم وحركاتهم ويلبسن مثل ثيابهم .. الخ .

قال فى النهاية فى توضيح معنى (المتشبهات بالرجال) أى : فى زيهم وهيئتهم ، وأما فى العلم والرأى فمحمود ، والسبب فى لعن الله للمتشبهين من الرجال بالنساء وبالعكس أن ذلك تغيير لخلق الله وخروج عن الصفة التى وضعهم عليها أحكم الحاكمين .

وعلى هذا ، فإنه لا يجوز لرجل أن يتشبه بامرأة فى نحو لباس

---

(١) إنه يقول هذا .. يوم أن كان هناك نقاب تتزين به المرأة المصرية والمسلمة بصفة خاصة .

(٢) السراب : هو الذى تراه نصف النهار كأنه ماء (مختار الصحاح) .

(٣) أى : من الذهب الخالص .

أو هيئة ولا عكسه لما فيه من تغيير خلق الله تعالى .. وذلك بوضع المساحيق الملونة على الوجه ، وكذلك ما يسمى بـ (المونيكير) على أظافر اليدين والرجلين .. وهذا بالإضافة إلى حرمته سيكون حائلاً بين وصول الماء إلى أصل البشرة أثناء الوضوء أو الغُسل .. فلو حدث أن توضأت المرأة أو اغتسلت مع وجود هذا الحائل .. فإن الوضوء سيكون باطلاً ، وكذلك سيكون الغُسل باطلاً .

وقد رفض الإسلام الغلُوَّ فى الزينة إلى الحد الذى يُفضى إلى تغيير خلق الله ، الذى اعتبره القرآن من وحى الشيطان ، الذى قال عن أتباعه : ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾(١) .

هذا بالإضافة إلى الحركة المترتبة على هذا ، والمشار إليها فى قول النبى ﷺ : « **أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية** »(٢) .

وأما عن المخنثين من الرجال ، فهو جمع مخنث ، وهو من يشبه خلقه النساء فى حركاته وسكناته وكلامه وغير ذلك ، فإن كان من أصل الخلقة لم يكن عليه لوم وعليه أن يتكلف خلاف ذلك ، وإن كان بقصد منه وتكلف فهو المذموم ، ويطلق عليه اسم المخنث سواء فعل

---

(١) النساء : من الآية ١١٩ .

(٢) قال المنذرى : رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ورواه الحاكم أيضاً وقال : صحيح الإسناد .

الفاحشة أو لم يفعلها ، وهو مأخوذ من خنث يخنث إذا لانَ وتكسَّر ، كما يفعله النساء ، لا الذى يأتى الفاحشة الكبرى (والعياذ بالله) .

نسأل الله تعالى أن يعافينا جميعاً رجالاً ونساء من كل هذا .. اللهم آمين .



(٩) الوَاصلةُ والمستوصلةُ ، والواشمَةُ والمستوشمةُ والنَّامِصَةُ والمتَنَمِّصَةُ والمتفلِّجَة للحسن

عن أسماءَ رضى الله عنها أن امرأةً سألت النبىَّ ﷺ فقالت : يا رسول الله.. إن ابنتى أصابتها الحصبَة[1]فتَمرَّقَ[2] شعرها ، وإنِّى زَوَّجْتُهَا ، أفأصل فيه ؟ فقال : « **لَعَنَ الله الواصلَةَ والموصُولَة** » .

وفى روايةَ : قالت أسماء رضى الله عنهَا : «**لعن النبى ﷺ الواصلَةَ والمستوصلةَ** » رواه البخارى ومسلم وابن ماجة .

وعَن ابن عمر رضى الله عنهما « **أن رسول الله ﷺ لعنَ الواصلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ ، والواشمَةَ والمُسْتَوشمَةَ** » .

رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « **لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن المغيرات خَلق الله ، فقالت له امرأة فى ذلكَ[3] ، فقال : ومالى[4]**

---

(١) هى بفتح فسكون وبفتحتين وبفتح أوله وكسر ثانية مرض مُعْد يخرج بثوراً فى الجلد ويسبب حمى وبحة فى الصوت غالباً وأكثره سليم العاقبة إن شاء الله .

(٢) (تمرق) بالراء المشددة وروى بالزاى المعجمة بمعنى تساقط .

(٣) فى ابن ماجة : (فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت إليه فقالت : بلغنى أنك قلت كيت وكيت ...) .

(٤) ما استفهامية يعنى : أى شئ ثبت لى .

لا ألعنُ مَن لعنه رسول الله ﷺ ، وفى **كتاب** الله قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(١) .

رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « **لُعنَت الواصلَة والمستوصلَةُ ، والنَّامِصَةُ والمُتَنَمِّصَةُ ، والواشِمة والمَستَوشمة مَن غير داء** »(٢) .

رواه أبو داود وغيره .

وعن عائشة رضى الله عنها أن جارية من الأنصار تزوَّجت ، وأنها مَرضَتْ فَتَمعَّطَ شَعْرُهَا(٣) فأرادوا أن يَصلُوها(٤) ، فسألوا النبى ﷺ ، فقال : « **لعن الله الواصلَةَ والمُستَوْصلَةَ** » .

وفى رواية : أن امرأة من الأنصار زَوَّجَت ابنَتهَا فتمعَّطَ شعرُ رأسهَا ، فجاءت إلى النبى ﷺ ، فذكرت ذلك له ، وقالت : إن زوجها أمرنى أن أصِلَ فى شعرها ، فقال : « لا ، إنه قد لُعِنَ الموصولاتُ(٥)» رواه البخارى ومسلم .

---

(١) الحشر : من الآية ٧ . (٢) أى : من غير مرض يدعو إلى هذا .

(٣) تمعَّط شعرها : أى : تساقط .

(٤) يعنى : أن أهلها أرادوا أن يجعلوا لها شعراً مستعاراً .

(٥) قال فى « الحلال والحرام فى الإسلام » : والذى دلت عليه الأحاديث إنما هو وصل الشعر بالشعر ، طبيعياً كان أو صناعياً ، فهو الذى يحمل معنى التزوير والتدليس ، فأما إذا وصلت شعرها بغير الشعر من خرقة أو خيوط ونحوها ، فلا يدخل فى النهى .

هذا ، وإذا كان لنا بعد كل تلك الأحاديث الشريفة أن نعرف المراد من كل تلك المسميات المنهى عن فعلها ، والتى هى السبب المباشر في كل تلك اللعنات المشار إليها فيها :

فإن (الواصلَةَ) : هى التى تصل الشعر بشعر النساء ، سواء وصلته بشعرها أَو بشعر غيرها . وهى التى تتخذ ذلك مهنة لها .

و (المُستَوصِلَةَ) : هى المعمول بها ذلك ، قال **الطبرى** : « لا يجوز للمرأة تغيير شئ من خلقتها التى خلقها الله عليها بزيادة أو نقص التماساً للحسن لا للزوج ولا لغيره كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما توهم البلج(١) أو عكسه ، ومن تكون لها سنٌّ زائد فتقلعها ، أو طويلة فتقطع منها ، أو لحية أو شارب أَو عنفقة فتزيلها بالنتف ، ومن يكون شعرها قصيراً أو حقيراً فتُطوله أو تُعززه بشعر غيرها ، فكل ذلك داخل في النهى ، وهو من تغيير خلق الله تعالى ، قال : ويُستثنى من ذلك ما يحصل الضرر به والأذية ، كمن لها سن طويلة أو زائدة تُعيقُها فى الأكل، أو أصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها : فيجوز ذلك ، والرجل فى هذا الأخير كالمرأة » .

و (الواشمة) : هى التى تغرز اليد أو الوجه بالإبر ، ثم تحشو ذلك المكان بكحل أو مداد(٢) لتغيير اللون .

---

(١) يقال : رجل (أبلج) بيِّن البلج إذا لم يكن مقروناً (مختار الصحاح) .

(٢) أى : الحبر الأزرق .

و (المُسْتَوشمة) : هى المعمول بها ذلك .

و (النَّامصةَ) : هى التى تنقش الحاجب حتى ترقه ، كذا قال أبو داود ، وقال **الخطابى** : هو من النَّمص ، وهو نتف الشعر عن الوجه .

و (المُتَنَمِّصَة) : هى المعمول بها ذلك ، قال **النووى** : (يُستثنى من النَّماص ما إذا نبت للمرأة لحية أو شارب أو عنفقة : فلا يحرم عليها إزالتها ، بل يستحب ، قالوا : ويجوز الحف والتحمير والنقش والتطريف إذا كان بإذن الزوج لأنه من الزينة ، وقد أخرج الطبرى من طريق أبى إسحاق عن امرأته أنها دخلت على عائشة ، وكانت شابة يُعجبها الجمال، فقالت : المرأة تحف جبينها لزوجها ، فقالت : أميطى عنك الأذى ما استطعت) .

وقال **النووى** : (يجوز التزين بما ذكر إلا الحف فإنه من جملة النماص) .

و (المُتفلِّجة للحسن) : أى : هى التى تفلج أسنانها بالمبرد ونحوه للتحسين ، أى : من أجل الحسن وهو متعلق بالمتفلجات فقط وقيل بالكل ومعنى : (المغيِّرات خلق الله) : أى : خلقة الله التى خلقهن عليها .

وإتماماً للفائدة ، فإننى أحب كذلك بعد كل هذا التذكير والتحذير الذى وقفنا عليه ، أن أزود الأخت المسلمة بصفة خاصة بما جاء فى كتاب: (الحلال والحرام فى الإسلام) ، تحت عنوان :

تحريم الوشم وتحديد الأسنان وجراحات التجميل

فلقد قال ما نَصُّه :

ومن ذلك وشم الأبدان ، ووشر الأسنان ، وقد « **لعن الرسول ﷺ الواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة** »(١) .

أما الوشم ففيه تشويه للوجه واليدين بهذا اللون الأزرق والنقش القبيح ، وقد أفرط بعض العرب فيه ـ وبخاصة النساء ـ فنقشوا به معظم البدن . هذا إلى أن بعض أهل الملل كانوا يتخذون منه صوراً لمعبوداتهم وشعائرهم يرسمونها على أيديهم وصدورهم .

أضف إلى هذه المفاسد ما فيه من ألم وعذاب بوخز الإبر فى بدن الموشوم .

كل ذلك جلب اللعنة على من تعمل هذا الشئ (الواشمة) ومن تطلب ذلك لنفسها (المستوشمة) .

وأما وشْر الأسنان ، أى تحديدها وتقصيرها ، فقد لعن الرسول ﷺ المرأة التى تقوم بهذا العمل (الواشرة) ، والمرأة التى تطلب أن يعمل ذلك بها (المستوشرة) . ولو فعل رجل ذلك ، لاستحقَّ اللعنة من باب أوْلى .

وكما حرم الرسول ﷺ وشر الأسنان حرم التفلُّجَ ، و « **لعنَ**

---

(١) رواه مسلم .

المُتفَلِّجات للْحُسْنِ ، المغيرات خلق الله »(١) ، والمُتَفَلِّجَة هى التى تصنع الفلج أو تطلبه ، والفَلَجُ : انفراج ما بين الأسنان ، ومن النساء من يخلقها الله كذلك ، ومنهن من ليست كذلك ، فتلجأ إلى برد ما بين الأسنان المتلاصقة خلقة ، لتصير متفلجة صناعة ، وهو تدليس على الناس ، وغُلُوٌّ فى التَّزيُّنِ تأباه طبيعة الإسلام .

وبهذه الأحاديث الصحيحة تعرف الحكم الشرعى فيما يعرف اليوم باسم (جِراحَات التَّجميل) التى روَّجتها حضارة الجسد والشهوات - أعنى الحضارة الغربية المادية المعاصرة - فترى المرأة أو الرجل ينفق المئات أو الآلاف ، لكى تعدل شكل أنفها ، أو ثدييْهَا أو غير ذلك ، فكل هذا يدخل فيمن لعن الله ورسوله ، لما فيه من تعذيب للإنسان ، وتغيير لخلقة الله ، بغير ضرورة تلجئ لمثل هذا العمل إلا أن يكون الإسراف فى العناية بالمظهر ، والاهتمام بالصورة لا بالحقيقة ، وبالجسد لا بالروح .

« أما إذا كان في الإنسان عيب شاذ يلفت النظر كالزوائد التى تسبب له ألمًا حسيًّا أو نَفْسَانيًا كُلّمَا حَلَّ بمجلس ، أو نزل بمكان ، فلا بأس أن يعالجه ، ما دام يبغى إزالة الحرج الذى يلقاه ، ويُنَغِّصُ عليه حياته ، فإن الله لم يجعل علينا فى الدين من حرج »(٢) .

ولعل ما يؤيد ذلك أن الحديث لعن (المتفلجات للحسن) فيفهم

---

(١) رواه البخارى ومسلم من حديث ابن مسعود .

(٢) المرأة بين البيت والمجتمع ، للأستاذ البهى الخولى ص ١٠٥ - ط ثانية .

منه أن المذمومة من فعلت ذلك لا لغرض إلا لطلب الحسن والجمال الكاذب ، فلو احتاجت إليه لإزالة ألم أو ضرر ، لم يكن فى ذلك بأس والله أعلم .

فعلى الأخت المسلمة بصفة خاصة أن تلاحظ كل هذا ، حتى لا تكون : واصلة أو مستوصلة ، أو واشمة أو مستوشمة ، أو نامصة أو متنمصة ، أو متفلجة للحسن .. وحتى لا تكون بسبب كل هذا من الملعونات (والعياذ بالله) .

وحسبها أن تعلم كذلك أن الجمال الحقيقى ليس فى المظهر .. وإنما ينبغى أن يكون فى المخبر الذى يؤكد حسن خلق المرأة . . ولا مانع أن تكون الأخت المسلمة حسنة المظهر والمخبر على أساس دينى سليم قويم .

والله الموفق للصواب .



(١٠) الرَّاشِي والمُرتَشِي والرَّائِش

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، قَالَ : «**لعن**[١] **رسول الله ﷺ الرَّاشِي والمُرتَشِي** » .

رواه أبو داود والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح . وابن ماجة ، ولفظه : قال رسول الله ﷺ : « **لعنةُ الله على الرَّاشِي والمُرتَشِي** » وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

وعنه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **الرَّاشِي والمُرتَشِي فى النَّارِ** » .

رواه الطبرانى ، ورواته ثقات معروفون[٢] ، ورواه البزار بلفظه من حديث عبد الرحمن بن عوف .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **لعن رسول الله ﷺ الرَّاشِي والمُرتشى فى الحكم** ».

رواه الترمذى وحسَّنه ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم[٣] ، وزادوا : والرائش ، يعنى الذى يسعى بينهما .

---

(١) أى : دعا باللعنة والبعد عن رحمة الله ، أو أخبر عن لعن الله لهؤلاء .

(٢) ورواه الدارقطنى ، قال الترمذى : وقواه الدارمى وإسناده صحيح لا مطعن فيه كما قال الشوكانى ، وكما رأينا فى سنده عند ابن ماجة .

(٣) وكذلك رواه أحمد رحمه الله .

وعن أُمِّ سلمةَ رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **لعن الله الراشِي والمُرتَشِي فى الحُكْم** » رواه الطبرانى بإسناد جيد .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : الرشوة فى الحُكم كُفْرٌ[1] ، وهى بين الناسِ سُحْتٌ[2] . رواه الطبرانى موقوفاً بإسناد صحيح .

والراشى : هو دافع الرشوة . والمرتشِى : هو القابض لها .

والرائش : هو الواسطة بينهما .

هذا ، وإذا كان الرسول ﷺ قد قال : « **الراشى والمرتشى فى النار** » : فقد قرأت فى هامش الترغيب والترهيب[3] حول هذا :

أن الراشى يستحق ذلك الوعيد إذا كان يريد بدفع الرشوة أن يُعان على الباطل ، أو أخذ ما لا حَقَّ له فيه ، أو تقدماً على مَن هو أولى منه ، وأما ما يُعطيه توصُّلاً إلى أخذ حق لا سبيل إلى تحصيله إلا بالرشوة ، أو توسُّلاً إلى دفع ظُلم : فهذا غير داخل تحت الوعيد .. فقد رُوِى أن ابن مسعود أُخِذَ بأرضِ الحبشة فى شئ ، فأعطى دينارين حتى أُخْلِىَ سبيله .

وروى عن جماعة مِن أئمة التابعين : قالوا : لا بأس أن يُصَانِعَ

---

(١) وذلك لأن الرشوة ستُعينه على الحكم بغير ما أنزل الله ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) ﴾ .

(٢) أى : حرام لا يحل أكله ، وسُمِّىَ الحرام سُحْتاً لأنه يسحت البركة أى يُهلكها .

(٣) للشيخ خليل الهراس ـ رحمه الله تعالى .

الرجل عن نفسه وماله إذا خاف الظلم ، ومنع ذلك الشوكانى وقال : (فالحق التحريم مطلقاً أخذاً بعموم الحديث ، ومَن زعم الجواز فى صورة من الصور ، فإن جاء بدليل مقبول ، وإلا كان تخصيصه رَدّاً عليه ، فإن الأصل فى مال المسلم التحريم) .

وأنا شخصياً مع هذا الرأى الأخير .. لأن عكس هذا سيكون معناه أننا بهذا سنشجع المرتشين على أكل أموال الناس بالباطل .. وهذا أمر تأباه الشريعة ولا توافق عليه .

ومن أجمل ما قرأت حول هذا الموضوع ما جاء فى كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام) تحت عنوان :

الرِّشْوَةُ حَرَامٌ

فلقد قال[1] ما نصه : ومنْ أكْل أموال الناس بالباطل أخذُ الرشوة ، وهى مَا يُدفَعُ من مَالٍ إلى ذى سُلطان أو وظيفة عامَّة ، ليحكم له أو على خصمه بما يريده هو ، أو يُنجزٍ له عملاً أو يؤخرٍ لغريمه عملاً ، وهلُمَّ جَرّاً .

وقد حَرَّم الإسلام على المسلم أن يسلك طريق الرشوة للحكام وأعوانهم ، كما حَرَّم على هؤلاء أن يقبلوها إذا بُذلَتْ لهم . وحظر على غيرهم أن يتوسَّطُوا بين الآخذين والدافعين .

---

(١) وهو الدكتور يوسف القرضاوى ـ أكرمه الله .

قال تعالى : ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) ﴾(١) .

وقال ﷺ : « **لعنة الله على الراشى والمرتشى فى الحكم** »(٢) .

وعن ثوبان قال : لعن رسول الله ﷺ : « **الراشى والمرتشى والرائش**»(٣) . والرائش : هو الوسيط بين الراشى والمرتشى(٤) .

وإذا كان آخذ الرشوة قد أخذها ليظلم فما أشد جرمه ! وإن كان سيتحرى العدل فذلك واجب عليه لا يؤخذ فى مقابله مال .

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة إلى اليهود ليُقَدِّرَ ما يجب عليهم فى نخيلهم من خَراج ، فعرضوا عليه شيئاً من المال يبذلونه له ، فقال لهم : « **فأمَّا ما عرضتم من الرشوة فإنها سُحْتٌ وإنَّا لا نأكلها**»(٥) .

ولا غرابة فى تحريم الإسلام للرشوة ، وتشديده على كل من اشترك فيها ، فإن شيوعها فى مجتمع شيوع للفساد والظلم ، من حُكم بغير الحق ، أو امتناع عن الحكم بالحق ، وتقديم مَن يستحق التأخير ، وتأخير من يَستَحِقُّ التقديم وشيوع روح النفعية فى المجتمع لا روح الواجب .

---

(١) البقرة : ١٨٨ .

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه .

(٣) أخرجه أحمد والحاكم .

(٤) وقد سبق الإشارة إلى هذه الأحاديث ، وقد أعيد ذكرها للتأكيد والفائدة .

(٥) أخرجه مالك .

ثم يقول (الدكتور يوسف القرضاوى) بعد ذلك تحت عنوان :

هدايا الرعية إلى الحكام

والإسلام يُحرم الرشوة فى أى صورة كانت ، وبأى اسم سُمِّيتْ ، فتسميتها باسم (الهدية) لا يخرجها من دائرة الحرام إلى الحلال .

وفى الحديث : « **من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً - أى منحناه راتباً - فما أخذه بعد ذلك فهو غُلولٌ** »(١) .

وأُهدىَ إلى عمر بن عبد العزيز هدية - وهو خليفة - فردها ، فقيل له: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ! قال : كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة .

وبعث الرسول ﷺ والياً يجمع صدقات (الأَزد) - قبيلة - فلما جاء إلى الرسول ﷺ أمسك بعض ما معه وقال : هذا لكم وهذا لى هدية ، فغضب النبى ﷺ وقال : « **ألا جَلَستَ فى بيتِ أبيكَ وبَيْتِ أُمِّكَ حتى تأتيكَ هديتك إن كُنْتَ صادقاً ؟! ثم قال : ما لي أستعمل الرجل منكم فيقول : هذا لكم وهذا لى هدية ؟ ألا جلس في بيت أُمِّه ليُهدىَ له ! والذى نفسى بيده ، لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حق إلا أتى الله يحمله - يعنى يوم القيامة - فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رُغاء ، أو بقرة لها خُوار ، أو شاة تيعر !! ثم**

---

(١) رواه أبو داود ، والغُلُول ، هو : السرقة من المغنم .

رفع يديه حتى رُئيِ بَياض إبطيه ثم قال : اللهم هل بلغتُ» ؟[1].

وقال الإمام الغزالي : « إذا ثبتت هذه التشديدات ، فالقاضي والوالي – ومن في حكمهما – ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أُمِّه وأبيه ، فما كان يُعطى بعد العزل وهو في بيت أُمه يجوز له أن يأخذ في ولايته ، وما يعلم أنه يُعطاه لولايته فحرام أخذه ، وما أشكل عليه من هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يُعطونه لو كان معزولاً ؟ فهو شُبهة فليجتنبه»[2] .

كما يقول أيضاً بعد ذلك تحت عنوان :

الرشوة لرفع الظلم

ومن كان له حق مُضَيَّع لم يجد طريقة للوصول إليه إلا بالرشوة أو وقع عليه ظلم لم يستطع دفعه عنه إلا بالرشوة ، فالأفضل له أن يصبر حتى يُيَسِّر الله له أفضل السُّبُل لرفع الظلم ، ونَيْل الحق .

فإن سلك سبيل الرشوة من أجل ذلك فالإثم على الآخذ المرتشي ، وليس عليه إثم الراشي في هذه الحالة ما دام قد جرب كل الوسائل الأخرى فلم تأت بجدوى ، وما دام يرفع عن نفسه ظلماً أو يأخذُ حقاً له دون عدوان على حقوق الآخرين .

---

(١) متفق عليه .

(٢) (إحياء علوم الدين) كتاب الحلال والحرام من ربع العادات ص ١٣٧ .

وقد استدل بعض العلماء على ذلك بأحاديث الملحفين الذين كانوا يسألون النبى ﷺ من الصدقة فيعطيهم وهم لا يستحقون ، فعن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إن أحدكم ليخرج بصدقته من عندى مُتَأبِّطَهَا - أى يحملها تحت إبطه - وإنما هى له نار ! قال عمر : يا رسول الله كيف تعطيه وقد علمتَ أنها نار له ؟ قال : فما أصنع ؟ يأبونَ إلا مسألتى ويأبى الله عز وجل لى البُخل** »(١) .

فإذا كان ضغط الإلحاح جعل الرسول ﷺ يعطى السائل ما يعلم أنه نار على آخذه ، فكيف يكون ضغط الحاجة إلى دفع ظلم أو أخذ حق مُهْدَر؟!

فعلى الأخ المسلم - فى أى موقع من المواقع - أن يلاحظ كل هذا .. حتى لا يكون رَاشياً أو مُرتشياً أو رائشاً .. وحتى لا يكون - والعياذ بالله - من الذين يأكلون حراماً فيكون بسبب هذا من أهل النار :

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « **يا كعب بن عُجرةَ إنه لا يدخل الجنة لحمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ** » رواه ابن حبان في صحيحه .

وعن كعب بن عُجرةَ رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله

(١) رواه أبو يعلى بإسناد جيد ، وروى أحمد نحوه ، ورجاله رجال الصحيح .

ﷺ : «يا كعبُ بن عُجـرةَ : إنه لا يدخُل الجنة لحمٌ ودَمٌ نبتَا على سُحْت ، النار أولى به(١) ، يا كعبُ بن عُجرة : الناسُ غاديان(٢) ، فغَاد فَى فَكَاك نفسه فَمُعْتقهَا(٣) ، وغادٍ موبقُهَا(٤) » رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه .

أسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من أهل الجنة لا من أهل النار اللهم آمين ... اللهم آمين .. اللهم آمين .



---

(١) كان مقتضى الظاهر أن يقول (بهما) بالتثنية ولكنه أفرد الضمير لأنه أراد الجسم الذى هو مجموع اللحم والدم ، أى النار أحق بذلك الجسم الذى نما على أكل الحرام.

(٢) أى : ذاهبان ومنطلقان .

(٣) أى : فعامل لتحرير نفسه وتخليصها من عذاب الله .

(٤) أى : مهلكها بكثرة معاصيه .

(١١) الذين إذَا استُرحِمُوا لم يَرْحموا ، وإذا حكمُوا لم يعدلــوا ، وإذا عاهدوا لم يوفوا ...

عن أبى سعـيد الخُدرىّ رضى الله عنه قال : قـامَ رسـول الله ﷺ على بيت فيه نفرٌ من قُريش ، فأخَذَ بعَضَادَتَى الباب(١) فقال : « **هل فى البـيْت إلاّ قُـرَشِىٌّ ؟ فقَّـالوا : لاَ ، إلا ابنَ أُخت لنا . قـال : ابنُ أخت القـوم منـهم ، ثم قـال : إن هذا الأمـرَ(٢) فَى قُـريْش مـا إذا استُرحمُوا رَحمُوا ، وإذا حكمـوا عَدلوا ، وإذا قسموا أقسطُوا(٣) ، ومن لَم يفـعلَ ذلك فعليـه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمـعين** » رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط ، ورواته ثقات .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنا فى بيت فـيه نفر من المهاجرين والأنـصار ، فأقبل علينا رسـول الله ﷺ ، فـجعل كُلُّ رَجُل يُوسِّعُ رجاء أن يجلس إلى جنبه ، ثم قامَ إلى الباب فأخذ بعَضَادَتَيْه، فقال : « **الأَئِمَّةُ مِنْ قُرِيشٍ(٤) وَلِىَ عَلَيْكُم حَقٌّ عَظِيمٌ ، ولهُمْ ذلكَ مَا**

---

(١) وهما خشبتان من جانبيه .

(٢) يعنى الخلافة .

(٣) يعنى : مدة تمسكهـم بهذه الخلال الكريمة من الرحـمة بالضعـيف ، والعدل فى الأحكام، والتسوية فى القسمة .

(٤) هذه الجملة قد تواترت عنه ﷺ واحـتج بها أبو بكر رضى الله عنه على الأنصار عليهم رضوان الله .

فَعَلُوا ثَلاثاً : إذَا اسْتُرحِمُوا رَحِمُوا ، وإذا حَكَمُوا عَدَلُوا ، وإذا عَاهَدُوا وَفَّوْا ، فمن لَمْ يفعل ذَلك فعليه لعنةُ الله والملائكة والناسِ أجمعين » رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن واللفظ له وأحمد بإسناد جيد ، وتقدم بلفظه ، وأبو يعلى ، ورواه ابن حبان فى صحيحه مختصراً من حديث أبى هريرة .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً أو دجاجةً يترامَوْنَهَا(١) ، وقد جعلُوا لصَّاحب الطيْرِ كلَّ خاطئة من نَبْلِهمْ(٢) ، فلما رأَوْا ابن عُمر تَفَرَّقُوا ، فَقَالَ ابنُ عُمر : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ لعَنَ الله مَن فَعَل هَذَا ، إن رسول الله ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئاً فيه الرُّوحُ غَرَضاً(٣) .

رواه البخارى ومسلم .

ففى هذه الأحاديث الشريفة ـ بالإضافة إلى غيرها ـ يُشير الرسول ﷺ إلى أهمية خُلُقِ الرحمة .. وأنه إذا نُزِعَت الرحمةُ من قلب العبد استحق لعنةَ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين .. وذلك لأن الرحمة من أهم أخلاق المؤمنين ... بل لَن يتحقق الإيمان إلا به .. ولن يكون العبد أهلاً لرحمة الله إلا به .

فعن جَرِير بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) أى : يتخذونها غرضاً يرمونه بالنبال على هيئة الرهان .

(٢) أى : جعلوا له أجرة على ذلك كل السهام التى تخطئ المرمى .

(٣) وهو ما ينصبه الرماة يقصدون إصابته من قرطاس وغيره .

«**من لا يَرحم النـاسَ لا يرحَـمـهُ الله**[1] » رواه البـخارى ومـسلم والترمذى ، ورواه أحمد وزاد : « **ومَنْ لا يَغْفِرُ لاَ يُغفَرْ له** »[2] .

وهو فى المسند أيضاً من حديث أبى سعيد بإسناد صحيح .

وعن أبى موسـى رضـى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقـول : « **لن تؤمنوا حتى تراحموا**[3] **قالوا : يا رسول الله كُلُّـنا رحيمٌ ؟ قال : إنه ليس برحمةِ أحدكُم صاحبَهُ**[4] **، ولكنهـا رحمــةُ العامَّة** »[5] رواه الطبرانى ، ورواته رواة الصحيح .

وعن ابن مـسعـود رضـى الله عنه قال : سـمعتُ رسـول الله ﷺ يقول : « **من لم يَرحَمِ الناس لم يرحمه الله** » رواه الطبرانى بإسناد حسن .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضـى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **الراحمُـونَ يرحُمُهُم الرَّحْمن ، ارحَـموا مَن فى الأرضِ يَرحمكم مَن فِي السَّماء** » رواه أبو داود والترمـذى بزيادة ، وقال : حديث حسن صحيح .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا حتى لا يكون من أهل اللعنة

---

(١) يعنى : أن من قسا على عباد الله فلم يرحم من يحتاج إلى الرحمة من الضعفاء والأرامل واليتامى والبؤساء والمرضى وذوى العـاهات ونحوهم لن يفوز برحمة الله يوم القيامة .

(٢) وكذلك من لا يغفر للمسئ هفوته ويتجاوز عن إساءته لا يغفر الله له ذنبه .

(٣) يعنى : لن يكمل إيمانكم حتى يرحم بعضكم بعضاً .

(٤) أى : قريبه أو صديقه .

(٥) أى : رحمة كل من يحتاج إلى الرحمة من خلق الله .

المشار إليـهم فى هذه الأحاديث .. وحسبـه تحذيراً له أنه إن لم يكن من أهل الرحمة كان من أهل الشقاء ـ والعياذ بالله .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قـال : سمعتُ الصـادق المصدوقَ صاحب هذه الحجرة أبا القاسم ﷺ يقول « **لا تنزعُ الرحمةُ إلاَّ من شَقِيٍّ** »(١) رواه أبو داود واللفظ لـه ، والتـرمـذى وابن حـبـان فى صحيحه . وقال الترمذى : حديث حسن ، وفى بعض النسخ : حسن صحيح .

نعوذ بالله أن نكون من أهل الشقاء فى الدنيا والآخرة .



(١) وهو ضد السعيد ، وهو إشارة إلى الشقاء فى الآخرة وقد يكون فى الدنيا .

(١٢) الذى يَسِمُ الحيوانَ فى وَجْهِهِ ..

عن ابن عباس رضـــى الله عنهما أن النبى ﷺ مَرَّ على حـمَار قد وُسِمَ فى وجهه(١) فقال : « **لعن الله الذى وَسَمَهُ** »(٢) رواه مسلمٌ .

وفى روايَة له : نهـى رسـول الله ﷺ عن الضــرب فى الوجــه ، وعن الوَسْم فى الوجه(٣) .

ورواه الطبرانى بإسناد جـيد مختصــراً : أن رسـول الله ﷺ لعن مَن يَسِمُ فى الوجه .

وعن جُنادةَ بن جَـرادةَ أحد بنى غيـلانَ بن جُنادةَ رضى الله عنه قال : أتيتُ النبى ﷺ بإبلٍ قد وسَمـتُها فى أنفهَا(٤) ، فقال رسول الله ﷺ : « **يا جنادةُ فما وجدتَ عضواً تسمهُ إلاَ فى الوجه(٥) ، أما إن أمامك القصاص** »(٦) فـقال : أمـرها إليك يا رسول الله . الحـديث . رواه الطبرانى .

---

(١) يعنى : كُوِىَ بالميسم فى وجهه .

(٢) يعنى : طرده وأبعده من رحمته وهو دعاء عليه .

(٣) لأنه مُـثْـلَـةٌ ، وفى الحـديث : « **من مثَّـل بحـيوان فعليـه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** » .

(٤) أى : جعلت لها علامات فى مناخرها .

(٥) والكلام على الاستفهام الإنكارى .

(٦) أى : أن يقتص منك يوم القيامة .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : مَرَّ حمارٌ برسول الله ﷺ قد كُوِىَ فى وجهه(1) يفورُ منخراه من دَمٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « لعن الله من فعل هذا »(2) .

ثم نهى عن الكَىِّ فى الوجه والضرب فى الوجه(3) .

رواه ابن حبان فى صحيحه ، ورواه الترمذى مختصَراً وصححه ، والأحاديث فى النهى عن الكَىِّ فى الوجه كثيرة .

قال النووى : « وأما الضرب فى الوجه فمنهى عنه فى كل الحيوان المحترم من الآدمى والحمير والخيل والإبل والبغال والغنم وغيرها ، لكنه فى الآدمىِّ أشد لأنه مجمع المحاسن مع أنه لطيف يظهر فيه أثر الضرب وربما شَانَهُ ، وربما آذى بعض الحواس » .

وأما الوسم فى الوجه فمنهى عنه بالإجماع للحديث ، ولما ذكرناه . فأما الآدمى فوسمه حرام لكرامته ، ولأنه لا حاجة إليه ولا يجوز تعذيبه ، وأما غير الآدمى ، فقال جماعة من أصحابنا : يُكره ، وقال البغوى من أصحابنا : لا يجوز ، فأشار إلى تحريمه وهو الأظهر لأن النبى ﷺ لعن فاعله ، واللعن يقتضى التحريم .

وأما وسم غير الوجه من غير الآدمى فجائز بلا خلاف عندنا

---

(1) الرواية المعروفة (قد وسم فى وجهه) .
(2) وفى رواية أحمد ومسلم : (لعن الله الذى وسمه) .
(3) وفى رواية : (عن ضرب الوجه ووسم الوجه) .

لكن يُستحب فى نَعَمِ[١] الزكاة والجزية ، ولا يستحب فى غيرها ولا ينهى عنه .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ هذا ، حتى لا يكون من هؤلاء القُساة الذين يَسِمُونَ وجوه الحيوانات ويضربون بوجوههم بتلك الصورة التى استحقوا اللعنة بسببها .

وحسبك أخا الإسلام أن تعلم أنه إذا كان ـ والعياذ بالله ـ يفعل هذا المنهى عنه ، فإنه سيعذب بسببه فى نار جهنم .. وأنه سيكون بسببه من أهل اللعنة فى الدنيا والآخرة .. لأنه لم يرحم خلق الله ، ولو رحمهم لرحمه الله تبارك وتعالى :

فعن معاوية بن قُرةَ عن أبيه رضى الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله إنى لأرحم الشَّاةَ أن أذبحها[٢] ، فقال : « **إن رحمتَها رحمك الله** »[٣] رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، والأصبهانى ولفظه قال : يا رسول الله إنى آخذ شاة وأريد أن أذبحها فأرحمها ، قال : « **والشاة إن رحمتَها رحمك الله** »[٤] .

جعلنا الله جميعاً من أهل الرحمة بخلق الله حتى نُرحم فى الدنيا والآخرة .

(١) النعم : واحد الأنعام ، وهى المال الراعية ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل ..

(٢) يعنى : لا أجرؤ على ذبحها بها .

(٣) وفى هذا دليل على وجوب رحمة الحيوان .

(٤) يعنى : أن الله يثيب على رحمة الحيوان كما يثيب على رحمة الإنسان .

(١٣) الذين يتولَّونَ الذين كفَرَوا .. ولاَ يتناهَونَ عن منُكرٍ فعلوه .. وكانوا يعتدون ..

عن ابن مسـعود رضى الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « إن أوَّلَ ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجلُ يلقى الرجُلَ(١) فيـقول : يا هذا اتق الله وَدع مـا تصنع به(٢) ، فـإنه لا يحلُّ لك ، ثم يلقاه من الغد(٣) ، وهو على حاله(٤) فلا يمنعـه ذلك أن يكون أكيلَهُ وشَـرِيبَـهُ وقعـيـده ، فلمـا فـعلـوا ذلـك ضرب الله قـلوب بعضـهم ببعض »(٥) .

ثم قال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا (٦) لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ

---

(١) يعنى : كان الرجل من علمائهم يلقى الرجل وهو متلبس بالمعصية .

(٢) أى : اترك عملك الفاسد .

(٣) وهو اليوم التالى .

(٤) يعنى : لم ينته عما كان يصنع ، والجملة حال من الهاء فى : يلقاه .

(٥) أى : جعلها على قلب رجل واحد فى الفجور والشر .

(٦) أى : يوالون المشركين بغضاً لرسول الله ﷺ وللمؤمنين .

فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾(١)

ثم قال : « **كَلاَّ والله لتأمُـرُنَّ بالمعروف ، ولتنهُون عن المنكر ، ولتأخذنَّ على يد الظالم**(٢) **، ولتأطُرنَّهُ على الحق أطراً**(٣) » .

رواه أبو داود واللفظ له ، والـترمـذى ، وقــال : حـديث حـسن غريب ، ولفظه : قــال رسـول الله ﷺ : « **لما وقَعَتْ بنــو إسرائيلَ فى المعاصى نَهَاهُمْ علمـاؤهُم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مـجالسهم ، وواكلوهم وشــاربوهُم ، فـضرب الله قلـوب بعضــهم ببــعــض ولعنهــم (على لســان داود وعـيسى ابن مـريَم ذَلك بما عَصَـوْاْ وكَانوا يعتـدون) ، فجلـس رسـول الله ﷺ ، وكان متكئاً فـقال : لا والذى نفسى بيده حتى تأطُروهُم**(٤) **على الحقِّ أطراً** » .

فـعلى الأخ المسـلم أن يلاحظ هذا حـتى لا يكون كـعـلمـاء بنى إسرائيل الذين : (**كانوا لا يتناهَوْنَ عن منكر فعلوه**) ، وحسبه إذا أراد أن يكون عكس هذا ، أن يقرأ معى الأحاديث الآتية :

عن النعمان بن بشيـر رضـــى الله عنهما عـــن النبى ﷺ قـــال « **مـثل القـــائم فى حُـدودِ الله**(٥) **، والواقِع فـيهـا**(٦) **كمـثل قومٍ**

---

(١) المائدة : ٧٨ ـ ٨١ .

(٢) يقال : أخذ على يده منعه مما يريد فعله .

(٣) يقال : أطره يأطره من بابى ضرب ومنع وأطره بتشديد الطاء عطفه وثناه .

(٤) أى : تعطفوهم وتقهروهم ، وتلزموهم باتباع الحق .

(٥) أى : الحافظ لها والمستقيم عليها أو المباشر لتنفيذها من الولاة والقضاة .

(٦) أى : المتعدى عليها والمنتهك لحرمتها .

استَهَمُـوا على سفينة(١) ، فصـار بعضُـهم أعلاها ، وبعـضُـهم أسفلها(٢) ، فكان الذين فى أسفلهـا إذا استَقَـوْا من الماء مَرُّوا على مَنْ فوقَهُمْ(٣) ، فقالوا : لو أنَّا خرقنا فى نصـيبنا خرقاً ، ولم نُؤذِ مَن فوقنا(٤) ، فإن تركـوهُم وما أرادوا هلَكُوا جـميـعًا(٥) ، وإن أخـذوا على أيديهِمْ نجوْا ، ونَجـوا جميـعـا(٦) » رواه البخارى والترمذى .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبى بعـثـه الله فى أُمَّة قـبلى إلا كـان له من أُمـته حـوارِيُّونَ(٧) وأصحابٌ يأخذون بسُنَّته(٨) ، ويقتدون بأمره(٩) ، ثم إنها تَخلُفُ من بعدهـم خُـلوفٌ(١٠) يقـولونَ مـا لاَ يفعـلُـون ، ويفـعلُونَ ما

---

(١) أى : اقترعوا على الأماكن التى ينزلون فيها من السفينة.

(٢) أى : صار بعضهم فى الطابق الأعلى من السفينة وبعضهم فى الطابق الأسفل .

(٣) لأنهم لا يستطيعون أن يصلوا إلى الماء من مكانهم .

(٤) يعنى : أنهم تآمروا على أن يخرقوا فى نصيبهم من السفينة وهو أسفلها خرقاً يدخل منه الماء بدلاً من الصعود إلى أعلى والمرور على من فوقهم .

(٥) يعنى : إن تركهم الذين فى أعلى السفينة ينفذون ما أرادوا غرقت السفينة وهلكوا جميعاً .

(٦) أى نجا الذين بأعلى السفينة ونجا جميع ركابها .

(٧) جمع حوارى وهو الناصر .

(٨) أى : يتبعونها ويتمسكون بها .

(٩) أى : يهتدون بهديه ويجرون على طريقته .

(١٠) جمع : خلف وهو بالتحريك وسكون اللام كل من يجئ بعد ما مضى .

لا يُؤْمَرُون ، فمنْ جَاهَدهُم بيدِه فهو مؤمنٌ ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مـؤمن ، ومَن جاهدهُم بقلبه فهـو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردل »[1] . رواه مسلم .

وعن أبى بكرٍ الصـديق رضى الله عنه قـال : يا أيهـا الناسُ إنكم تقرءون هذه الآية : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**[2] ﴾[3] وإنى سمعـت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يَعُمَّهُم الله بعقابٍ من عنده** » .

رواه أبو داود والترمذى وقـال : حديث حـسن صـحـيح ، وابن ماجة والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

ولفظ النسائـى : إنى سمعت رسـول الله ﷺ يقول : « **إن القومَ إذا رأوا المنكر فلم يُغيروه عمَّهم الله بعقاب** » .

وفى رواية لأبى داود : سمـعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من قوم يُعـمل فيهم بالمعاصى ، ثم يـقدرون على أن يُغيرُوا**[4] ، **ثم**

---

(١) وهو مثل فى الصغـر والحقارة ، والمراد أن من ترك جهـادهم بأحد هذه الثلاثة فقد خلا من الإيمان .

(٢) قال ابن كثير : « يقول تعالى آمراً عبـاده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجـهدهم وطاقتهم ، ومخـبراً لهم أنه من أصلح لا يضره فسـاد من فسد من الناس سواء كان قريباً منه أو بعيـداً » ثم قال : « وليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا كان ذلك ممكناً » .

(٣) المائدة من الآية ١٠٥ .

(٤) أى : يزيلوا المنكر ويضربوا على أيدى الأشرار .

لا يُغيِّروا إلاَّ يوشِكُ[1] أن يعُمهُم الله منه بعقاب » .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **إذا رأيت أُمتِى تهاب أن تقول للظالم : يا ظالم[2] ، فقد تُودِّعَ منهم[3]** » رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

فعلينا جميعاً نحن المؤمنين أن نلاحظ كل هذا وننفذه حتى لا تغرق السفينة بنا جميعاً .. وحتى لا نكون بسبب عدم التنفيذ كهؤلاء الذين لُعنُوا على لسان داود **وعيسى ابن مريم** .. وعلينا أن نكون من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة ... والله ولى التوفيق .



---

(١) يعنى : قرب .

(٢) أى : تخاف من قولها له ذلك وتشهد عليه به .

(٣) أى : استوى وجودهم وعدمهم .

(١٤) الخَمْر ، وشَارِبُها ، وسَاقِيها ، ومُبْتَاعُهَا وبائعها ، وعَاصِرُها ، ومَعْتصرها ، وحامِلها والمحْمولَةُ إليه ، وآكِلُ ثمنِها

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لعن الله الخمرَ ، وشاربَها ، وساقيَهَا ، ومُبتَاعَها(١) ، وبائعَهَا ، وعَاصِرَها ، ومُعتَصِرهَا(٢) ، وحَامِلَهَا(٣) ، والمحمولَة إليه(٤)** » رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجة ، وزاد : « **وآكلَ ثَمنَها** » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ فى الخمر عشرةً : « **عاصرَهَا ومُعتَصِرَهَا ، وشاربَها وحَاملَهَا ، والمحمولَةَ إليه ، وسَاقِيهَاَ وبائعَهَا وآكلَ ثمنَهَا ، والمشترِىَ لهَا ، والمُشتَرى له** » . رواه ابن ماجة والترمذى . واللفظ له ، وقال : حديث غريب . قال الحافظ : ورواته ثقات .

---

(١) أى : مشتريها ، والخادم الذى يكلفه سيده بشراء الخمر ينبغى أن لا يطيعه فى هذا .

(٢) أى : الذى يطلب من غيره أن يعصرها له .

(٣) يعنى : الذى ينقلها من مكان إلى مكان .

(٤) من تاجر أو شارب ، والمراد أن رسول الله ﷺ دعا باللعنة وهى الهلاك والطرد من رحمة الله على من يتصل بالخمر من قريب أو بعيد ، أو أنه أخبر عن لعن الله لهؤلاء جميعاً .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أتانى جبريل فقال : يا محمد إن الله لعن الخَمرَ وعاصِرَها ومُعتصِرهَا ، وشاربَها ، والمحمولَةَ إليه ، وبائعَهَا ومُبتَاعَهَا ، وساقِيَهَا ومُسْقَاها** » . رواه أحمد بإسناد صحيح وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

فمن هذه الأحاديث الثلاثة - بالإضافة إلى غيرها - يتأكد لنا حرمة شرب الخمر ، وبيعها ، وشراءَهَا ، وعصرها ، وحملها ، وأكل ثمنها .. كما ورد كذلك أنها مفتاح كل شر :

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**اجتنبوا الخمر**[1] **فإنها مفتاح كلِّ شَرٍّ** »[2] رواه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

كما ورد أيضاً أنها أُمُّ الخبائث :

وعن عثمانَ بن عفانَ رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **اجتنبوا أُمَّ الخبائث**[3] **، فإنه كان رجل ممن كان قبلكم يتَعَبَّدُ ، ويعتزل الناسَ ، فعَلِقَتْه امرأةٌ**[4] **، فأرسلت إليه خَادماً**

---

(١) أى : اجتنبوا تعاطيها شرباً وغيره ، والمراد بها كل ما أسكر عند الأكثر ، وقال أبو حنيفة : هى المتخذة من ماء العنب .

(٢) وذلك لأنها تهيئ شاربها للوقوع فى جميع الآثام والمنكرات من قتل وزنى ونحوهما .

(٣) وهى كنية الخمر .

(٤) أى : أحبته وتعلق قلبها به .

إنَّا ندعـوك لشهـادة ، فدخل ، فطفـقت(١) كُلَّمَـا دخل بَاباً أغلقتـه دونَه حتـى إذا أفضى(٢) إلى امرأة وضـيئة(٣) جالسَـة ، وعندها غُلاَمٌ وباطِيَةٌ(٤) فيـها خمـرٌ، فقالت : إنا لمْ نَدْعُكَ لشـهادة ولكن دعوتُك لقتل هذا الغلام أو تَقَعَ عَلَىَّ ، أو تشربَ كأساً من الخمر ، فإن أبيتَ صحْتُ بكَ وفَضَحْتُكَ(٥) . قال : فَلَمَّا رأى أنه لا بد له(٦) من ذلك قال : اسقينى كـأساً من الخمر ، فسقته كـأساً من الخمر فقـال : زيدينِى ، فَلَمْ تَزَلْ حـتى وقع عليهـا(٧) ، وقـتل النفسَ ، فاجـتنبوا الخـمر فـإنه والله لا يجتـمع إيمانٌ وإدمانُ الخـمر فى صدرِ رَجُلٍ أبداً(٨) ، وليوشكَنَّ(٩) أحدهُمَا يُخـرِجُ صاحبَهُ » رواه ابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، والبيهقى مرفوعاً مثله ، وموقوفاً وذكر أنه المحفوظ .

ولهذا ، فقد ورد :

---

(١) أى : شرعت .

(٢) أى : وصل وانتهى .

(٣) من الوضاءة وهى الحسن والجمال .

(٤) إناء من الزجاج يملأ من الشراب والجمع بواط .

(٥) أى : رفعت صوتى مستغيثة .

(٦) أى : لا مندوحة ولا مهرب له .

(٧) أى : غشيها وجامعها .

(٨) أى : فإذا وجد فيه أحدهما فارقه الآخر .

(٩) أى : ليقربن .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزنى الزانى[1] حين يزنى[2] وهو مؤمن[3] ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ، وزاد مسلم ، وفى رواية لأبى داود بعد قوله : « ولا يشربَ الخمرَ حين يشربها ، وهو مؤمنٌ » « ولكنَّ التوبَةَ معروضةٌ بعد[4] » .

وفى رواية النسائى قال : « لا يزنى الزانى وهو مؤمنٌ ، ولا يسرقُ السارقُ وهو مؤمنٌ ، ولا يشربُ الخمر وهو مؤمنٌ ، وذكر رابعةً فنسيتُها ، فإذا فعل ذلك فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عُنُقِه[5] ، فإن تابَ تابَ الله عليه » .

---

(١) أى : ولا تزنى الزانية فلا اختصاص للذكَر بذلك ولكنه اقتصر عليه تغليباً .

(٢) أى : وقت زناه .

(٣) يعنى : أنه لا يزاول ذلك فى حال إيمانه بل يفارق الإيمان قلبه ، قالوا : إنه يصير على رأسه مثل الظلة فإن تاب عاد إليه ، والمراد أن ظلمة الزنا لا تجامع نور الإيمان فى القلب ، فمن وقع فى الزنا فارق الإيمان قلبه .. وكذلك بالنسبة للسرقة وشرب الخمر .

(٤) أى : ممكنة ، وبابها مفتوح ، فإذا وقع في شئ من ذلك ثم تاب توبة صادقة بأن ندم على الذنب وعزم على عدم العود إليه صقل قلبه وعاد إليه إيمانه .

(٥) وظاهره أنه فارق الإسلام كلية ، والربقة بكسر الراء وسكون الموحدة : عروة الحبل.

وقد يسأل الأخ المسلم عن (الخمر) ما هى ؟ فأقول له[1] : قال **الشوكانى** فى (نيل الأوطار) :

« اعلم أن الخمر يطلق على عصير العنب المشتد إطلاقاً حقيقيّاً إجماعاً، واختلفوا : هل يُطلق على غيره حقيقة أو مجازاً وعلى الثانى هل مجاز لغة كما جزم به صاحب المحكم ، أو من باب القياس على الخمر الحقيقية عند مَن يثبت التسمية بالقياس ، وقد صرح الراغب أن الخمر عند البعض اسم لكل مسكر ، وعند البعض للْمُتَّخَذ من العنب والتمر ، وعند بعضهم لغير المطبوخ ، ورجح أن كل شئ يستر العقل يُسَمَّى خمراً ، لأنها سُميت بذلك لمخامرتها للعقل وسترها له ، وكذا قال جماعة من أهل اللغة منهم **الجوهرى وأبو نصر القشيرى والدينورى وصاحب القاموس** ، ويؤيد ذلك أنها حرمت بالمدينة ، وما كان شرابهم يومئذ إلا نبيذ البُسر والتمر ، قال **الخطابى** : زعم قوم أن العرب لا تعرف الخمر إلا من العنب ، فيقال لهم : إن الصحابة الذين سموا غير المُتَّخذ من العنب خمراً عرب فصحاء ، فلو لم يكن هذا الاسم صحيحاً لَما أطلقوه » ا . هـ باختصار .

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا .. حتى يجتنبا الخمر بجميع أنواعها وأسمائها .. بل وحتى لا يكونا من المشاركين فى بيعها أو شرائها .. إلى آخر ما وقفنا عليه فى الإشارة

---

(١) كما جاء فى هامش (الترغيب والترهيب) ج٣ ص٤٢٩ .

إلى حرمتها .. وذلك حتى لا يكونا من أهل اللعنة المشار إليها فى الأحاديث الشريفة التى وقفنا عليها .. وحسبهما أنهما إذا اجتنباها - إن شاء الله - سيكونان من المؤمنين المنفذين لأمر الله تعالى فى قوله :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)﴾(١) : نعم يا ربنا إننا مُنْتَهُون ، ومجتنبون للخمر ولكل ما حَرَّمتَهُ علينا يا ربَّ العَالمين بتوفيقك وحفظك الذى نسألك يا الله أن تجعلنا أهلاً له .. اللهم آمين .. اللهم آمين .. اللهم آمين .



---

(١) المائدة : ٩٠ ، ٩١ .

(١٥) الشَّيْخُ الزانى .. والشيخَةُ الزانية

عن بُرَيْدةَ رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن السموات السبعَ ، والأرضينَ السبعَ لَيَلْعَنَّ**(١) **الشيخَ الزانىَ ، وإن فُروجَ الزُّنَاةِ ليؤذى أهلَ النارِ نَتْنُ ريحِها** »(٢) رواه البزار .

ويُقَوِّى هذا الحديث ـ ويؤيده ـ ما ورد :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة**(٣) **لا يكلمهم الله يوم القيامة**(٤) **، ولا يُزَكِّيهِمْ**(٥) **، ولا ينظرُ إليهِمْ**(٦) **ولهم عذاب أليمٌ : شيخٌ زَانٍ**(٧) **، ومَلِكٌ كذَّابٌ**(٨) **، وعائلٌ مُستَكْبِرٌ** »(٩) رواه مسلم والنسائى .

---

(١) أى : ليدعُنَّ عليه باللعنة وهى الطرد والإبعاد من رحمة الله .

(٢) يعنى : ما ينبعث منها من رائحة كريهة منتنة .

(٣) أى : ثلاثة أصناف من الناس .

(٤) أى : كلام رضا ورحمة ولكن كلام تعنيف وتوبيخ .

(٥) أى : لا يطهرهم من ذنوبهم بالمغفرة بل يعاقبهم عليها .

(٦) أى : نظر رحمة وعطف .

(٧) أى : رجل مسن ، أو امرأة مسنة أى عجوز .

(٨) أى : وكذلك الملك الذى يكثر منه الكذب ، وقد أعطى من أسباب السلطان ما لا يجعله فى حاجة إلى الكذب ..

(٩) أى : وكذلك الفقير الذى يختال ويزهو مع أنه خال من أسباب الخيلاء والزهو وكان ينبغى أن يحمله فقره على التواضع والبعد عن الغرور .

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « **أربعة يُبغضُهُـم الله : البيَّاع الحَلاَّفُ**(١) ، **والفقيرُ المُخْتَالُ**(٢) ، **والشيخُ الزانَى**(٣) ، **والإمَامُ الجـائرُ**(٤) » رواه النسـائى ، وابن حـبـان فى صحيحه ، وكذلك رواه البيهقى ، وقال العلقمى : إنه صحيح .

وعن سلمانَ رضى الله عنه قال : قال رســول الله ﷺ : « **ثلاثةٌ لا يدخلونَ الجنَّةَ**(٥) : **الشـيخ الزانى ، والإمامُ الكذَّابُ ، والعـائلُ المزهُوُّ**»(٦) رواه البزار بإسناد جيد . وقد جاء فى رواية أبى ذَرٍّ :

« **والثـلاثة الذين يُبـغضُـهم الله : الشـيخُ الزَّانى ، والفـقيـرُ المختـالُ ، والغَنىُّ الظَّلُومُ** »(٧) رواه أبو داود ، والتـرمـذى ، وابن حبان فى صـحيحه ، والحاكم ، وقال : صـحيح الإسناد ، وكذا رواه النسـائى وصـححـه الترمـذى ، وقال الحـاكم : صحيح عـلى شرط الشيخين .

---

(١) أى : الذى يكثر الحلف عند البيع ترويجاً لبضاعته .

(٢) أى : المزهو الفخور .

(٣) وكذا الشيخة الزانية .

(٤) أى : الذى يجورُ على أفراد رعيته ويمنعهم حقوقهم .

(٥) يعنى : مع السابقين ابتداء .

(٦) أى : المتكبر المعجب بنفسه .

(٧) أى : الذى يكثر منه الظلم والاعتداء على حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل .

فعلى الشيخ المسنِّ العجوز بصفة خاصة أن يلاحظ هذا ، حتى لا يقع فى جريمة الزنا :

لأن الزنا[1] إذا قبح من كل أحد ، فهو من الشيخ الكبير[2] أقبح ، فقد خمدت فيه شهوة الجنس وهدأت فيه عاصفة الرغبة التى كانت تطغى على عقله .. فإقدامه على جريمة الزنا فى تلك الحالة دليل على فراغ قلبه من كل معانى الشرف والعفة والخوف من الله . (ولا سيما إذا كان مُحْصَنًا ، أى : مُتَزَوِّجًا) لأن جريمة الزنا بالنسبة له فى هذه الحالة ستكون أشنع وأبشع .

وعلى جميع المسلمين ـ ذكورهم وإناثهم ـ أن يلاحظوا هذا كذلك .. لأن الزنا ـ والعياذ بالله من الذنوب الكبيرة التى لا بد وأن يجتنبها جميع المسلمين والمسلمات ـ فقد ورد :

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « **إذا ظهر الزنا والربا فى قريَةٍ[3] فقد أحلُّوا بأنفسهم عَذَابَ الله** »[4]

---

(١) كما يقول الشيخ محمد خليل هراس فى هامش الترغيب والترهيب ـ رحمه الله.

(٢) يقول أحدهم موضحاً معنى كلمة (الشيخ الكبير) :

زعَمتنى شيخًا ولست بشيخ إنما الشيخ من يَدُبُّ دَبِيبًا

أى : بالعصا التى يتوكأ عليها .. كما يقول أيضاً أحدهم :

وكنت امشي على رجلين معتدلاً فصرت أمشى على أُخرى من الشجر

(٣) أى : كَثُرا وانتشرا فيها من غير حياء ولا نكير .

(٤) أى : أوجبوه على أنفسهم بما ارتكبوا من المعاصى .

رواه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، وكذلك رواه الطبرانى ، وقال شارح الجامع : (وهو حديث صحيح) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه ذكر حديثًا عن النبى ﷺ وقال فيه : « **ما ظهر فى قوم الزنا أو الربا**(١) **إلا أحلُّوا بأنفسهم عَذَابَ الله** » . رواه أبو يعلى بإسناد جيد

ولا سيَّما إذا كان الزنا ـ والعياذ بالله ـ بحليلة الجار :

فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سألتُ رسول الله : أىٌّ الذنب أعظم عند الله(٢) ؟ قال : « أن تجعل لله نِدًّا »(٣) ، «وهو خَلَقَكَ(٤) » ، قلتُ :إن ذلك لعظيمٌ ، ثُم أىٌّ ؟ قال : « أن تقتل ولدكَ مخافةَ أن يَطعَمَ معك »(٥) قلتُ : ثم أىٌّ ؟ قَالَ : « أن تُزَانىَ حَلِيلةَ جارك »(٦) رواه البخارى ومسلم ، ورواه الترمذى والنسائى .

وفى رواية لهما : وتلا هذه الآية :

---

(١) أى : إذا ظهر فيهم واحدة من هاتين الكبيرتين .

(٢) أى : أشد إثمًا وعقوبة .

(٣) أى : مساويًا فى استحقاق العبادة .

(٤) جملة حالية .

(٥) أى : خوفاً من أن يشاركَكَ فى طعامك .

(٦) أى : أن تزنى بها ، والمزاناة مفاعلة من الجانبين ، والحليلة بفتح الحاء المهملة : هى الزوجة .

﴿والَّذينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾(١) .

وعن المقْداد بن الأسود رضى الله عنه قَالَ : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « مَا تقَولُونَ فِى الزِّنَا ؟ » قالوا : حرام حَرَّمه الله عز وجَلَّ ورسولُهُ فهو حرام إلى يوم القيامة ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « لأن يزنى الرجلُ بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره»(٢) . رواه أحمد ، ورواته ثقات . والطبرانى فى الكبير والأوسط .

فعلينا جميعًا أن نلاحظ كُلَّ هذا حتى لا نقع فى هذا الذنب الكبير الذى نهانا الله تعالى عنه فقال : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ(٣) إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) ﴾(٤) .

---

(١) سورة الفرقان : ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) تمام الحديث : « فما تقولون فى السرقة ؟ قالوا : حرام حرمها الله ورسوله ، قال : لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره » .

(٣) قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزِّنَى ﴾ آكد وأبلغ من قوله : ولا تزنوا ، لأنه نهى عن الزنى وعن مقدماته من النظر والاختلاط ومحادثة النساء .

(٤) الإسراء : ٣٢ .

وعلى الشباب بصفة خاصة ـ من الذكور والإناث ـ أن ينفذوا وصية الرسول ﷺ التى يقول فيها : « **يا مَعْشَرَ الشَّباب : مَن اسْتَطاعَ مِنْكُم البَاءَةَ(١) فَلْيتَزوَّجْ فإنَّهُ أغَضُّ للبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ للفرج ، ومَن لَم يَسْتَطِعْ فعليهِ بالصَّومِ(٢) فإنَّهُ لَهُ وجاءٌ** »(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ له .

والله ولى التوفيق .



---

(١) الباءة : أى المنزل والنفقة وأعباء الزواج .

(٢) أى : عليه الإكثار من صيام التطوع كيومى الاثنين والخميس .

(٣) الوجاء : أى مضعف لشهوته وأصله رض الخصيتين .

(١٦) من عَمِلَ عَمَلَ قومِ لوطٍ ، ومن ذبحَ لغيرِ الله ، ومَنْ أتى شيئًا من البهائم، ومن عقَّ والديْهِ ، ومن جمع بين امرأةٍ وابنتها ومن غَيَّرَ حدودِ الأرضِ، ومَن ادَّعى إلى غير مواليه ، ومَن كمَّه أعمى عن السبيل ومن سَبَّ والديه ، والذى يأتى امرأتَهُ فى دُبرها ...

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سماواته ، وردَّدَ اللعنة على واحد منهم ثلاثًا ، ولعن كُلَّ واحد منهم لعنة تكفيه ، قال : ملعونٌ مَن عَمِلَ عَملَ قَوْمِ لُوط ، ملعونٌ مَن عَمِلَ عَملَ قومِ لُوط ، مَلعونٌ مَن عَمِلَ عَملَ قومِ لُوطٍ ، ملعون من ذَبَحَ لغير الله[1] ، ملعونٌ مَن أَتَى شَيئًا مِن البَهَائِم [2]، مَلعونٌ مَن عَقَّ والديْه[3] ، ملعونٌ من جمع بين امرأةٍ وابنتِهَا[4] ، ملعونٌ مَن غَيَّر حدود الأرض[5] ،**

---

(١) أى : قصد بذبيحته التقرب إلى غير الله .

(٢) يعنى : جامعها وفعل معها الفاحشة .

(٣) أى : آذاهما ولم يقم ببرهما والإحسان إليهما .

(٤) أى : فى النكاح .

(٥) أى : اعتدى على حق جاره وأكل من أرضه .

ملعونٌ من ادعى إلى غير مَواليه[1] » رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح ، إلا محرز بن هارون التيمي ، ويقال فيه: محرر بالإهمال ، ورواه الحاكم من رواية هارون أخي محرر ، وقال: صحيح الإسناد .

(وهذا) الحديث وإن كان ضعيفًا ، إلا أنه من الممكن أن يستفاد بما فيه من التنبيهات والتحذيرات التي من أخطرها وأشنعها ـ والعياذ بالله ـ عمل قوم لوط .

(وقد) يُقَوِّيه ويُؤيده كذلك ما ورد :

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « **لَعَنَ اللهُ من ذبح لغير الله ، ولَعن اللهُ من غَيَّر تُخُومَ الأرضِ[2] ، ولَعَنَ اللهُ مَن كَمَّهَ أعمى عن السَّبيل[3] ، ولَعنَ اللهُ مَن سَبَّ وَالِديْه ، وَلعَن اللهُ مَن تَوَلَّى غيرَ مَواليه[4] ، ولَعنَ اللهُ مَنْ عَمِل عَمَل قومِ لوطٍ ، قالها ثلاثاً في عمل قوم لوط** »

---

(١) أى : انتسب إلى غير أسياده .

(٢) قال فى النهاية : (أى معالمها وحدودها ..) وقيل غير ذلك .

(٣) أى : أضله وستره عنه .

(٤) أى : جعل ولايته لغير أسياده .

رواه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى ، وعند النسائى آخره مُكَرَرًا(١) .

وروى ابن أبى الدنيا ، ومن طريقه البيهقى بإسناد جيد عن مُحمد بن المكَنْدَرِ أن خالد بن الوليد كتب إلى أبى بكر الصدِّيق رضى الله عنه أنه وجد رجُلاً فى بعض ضواحى العرب يُنكَحُ كَما تُنْكَحُ المرأةُ ، فجمع لذلك أبو بكر أصحابَ رسول الله ﷺ ، وفيهم على بن أبى طالب ، فقال علىٌّ : إن هذا ذنب لم تعمل به أُمَّةٌ إلا أُمَّةً واحدةً ، ففعل الله بهم ما قد علمتُم ، أرى أن تحرقه بالنار ، فاجتمع رأى أصحاب رسول الله ﷺ أن يُحرق بالنار ، فأمر أبو بكر أن يحرق بالنار(٢) .

قال **الشوكانى** : (وفى إسناده إرسال) ، وروى من وجه آخر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علىّ فى غير هذه القصة ، قال : يُرجم ويُحرق بالنار ، وأخرج البيهقى أيضًا : أنه سئل عن حدِّ اللُّوطِىِّ ؟ فقال : ينظر أعلى بناء فى القرية فيرمى به مُنَكَّسًا ثم يُتبع

---

(١) وروى نحوه مسلم فى صحيحه عن على رضى الله عنه ولفظه « حدثنى رسول الله ﷺ بأربع كلمات : لعن الله مَن ذبح لغير الله ، ولعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من غير منار الأرض ، ولعن الله من آوى محدثًا » ، والمحدث : أى المبتدع فى الدين لا فى الدنيا .

(٢) ولكن هذا مخالف لقوله ﷺ : « لا تعذبوا بعذاب الله » وقد أنكر ابن عباس على علىّ بن أبى طالب تحريقه عبد الله بن سبأ وأصحابه بالنار لما غلوا فيه وقالوا أنه الله .

الحجارة . وقد اختلف أهل العلم فى عقوبة الفاعل للواط والمفعول به بعد اتفاقهم على تحريمه ، وأنه من الكبائر ، فذهب من تقدم ذكره من الصحابة إلى أن حده القتل ولو كان بكرًا سواء كان فاعلاً أو مفعولاً ، وقد اختلفوا فى كيفية قتل اللوطى ، فَرُوِىَ عن علىّ أنه يُقْتَلُ بالسيف ثم يُحرق لعظَم المعصية ، وإلى ذلك ذَهب أبو بكر كما تقدم وذهب عمر وعثَمَانُ إلى أنه يلقى عليه حائط ، وذهب ابن عباس إلى أنه يُلقى من أعلى بناء فى البلد ، وقد حكى صاحب الشفاء إجماع الصحابة على القتل ، وقد حكى البغوى عن الشَّعْبى والزُّهرى ومالك وأحمد أنه يُرجم ، وحَكَى ذلك الترمذى عن مالك والشافعى وأحمد وإسحاق . وذهب سعيد بن المُسَيَّب وعطاء بن أبى رباح والحسن وقتادة والنخعى والثورى والأوزاعى والشافعى فى قول له إلى أن حَدَّ اللوطى حَدُّ الزانى فيُجلد البكْرُ ويُغَرَّبُ ويُرجَم المُحْصَنُ . وذهب أبو حنيفة والشافعى فى قول له إلى أنه يُعَزَّرُ اللُّوطىُّ فقط ، ولا يخفى ما فى هذا المذهب من المخالفة للأدلة المذكورة فى خصوص اللوطى ، والأدلة الواردة فى الزانى على العموم » ا . هـ .

وعن عُقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لعنَ اللهُ الذينَ يأتون النِّسَاءَ فى مَحَاشِّهِنَّ** »[1] رواه الطبرانى من رواية عبد الصمد بن الفضل .

---

(١) أى : فى أدبارهن . وقد روى ابن ماجه والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأة فى دبرها » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ملعونٌ مَن أتى امرأةً فى دُبُرِهَا** » رواه أحمد وأبو داود .

فعلى جميع الإخوة المسلمين أن يلاحظوا كل هذا المحظور حتى لا يقعوا فيه .. وحتى لا يكونوا بسبب فعله ـ والعياذ بالله ـ من أهل **اللعنة** المشار إليها فى الأحاديث ... والله المستعان على ترك المنكرات



(١٧) مَن حَضَرَ قتل إنسان ظُلْمًا أو ضَرْبَهُ ولم يدفع الظُّلْم عنه

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « لاَ يَقِفَنَّ أَحَدُكُم مَوْقِفًا يُقْتَل فيه رَجُلٌ ظُلْمًا(١) ، فَإنَّ اللَّعْنَةَ(٢) تنْزلُ على كُلِّ مَن حَضَرَ حِينَ لم يدْفعُوا عَنْهُ(٣) ، ولا يَقِفنَّ أحدُكُمْ موقفًا يُضْرَبُ فيه رَجُلٌ ظلمًا ، فَإنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لم يَدْفَعُوا عَنْهُ » . رواه الطبرانى والبيهقى بإسناد حسن

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ جَرَّدَ ظَهْرَ مُسْلِمٍ(٤) بغير حَقٍّ(٥) لَقى الله وهو عليه غضبان » (٦)

رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بإسناد جيد

---

(١) أى : لا يشهدن ذلك المشهد ولا يحضرنه إلا إذا كان يريد دفع الظلم عنه .

(٢) أي : سخط الله ونقمته .

(٣) أى : على من قتلوه وكذلك من شاهد قتله ظلمًا ولم يفعل شيئًا من أجل إنقاذه .

(٤) قال المناوى : ويظهر أن المراد جرده من ثيابه ليضربه وفعل أو أراد سلبه ثوبه المحتاج إليه .

(٥) يعنى : من غير أن يكون ذلك فى حدٍّ أو تعزير فإن هذا سيكون حقًّا شرعيًا ينبغى أن يعان عليه فاعله .

(٦) ومن غضب الله عليه عذبه وانتقم منه بسبب تسلّطه على عباد الله بالباطل .

وعن خرشَـةَ بن الحُرِّ رضى الله عنه ، وكان من أصـحاب النبى ﷺ عن النبىَ ﷺ قـالَ : « **لا يَشْهَدْ أحدُكُـمْ قتيلاً**(١) **لَعَلَّهُ أن يكونَ مظلومًا**(٢) ، **فتُصيبُهُ السَّخْطَةُ** (٣) » . رواه أحـمـد ، والـلفظ له ، والطبـرانـى إلا أنَه قـال : «**فـعسى أن يُقْـتَلَ مَظْلُومًـا**(٤) ، **فَـتَنْزِلَ السَّخطةُ عليهم**(٥) ، **فتُصيبَهُ معهم**» ورجالهما رجال الصحيح خَلا ابن لهيعة .

وتعليقى على هذه الأحاديث الشريفة التى يُقَوِّى بعضُهَا بعضًا ، هو تذكير الأخ المسلم ببعض الأحاديث الشريفة التى تُشير من قريب ومن بعيد إلى الوعـيد الشديد الذى تَوَعَّد الله تعـالى به الذين يقتلونَ الناسَ ظُلمًا وعدوانًا(٦) .

فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أول ما يُقـضَى بين الناسِ يومَ القـيامة فـى الدِّماءِ** »(٧) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

---

(١) يعنى : لا يحضر قتله فهو من الشهود بمعنى الحضور .
(٢) أى : ربما يكون قتل ظلمًا .
(٣) أى : فتشمل سخطة الرب جَلَّ شأنُه كُلَّ مَن شهد قتله .
(٤) يعنى : بغير حق .
(٥) أى : على من قتلوه .
(٦) حتى ولو كـان هذا على سبيل المشاركـة .. لأن هذا سيكون معناه الموافـقة على هذا الظلم والعدوان (والعياذ بالله) .
(٧) **قال فى الفتح** : (أول القضـاء يوم القيـامة القـضاء فى الدمـاء أى فى الأمر المتعلـق بالقضـاء ، وفـيه عظم أمر القـتل لأن الابتداء إنما يقـع بالأهم) . وقال **العينى** : (أى فى القضاء بـها ؛ لأنها أعظم المظالم فيـما يرجع إلى العباد فـفيه وعيد شديد من حيث يبتدأ به فى الحساب) .

وللنسائى أيضًا : « **أول ما يُحاسَبُ عليه العبد الصلاة ، وأول ما يُقضى بين الناس فى الدماء**(١) » .

وعن ابن عُمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لن يزال المؤمن فى فُسحة**(٢) **من دينه**(٣) **ما لم يُصبْ دمًا حرامًا**(٤) » رواه البخارى ورواه الحاكم من طريق آخر عن ابن عمر وقال صحيح على شرطهما .

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : « **إن من وَرَطَات**(٥) **الأمور التى لا مَخْرَجَ**(٦) **لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حلِّه**(٧) ».

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لَزَوالُ الدنيا**(٨) **أهونُ على الله**(٩) **من قتل مُؤمنٍ بغير حَقٍّ**»(١٠)

---

(١) لأنها أعظم الحقوق بين العباد .

(٢) أى : فى سعة .

(٣) أى : فى أمر دينه .

(٤) وقد رواه الطبرانى بزيادة : (فإذا أصاب دمًا حرامًا نزع منه الحياء) .

(٥) الورطات : جمع ورطة بسكون الراء ، وهى الهلكة ، وكل أمر تعسر النجاة منه .

(٦) يعنى : لا مخلص ولا منجى .

(٧) أى : إراقة الدم الحرام بغير حقه كما فى رواية أبى نعيم .

(٨) أى : لخراب الدنيا وفناؤها كلها .

(٩) يعنى : أيسر وأخف .

(١٠) قال ابن العربى : (ثبت النهى عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد فى ذلك فكيف بقتل الآدمى فكيف بالمسلم ، فكيف بالتقى الصالح) وقال العزيزى =

رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، ورواه البيهقى والأصبهانى .

وزاد فيه : «**ولو أن أهل سماواته ، وأهْلَ أرضِه اشتركوا فى دم مؤمنٍ لأدخلهم الله النار** » .

وفى رواية للبيهقى : قال رسول الله ﷺ : « **لزوال الدنيا جميعاً أهونُ على الله من دَمٍ سُفِكَ بغير حَقٍّ** » .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « **لزوال الدنيا أهونُ عند الله(١) من قتل رجل مسلم** »(٢) رواه مسلم والنسائى والترمذى مرفوعًا وموقوفًا ، ورجح الموقوف .

وروى النسائى أيضًا من حديث بُرِيْدَةَ قال : قال رسول الله ﷺ : «**قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا** »(٣) .

وروى البيهقى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قُتل بالمدينة قَتيلٌ على عهد رسول الله ﷺ لم يُعْلَمْ مَن قَتَلَهُ(٤) ، فَصَعَدَ النبىُّ ﷺ المَنبرَ ، فقال : « **يا أيهَا النَّاسُ يُقْتَلُ قَتِيلٌ وأنا فيكُم**(٥) ، **ولا يُعْلَمُ**

= فى شرح الجامع الصغير : (فهو أكبر الكبائر بعد الإشراك بالله) ، وقال الحفنى : (فمن قتل مسلماً يعذب عذابًا أشد ممن أزال الدنيا بأسرها لو فرض ذلكَ) .

(١) وفى رواية : (على الله) .

(٢) وهذا دليل على تعظيم القتل للمسلم وتهويله وتقبيحه وتشنيعه بما لا يُحيطه الوصف .

(٣) يعنى : أن الله عز وجل يغضب لقتل المؤمن أشد مما يغضب لزوال الدنيا .

(٤) جملة (لم يعلم من قتله) فى محل رفع صفة لقتيل .

(٥) يعنى : وأنا لا أزال حيًا بينكم والجملة حال .

مَنْ قَتَلَهُ ، لو اجتمعَ أهلُ السماء والأرضِ على قتل امرئٍ[1] لعذبهُم الله إلا أن يفعل مَا يشاء »[2] .

ورواه الطبراني في الصغير من حديث أبى بكرة عن النبى ﷺ **قال : « لو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مسلم لكبَّهُم الله جميعاً على وجوههم فى النار » .**

فعلى جميع الإخوة المسلمين رؤساء ومرءوسين أن يلاحظوا كل هذا حتى لا يكونوا من هؤلاء الذين يظلمون أو يقتلون بغير حق .. بل وحتى لا يشاركوا فى ظلم أو قتل .. فيكون جزاؤهم ما ورد فى هذه الأحاديث الشريفة التى أرجو أن نكون قد فهمنا المراد منها ومن الإشارات والتحذيرات الواردة فيها .

وقد قرأت عن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه قوله : (الراضى بفعل قوم كالداخل فيه معهم ، وعلى كل داخل فيه إثمان : إثم العمل به ، وإثم الرضى به) .

والله أسأل أن يعافينا جميعًا من المشاركة فى ظلم أحَدٍ فضلاً عن قتلِه بغير حق .. اللهم آمين .



---

(١) يعنى : مؤمن .

(٢) وهو العفو عنهم .

(١٨) الذى يُسىءُ إلى جاره ولا يُؤدّى له حَقّه

عن أبى جُحَيْفَةَ رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره[١] ، قال : « **اطرح متاعكَ فى الطرِيق** » فطرحه فجعل الناس يمرون عليه ويلعنونه[٢] ، فجاء إلى النبى ﷺ . فقال : يا رسول الله لقيتُ من الناسِ . قال : « **وما لقيتَ منهم ؟** » قال يلعنوننى . قال : « **قد لعنك الله قبل الناس** » فقال : إنى لا أعود ، فجاء الذى شكاه إلى النبى ﷺ ، فقال « **ارفع متَاعك ، فقد كُفِيتَ** »[٣] رواه الطبرانى والبزار بإسناد حسن إلا أنه قال : « **ضع متَاعك على الطريق أو على ظهر الطريق** » فوضعه ، فكان كُلُّ مَن مَرَّ به قال : ما شأنك ؟ قال : جارى يؤذينى . قال : فيدعوا عليه ، فجاء جاره ، فقال : رُدَّ متاعَكَ ، فإنى لا أوذيك أبدًا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره ، فقال له : « **اذهبْ فاصبِرْ** »[٤] فأتاه مرتين أو ثلاثًا ، فقال: « **اذهب فاطرح متاعك فى الطريق** » ففعل ، فجعل

---

(١) أى : يشكو من إيذاء جاره له .

(٢) أى : جعلوا يدعون باللعنة على الذى آذاه وحمله على ترك داره .. بعد أن يستمعوا إلى قصته .

(٣) أى : كفاك الله شر جارك وأذاه .

(٤) أى : تحمل أذى جارك حتى تفوز بأجر الصبر على ذلك .

الناسُ يمرون ويسألونه ، فيُخبرهُم خبر جاره(1) ، فجعلوا يلعنونه : **« فعل الله به وفعل(2) ، وبعضهم يدعو عليه ، فجاء إليه جاره ، فقال : ارجع ، فإنك لن تَرى منى شيئاً تَكْرهُهُ . »** رواه أبو داود ، واللفظ له ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال: صحيح على شرط مسلم .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ هذا حتى لا يكون كهذا الجار السوء الذى استحق اللعنة من الله ومن الناس .. وعلى الأخ المسلم أن يكون على عكس هذا ... بمعنى أن يكون جارًا مؤمنًا يؤدّى للجار حقه أو حقوقه التى أشار إليها الرسول ﷺ فى الحديث الذى :

رُوِىَ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جَدِّه عن النبى ﷺ قال : **«مَن أَغْلَقَ بابه دُونَ جَارِه مَخَافةً علَى أهله ومَاله ، فليس ذلكَ بمُؤْمِن(3) ، وليسَ بمُؤْمِنٍ مَن لَمْ يأمَنْ جَارُهُ بَوَائقَهُ . أتَدرى ما حَقُّ الجَارِ ؟ : إذَا اسْتَعَانَكَ أعْنتَهُ(4) ، وإذَا استَقْرضَكَ أقرضْتَه(5) ، وإذَا افتقر عُدتَ عليه(6) ، وإذا مرض عُدته(7) ، وإذا**

---

(1) أى : يخبرهم بإيذاء جاره له .
(2) أى : يدعون عليه بأن ينتقم الله منه .
(3) لعل المراد من هذا أن يلبى حاجة هذا الجار إذا كان فى حاجة إلى عونه وإلا فإنه لن يكون مؤمنًا بمعنى الكلمة .
(4) أى : إذا طلب منك معونة على أمر عجز عنه وجب عليك أن تعينه .
(5) أى : إذا طلب منك قرضاً ..
(6) أى : أحسنت إليه وكنت عونًا له .
(7) أى : زرته أثناء مرضه سائلاً عنه ، وداعيًا له بالشفاء .. حتى تخفف بهذا من آلامه .

أصابهُ خير هَنَّأتَهُ[1] ، **وإذَا أصَابتْهُ مُصيبةٌ عَزَّيْتَهُ**[2] ، **وإذَا مَاتَ اتَّبَعْتَ جَنَازَتَهُ ، ولا تَسْتَطل علَيْه بالبنيانِ فَتَحْجُبَ عنه الريحَ إلا بإذنه ، ولاَ تُؤْذه بقُتَارِ**[3] **ريح قدْرِكَ إلاَّ أن تَغْرِفَ لهُ منْهَا ، وَإِنِ اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَأهْدِ لَهُ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأدْخلْهَا سرًا ، ولا يَخرجْ بهَا وَلَدُكَ ليَغيظَ بهَا وَلَدَهُ**[4] » رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق .

(قال الحافظ) : ولعل قوله : أتدرى ما حق الجار إلى آخره من كلام الراوى غير مرفوع ، لكن قد روى الطبرانى عن معاوية بن حيدة قال :

قلت : يا رسول الله ما حقُّ الجار علَىَّ ؟ قال : « **إن مَرِضَ عُدتَهُ وإن مات شَيَّعتَهُ ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن أعْوزَ سترتَهُ** » فذكر الحديث بنحوه.

وروى أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب التوبيخ عن معاذ بن جبل ، قال:

قلنا : يا رسول الله ما حَقُّ الجوار؟[5] قال : « **إن استقرضك**

---

(١) أى : قلت له هنيئاً لك ما أعطاك الله .

(٢) أى : واسيته وصبرته .

(٣) هو بضم القاف : الدخان من المطبوخ ورائحة البخور واللحم والشواء والعظم المحروق .

(٤) أى : يحزنه ويغضبه لعجزه عن شرائها .

(٥) يعنى : ما حق الجار على جاره .

أقرضته ، وإن استعانك أعنتَه ، وإن احتاج أعطيتَه ، وإن مَرِض عدتَهُ » .

فذكر الحديث بنحوه وزاد فى آخره :

« هل تفقهون ما أقول لكم ؟ لن يُؤَدِّىَ حَقَّ الجار(١) إلا قليل ممَّن رَحِمَ الله » أو كلمة نحوها .

وروى أبو القاسم الأصبهانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرِمْ جاره**» . قالوا : يا رسول الله وما حَقُّ الجارِ على الجارِ ؟ قال : « **إن سألكَ فأعطه**» فذكر الحديث بنحوه . لم يذكر الفاكهة ، ولا يخفى أن كثرة هذه الطُرُق تكسبه قوة . والله أعلم .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « **خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره** » رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب ، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

وعن ابن عمر وعائشة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل عليه السلام يوصينى بالجار حتى ظننتُ أنَّه**

---

(١) يعنى : كاملاً كما ينبغى .

سَيُورِّثُهُ » رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عائشة وحدها ، وابن ماجه أيضًا وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة .

وعلى الأخت المسلمة أن تتعظ كذلك بهذا الحديث الشريف الذى أرجو أن يكون سببًا فى عدم إساءَتِها إلى جيرانها .. وإلا كانت والعياذ بالله من أهل النار :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله : إن فلانَةَ تُكْثِرُ من صَلاَتها وصَدَقَتِهَا وصِيَامِها(١) غير أنَّها تُؤْذِى جيرانها بلِسانها(٢) قال : « هى فى النار » . قال : يا رسول الله ، فإن فُلاَنَةَ يُذكَرُ مِنْ قلَّةِ صِيَامِها وصَلاَتها(٣) ، وأنها تتصَدَّقُ بالأثوارِ من الأَقِطِ ، ولا تؤذى جيرانها(٤) . قال : « هى فى الجنة » رواه أحمد والبزار وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، وروواه أبو بكر بن أبى شيبة بإسناد صحيح أيضًا ، ولفظه وهو لفظ بعضهم : قالوا : يا رسول الله فلانةٌ تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وتؤذى جيرانها . قال : « هى فى النار » . قالوا :

---

(١) أى : تكثر من نوافل الصلاة والصيام والصدقة بعد أداء الفرائض . .

(٢) أى : تبسط لسانها بالأذى لهم فتسبهم وتشتمهم .

(٣) يعنى : أنها تقتصر على أداء الفرائض أو تقلل من النوافل .

(٤) أى : تمسك لسانها عنهم فلا تتعرض لهم بقبيح من القول .

يا رسول الله فـلانةٌ تُصلِّى المكْتُوبَات(١) ، وتَصَدَّقُ(٢) بالأثْوار(٣) من الأقِطِ(٤) ولا تؤذى جيرَانَها . قال : « هى فى الجنة » .

وأخيراً حسبنا فى الختام أن ندعو بهذا الدعاء الذى ورد :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يقول : « اللهمَّ إنِّى أعوذُ بكَ مِنْ جارِ السُّوءِ فى دَارِ المُقَامَةِ(٥) فإنَّ جَارَ البَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ »(٦) رواه ابن حبان فى صحيحه .

بل وحسبنا أن ندعو بهذا الدعاء الوارد عن نبى الله داود عليه السلام ، وهو :

(اللهم إنى أسألك أربعاً وأعوذ بك من أربع : أسألك لسانًا صادقًا ، وقلبًا خاشعًا ، وبدَنًا صَابِرًا ، وزوجَةً تُعِينُنِى على أمر دُنيايَ وأمْرِ آخِرَتِى . وأعوذُ بكَ : مِن ولدٍ يكون علىَّ سيدًا ، ومن زوجةٍ تشيبنى قبل وقت المشيب، ومن جارِ سُوءٍ إن رأى حَسنةً كتمها ، وإن رأى سَيِّئَةً أذاعَها وأفشاهَا) .. اللهم آمين .

---

(١) يعنى : تقتصر على أداء المكتوبات أى الصلوات الخمس المفروضة علينا .

(٢) أى : تتصدق .

(٣) وهى قطعة من الأقط .

(٤) هو شئ يتخذ من مخيض اللبن الغنمى .

(٥) أى : دار الإقامة الدائمة المستمرة .

(٦) لأنهم يسكنون الخيام ويتنقلون من مكان إلى آخر .

(١٩) الذِى يُشِيرُ إلى أخيهِ بالسِّلاحِ

عن أبى هريرة رضى الله عنه قـال : قال أبو القـاسم ﷺ : « **مَنْ أَشَارَ إلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ**(١) ، **فـإنَّ الملائكةَ تَلْعَنُهُ**(٢) **حَتَّى يَنْتَهِىَ**(٣) ، **وإنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ**(٤) » رواه مسلم .

وقد ورد التـرهيب من هذا الفعل المشين فى كثيـر من الأحاديث الشريفة التى لا بد وأن نقف عليها حـتى نتعظ بها ونفهم المراد منها وحتى لا نرتكب مثل هذا الجـرم الذى معناه القطيعة وإشـعال الفتنة التى تؤدى غالبًـا إلى ما لا يُحمـد عقباه بين الأخ وأخـيه .. بل وبين المسلمين بصفة عامة ..

والتى منها ما ورد :

عن أبى بَكْرَةَ رضـى الله عنه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « **إذا تواجه**(٥) **المسلمان بسَيْفَيْهِمَا**(٦) **: فالقاتل والمقتول فى النار**(٧) » .

---

(١) أى : بقطعة أو بعصًا من الحديد على جهة التهديد .

(٢) أى : تدعو عليه باللعنة لترويعه المسلم .

(٣) أى : حتى يكف عن ذلك التهديد ويقلع .

(٤) أى : وإن كان شقيقًا له فلا يجوز له أن يُرَوِّعَهُ .

(٥) وفى رواية : (إذا التقى) .

(٦) أى : فضرب أحدهما الآخر .

(٧) وهذا إذا كان قتالهما بلا تأويل بل عداوة دنيوية أو طلب ملك ونحوه ، فأما من قاتل أهل البغى أو دفع الصـائل فقتل فلا . وأما قتـال الصحابة رضى الله عنهم كما كان بين على ومعاوية فقد كان عن اجتهاد لإصلاح الدين .

وفى رواية : « **إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاحَ : فهما على حَرْفِ جهَنَّم(١) . فإذا قَتَل أحدهُمَا صاحبَهُ دَخَلاَهَا جَميعًا(٢) . قال : فقلنا ـ أو قيل ـ : يا رسول الله : هذا القاتل(٣) فما بالُ المقتولِ(٤) ؟ قال : إنه أراد قتل صاحبه(٥)** » رواه البخارى ومسلم .

قال العلماء ـ تعليقًا على ما جاء فى هذا الحديث الأخير بروايتيه(٦) ـ : معنى كونهما فى النار أنهما يستحقان ذلك ، ولكن أمرهما إلى الله تعالى إن شاء عاقبهما ثم أخرجهما من النار كسائر الموحدين . وإن شاء عفا عنهما ولم يعاقبهما أَصْلاً ، وقيل : هو محمول على من استحل ذلك .

وقد ذهب **جمهور الصحابة والتابعين** إلى وجوب نصر الحق ، وقتال الباغين ، واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ، ولو عرف المحق منهم ، لأنهم لم يُقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد ، وحملوا الوعيد المذكور فى الحديث على مَنْ قاتل بغير تأويل سائغ كطلب مُلك

---

(١) أى : طرفها والمراد أنهما مقاربان للوقوع فيها .

(٢) أى : القاتل والمقتول .

(٣) يعنى : يستحق دخول النار بسبب قتله لأخيه .

(٤) أى : فما شأنه وبم يدخل النار ؟ .

(٥) وفى رواية : (إنه كان حريصًا على قتل صاحبه)

(٦) كما جاء فى هامش الترغيب والترهيب .

ونحوه ، قالوا : ولا يرد على ذلك منع **أبى بكرة الأحنف** من القتال مع **على بن أبى طالب** ، لأن ذلك وقع عن اجتهاد من أبى بكرة أداه إلى الامتناع والمنع احتياطًا لنفسه ولمن نصحه ، قال **الطبرى** : (لو كان الواجب فى كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلُزوم المنازلِ وكَسْرِ السُّيوف : لَمَا أُقيمَ حَدٌّ ولا أُبْطلَ بَاطلٌ ، ولوَجَدَ أهلُ الفُسُوقِ سبيلاً إلى ارتكَابِ المُحرَّمَاتِ من أَخذِ الأموالِ ، وسفك الدِّماء ، وسَبْى الحَرائرِ) الخ .

وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبى ﷺ ، فنام رجُلٌ منهم ، فانطلق بعضُهُم إلى حَبْلٍ معه فأخذه(١) ، ففزع(٢) ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا يَحلُّ لِمُسْلمٍ أنْ يُرَوِّعَ مُسْلمًا**(٣) » رواه أبو داود .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كُلَّ هذا .. حتى لا يُروِّع أخاه المسلم... وحتى يكون مصدرَ أمَانٍ لا مَصْدرَ فَزَعٍ وَهلَعٍ .. (والعياذُ بالله) ،،،

❁ ❁ ❁

---

(١) يعنى : أخذ منه الحبل خفية .

(٢) أى : قام من نومه مرتاعًا .

(٣) أى : يخيفه ويفزعه ، وقوله : (لا يحل) يفيد أنه حرام فإن نفى الحل مستلزم للحرمة .

(٢٠) كُلُّ ما يُشغِل عنِ اللهِ تعالى ويُبْعِدُ عنه

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الدنيا ملعونةٌ ، ملعـونٌ ما فيها إلاَّ ذِكْـرُ الله ، ومَا وَالاَهُ ، وعَالِـمٌ أو مُتَعَلِّمٌ » رواه ابن ماجه والبيهقى والترمذى ، وقال : حديث حسن

وهذا معناه أن الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل يُعتبر ملعونًا إذا كان سيُشغل العبدَ عن ذِكر ربه ، ومحبته ، وطلبِ العلم النافع الذى سيجعل صاحبه من العلماء الذين هم مصابيح الهدى .

بل وحسب الإنسان العاقل إذا أراد أن يخرج حُبَّ الدنيا من قلبه حتى لا يكون مشغـولاً بها أو بسببها .. أن يعرف حقـيقة هذه الدنيا من خلال ما ورد عن رسول الله ﷺ :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول العبدُ : مَالِى مَالِى(١) ، وإنَّما لَهُ منْ ماله ثلاثٌ(٢) : مَا أكَلَ فَأفْنَى(٣) ، أو لَبِسَ فأبْلَى(٤) ، أَوْ أعْطى فَاقْتَنَى(٥) : مَا سِوَى ذلك ، فـهو ذاهب ، وتاركُه للناسِ(٦) » رواه مسلم .

(١) يعنى : يتبجح ويفتخر بإضافة المال إلى نفسه على أنه مالكه .

(٢) أى : والحال أنه لا يملك من ماله إلا ما ذهب فى أحد هذه الوجوه الثلاثة .

(٣) أى : الذى أكله فأذهبه وغيبه .

(٤) أى : جعله باليًا ممزقًا .

(٥) أى : تصدق وأنفق فادخر ثواب ذلك عند الله عز وجل .

(٦) يعنى : لورثته من بعده .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مَرَّ بالسُّوق ، والناسُ كَنفتيْه(١) ، فَمَرَّ بَجَدْى أَسكَّ مَيِّت(٢) فتَنَاوَلَهُ بأُذُنه ثُمَّ قالَ : « **أيُّكُم يُحبُّ أنَّ هَذَا بدرْهَم ؟** فقالُوا : مَا نُحبُّ أنَّهُ لَنَا بشىء ، وَمَا نَصْنَعُ به(٣) ؟ قَالَ : **أتُحبُّونَ أنَّهُ لَكُمْ ؟** قالوا : والله لو كان حيًّا لكان عَيْباً فيه لأنه أسكُّ(٤) ، فكَيْفَ وهُوَ مَيِّتٌ ؟ فقال : **والله للدُّنْيَا أهْوَنُ عَلى الله عَزَّ وَجَلَّ منْ هَذَا عَلَيْكُم** » . رواه مسلم .

وعن سهل بن سَعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لَوْ كَانَت الدنْيَا تَعْدلُ(٥) عند الله جَنَاحَ بعُوضَة ما سَقَى كَافراً منهَا شَرْبَةَ مَاء(٦)** » رواه ابن ماجه والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

وعن المُسْتَوْلد أخى بنى فهر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما الدنْيَا فى الآخرَة(٧) إلاَّ كَما يَجعَلُ أحدُكُم أُصبعه هذه فى اليمِّ(٨) ، وأشار يحيى بن يحيى بالسبابة ، فلينظر بم**

(١) أى : عن يمينه وشماله .
(٢) صفتان لجدى ، والمراد أنه ليس فيه ما يرغب فيه .
(٣) يعنى : وأى شىء نصنعه به وهو ميت قصير الأذن .
(٤) أى : صغير الأذن .
(٥) أى : تزن وتساوى .
(٦) ولكنه متعه فيها بكل أنواع المتع لهوانها عليه .
(٧) يعنى : إذا قيست بها ونسبت إليها .
(٨) يعنى : البحر .

يرجعُ[1] ؟ » رواه مسلم .

ومع هذا ، فــإن هذه الدنيا مــن الممكن أن تكون دار خيــر لا دار شَرٍّ... إذا ما اســتطاع الإنسان العاقل أن يعتــبرها قنطرة للآخــرة ، أو مزرعة لها ... فقد قرأت لأحد الصالحين قوله :

(الدنيا ميــراثُ المغرورين ، وميدانُ الفاســقين ، وسوقُ الراغبين ومــسكن البطَّالــين ، وسجــن المؤمنين ، ومــزبلَةُ المتــقين ، ومــزرعَــةُ العاملين) .

ولهذا ، فــقد قال العلماء : (لــيس الزاهدُ من لا مالَ عندَهُ ، وإنما الزاهدُ من لم يُشْغل المالُ قَلْبَهُ ، وإن أُوتى مثْلَ مَا أُوتىَ قَارُونُ) .

ولقد قرأت[2] كَلامًا بليغًا وكــافيًا للإمَام على بن أبى طالب كرم الله وجهه تحت عنوان :

لا تَذُمُّوا الدنيــا

وكان قد سمع رجُلاً يذم الدنيا ، فقال :

الدنيا دارُ صــدق لمن صَدَقَهَــا ، ودارُ نجاة لمن فَــهِمَ عنها ، ودارُ غنىً لمن تزوَّدَ منها ، ومهبطُ وحي الله ، ومُــصَــلَّى ملائكته ، ومسجدُ أنبيائه ، ومَتْجَرُ أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا الجنةَ .

---

(١) أى : فلينظر ماذا يكون على أصبعه من ماء البحر إذا أخرجها ، والمــراد أنهــا لا تساوى شيئًا .

(٢) فى كتاب (مع الله) للشيخ محمد الغزالى ـ أكرمه الله .

فمن ذا الذى يَذُمُّهَا ؟ وقد آذَنَتْ ببينها ، ونادت بفراقِها ، وشبهت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ترغيبًا وترهيبًا ؟!

فيـا أيها الذامُّ للدُّنيا المعـلِّلُ نفسه مـتى خدعتك الدنيـا ؟ أم متى استَذَمَّت إليك(١) ؟ أبمصارِع آبائك في البلى ؟ أم بمضـاجِعِ أُمهاتكَ فى الثَّـرى ؟ كَمْ مَرَّضْتَ بـيديْك وكم علَّلْـتَ بكفيك ؟ تطـلب له الشِّفـاء ، وتسـتـوصِفُ له الأطبـاءَ ، غـداةَ لا يُـغنى عنه دواؤك ، ولا ينفـعـه بكاؤُك .

.. فـافهم كل هذا أخـا الإسلام .. وكن مـنفذًا للمـراد منه طوال حياتك حتى لا تكون الدنيا ملعونة بكل ما فيها بالنسبة لك كمؤمن .. والله ولى التوفيق ،،



(١) أى : متى صنعت إليك ما تستحق به الذم ؟

(٢١) النَّائحةُ والمستَمعةُ إليْهَا ..
والخامشةُ وجهَهَا ، والشَاقَّةَ جيبهَا
والداعيةُ بالوَيْل والثُّبور

عن أبى سعيد الخُدرىِّ رضى الله عنه قَالَ : لعن رسول الله ﷺ : النَّائحَةَ والمُستَمعةَ[١] .

رواه أبو داود ، وليس فى إسناد من ترك ، ورواه البزار والطبرانى فزاد فيه : وقال : ليس للنساء فى الجنازة نصيب[٢] .

وقد ورد فى السُّنَّة (**الترهيب**) من النياحة على الميت .. وأن الميتَ يُعذَّب فى قبره بما نيح عليه :

فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ: « **الميت يُعذَّب فى قبره بما نيح عليه**[٣] » وفى رواية : (ما نيح عليه)[٤] رواه البخارى ومسلم وابن ماجة والنسائى ، وقال (بالنياحة عليه).

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله

---

(١) أى : التى تجلس مُصْغيةً إلى النائحة راضيةً بفعلها .

(٢) يعنى : لا يجوز لهن أن يتبعن الجنازة إلى المقبرة ؛ لأنهن لا يحملن فيها ولا يحفرن لها .

(٣) أى : بسبب النياحة عليه ـ لأن الباء للسببية وما مصدرية .

(٤) وما هنا ظرفية أى : مدة النياحة عليه .

ﷺ يقول : « من نِيحَ عليه فإنهُ يُعَذَّبُ بما نيحَ عليه يوم القيامة(١) » رواه البخارى ومسلم .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : أُغمىَ على عبد الله ابن رواحة(٢) فجعلت أخته تبكى(٣) : واجبلاه ، واكذا واكذا ، تُعَدِّدُ عليه(٤) ، فقال حين أفاق(٥) : ما قُلْتِ شيئًا إلا قيل لى : أنت كذلك(٦)؟

رواه البخارى ، وزاد فى رواية : فلما مات لم تَبْكِ عليه(٧) . ورواه الطبرانى فى الكبير عن الأعمش عن عبد الله بن عمر بنحوه ، وفيه : فقال : يا رسول الله ، أُغمىَ علىَّ فصاحت النساء . واعزَّاهُ واجبلاهُ ، فقال مَلَكٌ معه مِرْزَبَّةٌ(٨) فجعلها بين رجلى(٩) فقال : أنت

---

(١) وقد أفاد هذا الحديث أنه يعذب على النياحة فى الآخرة ، كما أفاد حديث عمر أنه يعذب عليها فى القبر .. (اللهم إذا كان قد تبرأ من هذا الفعل فى حياته : فإنه لا يعذب بسببه) .

(٢) وهو خال النعمان بن بشير خزرجى أنصارى شاعر وقد استشهد فى غزوة مؤتة .

(٣) وهى عمرة بنت رواحة أم النعمان بن بشير .

(٤) أى : تذكر مآثره ومناقبه .

(٥) أى : من غيبوبته .

(٦) أى : أأنت كذلك فالكلام على الاستفهام .

(٧) لأنها خافت أن يعذب ببكائها عليه .

(٨) من حديد .

(٩) استعدادًا لضربه بها .

كما تقول(١) ؟ قلت : لا ، ولو قلتُ نعم ضربني بها(٢) . والأعمش لم يدرك ابن عمر .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اثنتان فى الناس هُمَا بهم كُفْرٌ(٣) : الطَّعنُ فى النَّسب(٤) ، والنِّياحَةُ على الميت(٥) » . رواه مسلم

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة من الكفر بالله(٦) : شَقُّ الجيب ، والنياحة ، والطَّعْنُ فى النَّسَب » رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وفى رواية لابن حبان : (ثلاثة هِيَ الكفر)(٧) .

وفى أخرى : « ثلاثٌ من عَملَ الجاهلية لا يتركهُنَّ أهل الإسلام(٨) » فذكر الحديث .

---

(١) يعنى : أأنت كما تصفك النساء من قولهم : واعزاه واجبلاه .
(٢) يعنى : لو أجبته بنعم لأوجعنى ضربًا بمرزبته .
(٣) يعنى : أنهما من خصال الكفر وأعمال الجاهلية ولا يليقان بأهل الإسلام .
(٤) يعنى : بأن ينفى نسب ولد عن أبيه ويتهمه بأنه ولد زنا .
(٥) أى : البكاء عليه بصياح وعويل وكلمات منكرة .
(٦) يعنى : أنها من أفعال أهل الكفر ولا تليق بأهل الإسلام .
(٧) جعلها هى نفس الكفر مبالغة فى الزجر عنها .
(٨) يعنى : أنهن سيبقين فى الإسلام كما كُن فى الجاهلية .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة(١) رَنَّ إبليس رَنَّةً(٢) اجتمعت إليه جنوده ، فقال : أيْأسُوا أن تَرُدُّوا أمةَ محمد على الشرك بعد يومكم هذا(٣) ، ولكن افتنوهم فى دينهم وأفشوا فيهم النَّوحَ(٤) . رواه أحمد بإسناد جيد

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة(٥) مِزمار(٦) عند نعمة ، ورنَّة عند مُصيبة »** رواه البزار ورواته ثقات .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن هذه النوائحَ يُجعَلْنَ يوم القيامة صفَّينِ فى جهنَّم : صف عن يمينهم وصف عن يسارهم فَيَنْبَحنَ على أهل النار كما تنبح الكلاب(٧) »** . رواه الطبرانى فى الأوسط .

فمن كل هذه الأحاديث الشريفة ـ فضلاً عن غيرها ـ يتأكد لنا

---

(١) وكان هذا فى رمضان فى السنة الثامنة من الهجرة .

(٢) أى : صرخ صرخة شديدة لما رأى من عزة الإسلام وزهوق الباطل .

(٣) يعنى : لا تطمعوا أن تردوا أمة محمد إلى الشرك بعد ظهور الإسلام فى هذا اليوم.

(٤) أى : أشيعوها فيها فإنها من آثار الجاهلية ومنافية للإسلام .

(٥) أى : أن الله يمقتهما ويغضب على صاحبهما فى الدنيا والآخرة .

(٦) المزمور والمزمار : الآلة التى يزمر بها .

(٧) يعنى أن هذا من جملة ما يعذب الله به أهل النار أنه يسلط عليهم هؤلاء النوائح من عن أيمانهم وعن شمائلهم فينَبحنهم كما تنبح الكلاب من يمر عليها .

حرمة النياحـة على الميت .. وعلى هذا اتفقت كلمة **جمهور العلماء** ، كما دلَّتْ **الأحاديث** على التغليظ فى أمر النائحة إذا لم تتبْ قبل موتها وأنها مطرودة عن رحمة الله تعالى ، وكذلك المستمع لها ، وعليها مثل أوزار من اقتدى بهـا وعمل بعملها أو استـمع لها . وعلى ولىّ أمرها منعها من ذلك بكل طريق ممكن وإلا كان شريكَها فى الإثم .

وقد يسـأل الأخ المسلم أو الأخت المسلمة عن :

البكـاء علــى الميــت

فنقول ما خلاصته : يجوز البكاء على الميت إذا خلا مما لا يجوز كالصُّــراخ ودعوى الويل والثبـور وشقِّ الجيوب ، وضــرب الخدُود وإلاَّ حَرُم :

قال ابن عباس رضى الله عنهـما : جاء النبى ﷺ إلى بعض بناته وهى فى السَّوْق(١) فأخذها ووضعها فى حجره حتى قُبضَتْ فدمعت عيناه ، فبكت أُم أيمن فقيل لــها : أتبكين عند رسول الله ﷺ ؟ فقالت : ألا أبكى ورسول الله ﷺ يبكى ؟ قال : « **إنى لم أبْكِ وهذه رحمة(٢) إن المؤمن تخرج نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل** » . أخرجه أحمد والنسائى والبزار بسند جيد .

---

(١) (السوق) بفتح فسكون : النزع ، كأن روحها تساق لتخرج من بدنها .

(٢) أى : الدموع أثر رحمة .

وقال أسـامة بن زيد رضى الله عنه : أُتىَ رسول الله ﷺ بأُمَيْـمَة ابنة زينب ونفسُهَا تَقَعْقَعُ(١) كأنها فى شَنٍّ(٢) فقـال النبى ﷺ : « لله ما أَخذَ ولله ما أعطى وكُلٌّ إلى أجَلٍ مُسَـمًّى ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ : فقـال له سعـد بن عبادة : ياً رسـول الله أتبكى ؟ أو لم تنه عن البكاء ؟ فـقـال النبى ﷺ : « **إنمَا هى رحـمة جعلهـا الله فى قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرُّحَماءَ** » .

أخرجه أحمد والشيخان

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : اشـتكى سعد بن عُبادة شكوى له فأتاه الـنبى ﷺ يعوده مع عبـد الرحمن بن عـوف وسـعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود ، فلمـا دخل عليه وجده فى غشية ، فقال : « **قد قضى ؟** » فقالوا : لا يا رسول الله ، فبكى ﷺ ، فلما رأى القوم بُكَـاءَهُ بكَوْا ، قال : « **ألا تسـمعـون ، إن الله لا يُعـذِّبُ بِدَمْع العَـين ولا بحـزن القلب ، ولكن يعـذب بهذا - وأشـار إلى لسانه أو يَرحَم** » . أخرجه الشيخان والبيهقى .

(**فقد**) دلت هذه الأحاديث على إباحـة البكاء على الميت والحزن عليه إذا لم يصـحبه نوح أو شق جيب أو لطم خَـدٍّ أو سـخط لأمر الله تعالى .

---

(١) تقعقع : أى تتحرك وتضطرب .

(٢) الشن : بفتح الشين : القربـة الخلقة اليابسة . شبه الـبدن بالجلد اليابس الخلق وشبه حركة الروح فيه بما يطرح فى الجلد من حصاة ونحوها .

ولهذا ، فقد ورد النهى الصريح عن لطم الخدود وشَقِّ الجيوب :

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليسَ منَّا(١) من ضرَبَ الخُدودَ(٢) ، وشَقَّ الجيوب(٣) ، ودعا بدعوى الجاهلية(٤)** » . رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وعن أبى بُرْدَةَ قال : وُجِعَ أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه ورأسه فى حجر امرأة من أهله ، فأقبلت تصيح برَنَّة(٥) فلم يستطع أن يَرُدَّ عليها شيئًا ، فلما أفاق قال : أنا برىءٌ ممَّن برِئ منه رسول الله ﷺ ، إن رسول الله برِئَ من الصَّالقة والحَالقَة ، والشَّاقَّة. رواه البخارى ومسلم وابن ماجه والنسائى ، إلا أنه قال : أبرأ إليكم كما برىء رسول الله : « **ليس منَّا من حلَقَ ، ولا خَرقَ ، ولا صلق** »

و (**الصالقة**) : التى ترفع صوتها بالندب والنياحة .

و (**الحالقة**) : التى تحلق رأسها عند المصيبة .

و (**الشاقة**) : التى تشق ثوبها .

وعن أسيد بن أسيد التابعى عن امرأة من المُبايَعات قالت : كان

---

(١) أى : ليس على هدينا وطريقتنا أو ليس من أهل ملتنا وهو وعيد شديد .

(٢) يعنى : من لطمها بقوة جزعًا وسخطًا عند المصيبة .

(٣) أى : مزَّق ثيابه من الطوق .

(٤) أى : نادى بألفاظ الندبة ، مثل : واجبلاه ، واجملاه .. الخ .

(٥) أى : بصرخة كتلك التى يصرخن بها عند المصيبة (والعياذ بالله) .

فيما أخـذ علينـا رسـول الله ﷺ فى المعروف الذى أخذ علينا(١) : أن لا نخمشَ وجْهًا(٢) ، ولا ندْعُو وَيْلاً(٣) ، ولاَ نَشُقَّ جَيْبًا(٤) ، ولا ننشر شَعْرًا(٥) . رواه أبو داود .

وعن أبى أُمامــة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن الخامـشةَ وجْهَهَا ، والشَّاقَّة جيْبهَا ، والداعية بالويل والثبور . رواه ابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه .

وقد تسـأل الأخت المسلمة كذلك ـ بصفة خاصة ـ عن مدة إحداد المرأة على زوجها ، وعلى غير زوجـها ... فأذكرها بهذا الحديث الذى جاء فى (الترغيب والترهيب) تحت عنوان :

الترهيب من إحداد المرأة على غير زوجها فوق ثلاث :

عن زينب بنت أبى سلمة قالت : دخلتُ على أمِّ حبيبةَ زوج النبى ﷺ حين تُوفِّى أبوها أبو سـفـيانَ بنُ حـربٍ ، فـدعَتْ بِطِيبٍ(٦) فيه

---

(١) وهو قوله تعالى فى آية بيعة النساء : (ولا يعصينك فى معروف) .

(٢) يقال خمش الوجه : أى : خدشه ولطمه .

(٣) أى : لا نقول : واثبوراه ، واهلاكاه .. ونحو ذلك .

(٤) وهو فتحة القميص أو الجلباب ..

(٥) أى:نفرقه ونرسله .

(٦) هو : كل ذى رائحة عطرة وجمعه : أطياب وطيوب .

صُفْرَةُ خَلوق(١) أو غيره ، فدهنت منه جَاريَةً ثُمَّ مَسَّتْ بعارِضَيْهَا(٢) ثم قالت : والله مالى بالطِّيب من حاجَة(٣) غير أنِّى سمعتُ رَسول الله ﷺ يقول على المنبر : « **لا يَحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ بالله واليـوم الآخر أن تحـدَّ على مَـيِّتٍ**(٤) **فــوقَ ثَــلاث إلاَّ عَلَــى زَوْج أَرْبَعَـةَ أَشْــهُـر وعَشْراً** (٥) » . قـالت زينـب : ثُمَّ دَخَلْتُ على زينبَ بـنت جَـحْش(٦) رضى الله عنهـا حِينَ تُوُفِّى أخـوها ، فدعَتْ بطيـب فَمَـسَّتْ منْه ، ثم قالت: أما والله مـا لى بالطيب من حاجة غير أنى سَـمعتُ رسَول الله ﷺ يقول على المنبر : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليـوم الآخر أن تَحدَّ على ميتٍ فوق ثلاثٍ إلاَّ على زَوْجٍ أربعة أشهُرٍ وعشرًا** » .

رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

فعلى الأخت المسلمة التى تؤمن بالله واليوم الآخر أن تلاحظ كل هذا وتنفـذه حـتى لا تكون من **الملعونات** المشـار إليـهن فى كل تلك

---

(١) وهو طيب مـعروف مـركب يتخـذ من الزعـفران وغـيره وتغلب عليـه الحمـرة والصفرة .

(٢) تثنية عارض وهو صفحة الخد .

(٣) يعنى : ليس بى حاجة إلى أن أمس طيباً بعد وفاة رسول الله ﷺ .

(٤) أى : تحزن عليه وتترك ثياب الزينة .

(٥) أى : مدة عـدة المتوفـى عنها زوجـها كمـا قال تعـالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ إلا إذا كانت حـاملاً فعـدتها وضع الحمل .

(٦) وهى إحدى أمهات المؤمنين وأخت عبد الله بن جحش .

الأحـاديث الشريفـة التى وقفنا جـمـيعًـا عليهـا .. وعلى الأخ المسلم والزوج بصفـة خاصة أن يكون عونًا لـزوجته أو أختـه المسلمة على فعل الخيرات وترك المنكرات المتعلقة بكل هذا الذى وقفنا عليه .

والله ولى التوفيق .



(٢٢) زائراتُ القبور .. أو زوّارات القبور والمتَّخِذُون عليها المساجد والسُّرج

عن ابن عباسٍ رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ : لعَن زائرات(١) القُبورِ ، والمتخذينَ عليهَا المسَاجِد(٢) والسُّرُج(٣) .

رواه أبو داود والترمذى ، وحسنه النسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه كلهم من رواية أبى صالح عن ابن عباس(٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ : لَعَنَ زَوَّارات القبور.

رواه الترمذى وابن ماجه أيضًا وابن حبان فى صحيحه ، كلهم من رواية عمر بن أبى سلمة ، وفيه كلام عن أبيه عن أبى هريرة . وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

---

(١) وفى رواية ابن ماجه (زوارات) بصيغة المبالغة أى كثيرات الزيارة ، وكذلك فى كل روايات هذا الحديث عند ابن ماجه ، وهو إنما يخص الكثيرات التردد على القبور فلا يدل على المنع العام .

(٢) يعنى : الذين يبنون المساجد على القبور فيصلون عندها وإليها .. فإذا صلى عند القبر ولو مرة واحدة فقد اتخذه مسجدًا ، وإن لم يكن هناك مسجد فالمراد لعن من يصلى عندها أو يتخذها قبلة .

(٣) السُّرُج بضمتين : جمع سراج وهو المصباح .

(٤) وهو ضعيف يقويه ما بعده .

وقد ورد توضيحًا لهذا المعنى المشار إليه :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قَبَرْنَا مع رسول الله ﷺ يعنى مَيتًا ، فلما فَرَغْنَا[١] انصرف رسول الله ﷺ وانصرفنا معه ، فلما حاذى رسول الله ﷺ بابه[٢] وقف ، فإذا نحن بامرأة مُقْبِلَة قال: أظُنُّه عرفها ، فَلَمَّا ذهبت إذ هى فاطمة[٣] رضى الله عنها ، فقال لها رسول الله ﷺ : « **ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟**[٤] » قالت : أتيتُ يا رسول الله أهلَ هذا الميت فرحمْتُ إليهم ميتهم أو عزيتهُم به . فقال رسول الله ﷺ : « **لعلك بلغْت معهم الكُدَا ؟** »[٥] . فقالت : معاذ الله[٦] وقد سمعتُكَ تذكرُ فيهَا ما تذكُر[٧] .

قال : « لو بلَغْتِ معهم الكُدا ؟ » فذكر تشديدًا فى ذلك ، قال : فسألتُ ربيعة بن سيف عن الكُدا ؟ فقال : القبور فيما أحسبُ .

---

(١) أى : انتهينا من دفنه .

(٢) أى : كان بإزائه وتجاهه ـ والمراد باب بيت رسول الله ﷺ .

(٣) بنت رسول الله ﷺ وأحب الناس إليه .

(٤) يعنى أى شىء حملك على الخروج من بيتك .

(٥) الكُدا بضم الكاف وبالدال المهملة مقصورًا : أى المقابر .

(٦) أى : أتحصن بالله وألتجئ إليه أن أفعل ذلك .

(٧) يعنى : والحال أنى سَمِعْتُكَ تشدّد فى النهى عن ذلك .

رواه أبو داود والنسائى بنحــوه إلا أنــه قال فــى آخره : فقال :
« **لو بلَغْتِـها معـهم ما رأيْتِ الجنةَ حـتى يراها جَدُّ أبيك** (١) » .
وربيعة هذا تابعى مصرى ، فيه مقال لا يقدح فى حُسْن الإسناد .

وروى عن علىّ رضى الله عنه قـال : خـرج رسول الله ﷺ فـإذا نسوةٌ جلوسٌ(٢) ، قال : « **ما يُجلسُكُنَّ** ؟(٣) » قُلْنَ : ننتظر الجنازة(٤) قال : «**هل تَغْسلْن** (٥) » قُلْنَ : لا . قال : « **هل تحملنَ** ؟(٦)» قُلْنَ: لا . قال : « **هل تُدلينَ فيـمن يُدْلى** ؟(٧) » قُلن : لا . قـال : « فارجـعن مأزُوراتٍ غير مـأجُورَات »(٨) .

رواه ابن ماجه وأبو يعلى من حديث أنس .

---

(١) وهو : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، والمعنى : أنها إذا بلغت معهم القبور فلن ترى الجنة حتى يأتى الوقت الذى يراها فيه جـد أبيها . وهو من أهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة فهو من الناجين وإن كان بعد شدة . انظر الدين الخالص (٨/٦٣) وشرح السيوطى على سنن النسائى (٤/٢٨) .

(٢) أى : جالسـات فهو مصدر يستوى فيه المذكر والمؤنث .

(٣) يعنى : ما الذى يحملكن على الجلوس هنا ؟

(٤) أى : لنمشى معها ونشيعها على ما كانت العادة فى الجاهلية .

(٥) يعنى : هل تشاركن فى غسله ؟

(٦) يعنى : هل تُشاركن فى حمله ؟

(٧) يعنى : هل تنزلنه إلى القبر مع من ينزلونه ؟

(٨) أى : حاملات للوزر . . وغير مـأجورات أى غير كاسبات أجرًا .

والخلاصة التى نريد أن ننتهى إليها ، هى ما قرأته فى كتاب (فقه السنة)[1] ، تحت عنوان :

زيارة النساء للمقابر

حيث يقول[2]: رخّص مالك وبعض الأحناف ورواية عن أحمد وأكثر العلماء ، فى زيارة النساء للقبور ، لحديث عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : « **قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون** [3] ».

وعن عبد الله بن أبى مليكة ، أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت : يا أم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخى عبد الرحمن . فقلت لها : أليس كان نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور؟ قالت : نعم كان نهى عن زيارة القبور ، ثم أمر بزيارتها . رواه الحاكم والبيهقى وقال : تفرّد به بسطام بن مسلم البصرى ، وقال الذهبى : صحيح .

---

(١) للشيخ سيد سابق ـ أكرمه الله .

(٢) بتصرّف يسير .

(٣) أخرجه أحمد ومسلم .

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ مرّ بامرأة عند قبر تبكى على صبىٍّ لهـا ، فقال لها : « **اتقى الله واصـبرى** » ، فقالت : وما تبالى بمصيبتى . فلما ذهب قيل لها : إنه رسول الله ﷺ فأخذها مثل الموت، فـأتت بابه ، فلم تجد عليـــه بوابين ، فقـــالت : يا رســـول الله لم أعـرفك . فـقـال : « **إنما الصـــبـر عند الصدمـة الأولـى** » .

ووجه الاستدلال أن الرسول ﷺ رآها عند القـبر فلم ينكر عليها ذلك .

ولأن الزيارة من أجل التذكـير بالآخرة ، وهو أمـر مشترك فـيه الرجال والنساء ، وليس الرجال بأحوج إليه منهن .

وكره قـوم الزيارة لَهُنَّ لقلَّة صبـرهنَّ وكثـرة جزعـهنَّ ، ولقول رسول الله ﷺ : « **لعن الله زَوَّارَات القُبور** »

رواه أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه

قال **القرطبى** : اللعن المذكور فى الحديث إنما هو للمكثـرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغـة من المبالغة ، ولعل السبب ما يفضى إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج ، ومـا ينشأ من الصياح . ونحو ذلك . وقد يـقال : إذا أُمِنَ جمـيع ذلك فلا مـانع من الإذن لهنَّ ، لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرِجال والنساء .

قال **الشوكانى** ـ تعليقًا على كلام **القرطبى** ـ : وهذا الكلام الذى ينبغى اعتماده فى الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة فى الظاهر .

والرأى الأخير الذى أستريح إليه ، والذى أرجو من الأخت المسلمة أن تقتنع به ـ ولو على سبيل الاحتياط ـ هو ما أشار إليه الشيخ محمود خطاب السبكى ـ رحمه الله تعالى ـ فى الجزء الثامن من (**الدين الخالص**) حيث يقول بعد كلام طويل تحت عنوان :

زيارة النساء

(ويجمع) بين الأدلة بأن الإذن فى الزيارة لمن خرجت متسترة خاشعة متذكرة أمر الآخرة معتبرة بما صار إليه أهل القبور تاركة النياحة وضرب الخدود ، وشق الجيوب ، وسوء القول . وبأن المنع لمن فعلت شيئًا مما ذُكر كما يقع من كثير من نساء زماننا ولا سيِّما نساء مصر . ومعلوم أن أَمْنَ الفتنة فى زماننا معدوم بل مستحيل عادة ، إذ المرأة لو خرجت إلى زيارة القبور لا تسلم من ارتكاب الفجور وعبث الفساق وأهل الشرور . فيطلب طلبًا أكيدًا عدم خروج النساء لزيارة القبور لا ليلاً ولا نهارًا ، لا فرق فى ذلك بين شابة وغيرها إذ لكل ساقطة لاقطة ، ولا سيما ما هو فاشٍ من غالب أهل الزمان من الفساد والإفساد . ومن القواعد المقررة أن درء المفاسد مُقدم على جلب المصالح .

ومِنْ ثَمَّ : ذهب شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية وغيره إلى عدم جواز الزيارة للنساء . والله الهادى إلى سواء السبيل . ا هـ .

وعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا ـ كذلك ـ أن الميت ينتفع بكل ما يُهدى إليه من الطاعات وأنواع البِرِّ كَالصَّدقة والدعاء والصلاة والصيام وغير ذلك من أعمال الخير التى من الممكن أن نقدمها للميت حتى ينتفع بها هناك .

فقد ورد عن أنس رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله إنا نتصدق عن موتانا ونحج عنهم وندعو لهم ، فهل يصل ذلك إليهم ؟ فقال « **نعم إنه ليصل إليهم ويفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أُهدى إليه**[1] ».

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل الاتباع لا من أهل الابتداع . . والله ولىّ التوفيق .



(١) أخرجه أبو حفص العكبرى . انظر ص٢٠٩ ج١ فتح القدير لابن الهمام .

(٢٣) الذِينَ اتخذُوا قُبورَ أنبيائهِمْ مَسَاجِدَ

عن عـائشة رضى الله عنهـا أن النبى ﷺ قـال فى مرضـه الذى مات فـيه : « **لعن الله اليهـود والنصارى اتخـذوا قبور أنبـيائهم مساجد** » قالت : ولولا ذلك لأُبْرِز قـبره . (الحديث) أخرجـه أحمد والشيخان .

أى : لولا الخوف من اتخـاذ قبره ﷺ مسـجدًا كما فعل الـيهود والنصارى بأنبـيائهم لكُشف قبـره ﷺ ولم يُتَّخذ عليـه الحائل ، أو المراد لَدُفِنَ خارج بيته .

وقد أشار فى (الدين الخـالص) ج ٨ ، إلى توضيح هذا ، تحت عنوان :

النهى عن الصلاة إلى القبور أو عليها

فقال ما خلاصته :

ولذا لما احتاجت الصـحابة والتابعون إلى توسعة مـسجد النبى ﷺ ، وامتدت الزيارة إلى حُجَر أمهـات المؤمنين ومنها حجرة السيدة عائشة مدفن النبى ﷺ وصاحبيه رضى الله عنهما ـ بنوا حول القبر الشريف سورًا مُرْتَفِعًا مستديرًا لئلا يظهر القبر فى المسجد فيصلى

إليه العوام . ثم بنوا جدارين كهيئة مثلث قاعدته الحائط الشمالى للقبر حتى لا يُتَمكَّن من استقبال القبر . وقد زعم بعضهم أن النهى عن الصلاة إلى القبر إنما كان فى الزمن السالف العهد بعبادة الأوثان أما الآن فلا كراهة فيها . وهو مردود باتفاق المسلمين على خلافه ولعموم النهى فى حديث جُنْدُبِ بن عبد الله أن النبى ﷺ قال : « **ألا فَلاَ تَتَّخِذُوا القبورَ مساجدَ إنى أنهاكُم عن ذلك** » أخرجه مسلم .

وقد قال كذلك فى (الدين الخالص) ج ٣ :

وتكره تحريمًا الصلاةُ إلى القبور (لحديث) أبى مرثد الغنوى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **لا تُصَلُّوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها** » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

(ولحديث) جُندب بن عبد الله البجلى قال : سمعت النبى ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « **إن مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجدَ ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكُم عن ذلك** » أخرجه مسلم والنسائى .

(وظاهر) النهى التحريم . وإنما نهى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن اتخاذ قبره مسجدًا خوفًا من المبالغة فى تعظيمه

والافتـتان به ، وربما أدى ذلك إلى الكفر كـما جرى لكثـير من الأمم الخالية ...

(**وقد حمل**) بعضهم الوعيد على من كان فى ذلك الزمان لقرب العهد بعـبادة الأوثان . وهو تقييد بلا دليـل لأن الـتعظيـم والافتتان لا يختصان بزمان دون زمان .

(**وقـد**) يؤخـذ من قـوله : « **كانوا يتـخذون قبور أنبـيائهم مساجد** » ومن قوله فى حديث ابن عباس عند أبى داود والترمـذى : « **والمتخذين عليها المساجد** » . أن (محل) الذم على ذلك أن تُتَّخَذَ المساجدُ على القـبور بعد الدفن ، لا لو بُنى المسجد أولاً وجُـعل القبر فى جانبه ليُدفَنَ فيه واقفُ المسجد ، أو غيره فليس بداخل فى ذلك .

(**قال**) العـراقى : والظاهر أنه لا فـرق ، وأنه إذا بَنَى المسجـدَ لقصـد أن يُدفن فى بعضـه ، فهو داخل فى اللعنـة . بل يحرم الدفن فى المسجد . وإن شرط أن يُدفن فيـه لم يصح الشرط ، لأنه مخالف لمقتضى وقفه مسجدًا .

ويحرم إيقاد المصابيح والشموع على القبر ولو قبر نَبِىٍّ أو وَلِىٍّ لما فـيه مـن تضيـيع المال بلا منفـعـة والمبالـغة فى تعظيـم القبـور كاتخـاذها مسـاجد (ولقول) ابن عـباس رضى الله عنهـما : « **لَعَنَ النبىُّ ﷺ زائراتِ القـبور والمتخـذين عليهـا المساجـد والسُّرُج** » أخرجـه أحمد وأبـو داود والترمذى والنسـائى وابن ماجـه والبزار وابن حبان والحاكم وحسّنه الترمذى .

وقد يسأل الأخ المسلم ، عن :

حكم الصلاة فى الكنيسة والبيعة إذا كانت هناك ضرورة

فأذكره كذلك ـ إتمامًا للفائدة ـ بما جاء فى (الدين الخالص) ج٣ ، وهو : وتكره الصلاة فى الكنيسة والبيعة[1] : إذا كان فيهما تصاوير (**لقول**) مقسم : إن **ابن عباس** كره الصلاة فى الكنيسة إذا كان فيها تصاوير . أخرجه ابن أبى شيبة . وفى سنده خصيف متكلم فيه .

(**ولقول**) البخارى : وكان **ابن عباس** يُصلّى فى البِيعة إلا بِيعة فيها تماثيل . ا . هـ (وقد وصله) البغوى وزاد فيه : فإن كان فيه تماثيل خرج فصلّى فى المطر (ولقول) البخارى : وقال **عمر** : إنَّا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل التى فيها الصور (وقد وصله) عبد الرزاق من طريق أسلم مولى **عمر** قال : لما قدم **عمر** الشام صنع له رجل من النصارى طعامًا وكان من عظمائهم وقال له : أنا أُحبُّ أن تُجيبنى وتكرمنى ، فقال له **عمر** : إنا لا ندخل كنائسكم من أجل الصور التى فيها .

---

(١) البِيعَة بكسر الباء : هى معبد اليهود .

وبه قالت **الحنابلة** . أما الخالية من الصور فالصلاة فيها مباحة . وعليه يحمل حديث سهل بن سعد عن حميد عن بكر قال : كُتبَ إلى **عمر** من نجرانَ أنهم لم يجدوا مكانًا أنظف ولاَ أجود من بيعة ، فكتب : انضحُوهَا بماء وسدر وصلُّوا فيها . أخرجه ابن أبى شيبة .

(وقالت الحنفية والشافعية) : تكره الصلاة فيها مطلقًا ، ولعلَّ وجهه ما تقدم من اتخاذهم قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد ، فتصير جميعُ البيع والكنائس مظنّة لذلك (ويؤيده) حديث عائشة أن أُم سلمة ذَكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة يقال لها **مارِية** ، فذكرت له ما رأته فيها من الصور . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « **أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوّروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله** » أخرجه الشيخان والنسائى .

(**وقالت المالكية**) : تكره الصلاة فيها إن دخلها اختيارًا ، ويُعيد فى الوقت إن كانت عامرة ولا يُعيد إن كانت دارسة . أمّا إن دخلها مضطرًا فلا تُكره الصلاة فيها (ولم ير) الشعبى وعطاء بن أبى رباح وابن سيرين بالصلاة فى الكنيسة بأسًا . وصلى أبو موسى الأشعرى وعمر بن عبد العزيز فى كنيسة .

وقد سألنى أحد الإخوة المسلمين عن المعنى المراد من قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾[1] ، ثم يسأل : وهل معنى هذا أنه يجوز بناء المساجد على القبور ؟

والآية كما هو واضح تتعلق بأهل الكهف .. الذين قال الله تعالى عنهم لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[2] .

وقد قرأت فى (القرطبى) الإجابة على هذا السؤال الذى طُلب منى أن أجيب عليه .. (وهى) أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أى : أطلعنا عليهم وأظهرناهم ﴿ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ يعنى الأمة المسلمة الذين بُعث أهل الكهف على عهدهم .. وذلك أن دقيانوس[3] مات ومضت قرون وملَكَ أهل تلك الدار رجل صالح

---

(١) الكهف : الآية ٢١ .

(٢) الكهف : ١٣ .

(٣) وهو الملك الجبار الذى كان قد دعا الناس إلى عبادة الأوثان . . وكان يقتل كل مؤمن لا يستجيب لدعوته الفاجرة حتى عظمت المحنة على أهل الإيمان ، ففر هؤلاء الفتية الشباب بدينهم إلى الله ، خوفًا من بطشه وجبروته (هامش مختصر تفسير الطبرى) .

فاختلف أهل بلده فـى الحشر وبعث الأجساد من القـبور ، فشكَّ فى ذلك بعض الناس واستـبعدوه وقالوا : إنما تُحشَـر الأرواح والجسد تأكله الأرض . وقال بعـضهم : تبعث الروح والجسـد جميعًـا فكَبُر ذلك على الملك وبقى حـيران لا يـدرى كيف يتـبين أمره لهم ، حـتى لبس المسـوحَ وقعـد على الرَّمـاد وتضرع إلى الله تعـالى فى حجـة وبيـان ، فـأعثـر الله على أهل الكهف ، فـيـقـال : لما بَعثـوا أحـدهم بوَرقهم[1] إلى المدينـة ليـأتيــهُم برزق[2] منهـا استُنْكِرَ شَـخْصُـهُ واستُنْكِرت دراهمه لبُعد العهد، فحُمل إلى الملك وكان صالحًا قد آمنَ وآمن مَن معه ، فلمّا نظر إليه قال : لَـعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهـد دقيـانوس الملك ، فقـد كنت أدعو الله أنْ يُرِيَنيـهم ، وسأل الفتـى فأخبـره ، فَسُـرَّ الملك بذلك وقال : لعل الله قـد بعث لكم آية ، فلنَسِر إلى الكهف مـعه ، فركبَ مع أهل المدينة إليـهم ، فلما دنَوْا إلى الكهفَ قال **تمليخا**[3] : أنا أدخل عليهم لئـلا يرعَبُوا ، فـدخل عليهم فـأعلمــهم الأمرَ وأن الأُمَّــةَ أُمَّــةُ إسلام .. فَـروىَ أنهم سُـرُّوا بذلك وخرجوا إلى الملك وعَظَّمـوه وعَظَّمَهُم ثم رجعوا إلى كهفــهم . وأكثر الروايات على أنهم ماتوا حين حدثهم **تمليخا** ميتة الحق ...

---

(١) أى : الدراهم الفضية .

(٢) أى : الطعام الذي يريدونه .

(٣) وهو الفتى الذى كان قد خرج لشراء الطعام .

ورجع من كان شك فى بعث الأجساد إلى اليقين . فهذا معنى ﴿ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ . ﴿ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ أى : ليعلم الملك ورعيته أن القيامة حق والبعث حق ﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ . وإنما استدلوا بذلك الواحد على خبرهم وهابوا الدخول عليهم ، فقال الملك : ابنُوا عليهم بنيانًا ، فقال الذين هم على دين الفتية : اتخذوا عليهم مسجداً . وروى أن طائفة كافرة قالت : نبنى بيعَة أو مَضيفًا ، فمانعهم المسلمون وقالوا : ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ وروى أن بعض القوم ذهب إلى طمس الكهف عليهم وتركهم فيه مُغَيَّبين .

وروى عن عبد الله بن عمر أن الله تعالى أعمى على الناس حينئذ أثرهم وحجبهم عنهم ، فذلك دعاهم إلى بناء البنيان ليكون معلمًا لهم . وقيل : إن الملك أراد أن يدفنهم فى صندوق من ذهب فأتاه آت منهم فى المنام فقال : أردتَ أن تجعلنا فى صندوق من ذهب فلاً تفعل ، فإنا من التراب خلقنا وإليه نعود ، فدعنا .

والخلاصة : إنه على فرض أنهم بنوا عليهم مسجدًا .. فإن هذا كان شائعًا عندهم كما ورد فى الصحيحين : « **إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا ..** » .

قال **القرطبى** : قال علماؤنا : وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد ـ كما عرفنا قبل هذا ـ .

فعلى جميع الإخوة المسلمين أن يلاحظوا كل هذا .. حتى ينتفعوا به .. ولو عند اللزوم . والله ولى التوفيق .

(٢٤) مَنْ ضَارَّ مؤْمنًا أو مكَر بِهِ

عن أبى بكـر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قـال : « **مَلْعُونٌ مَنْ ضَارَّ مُؤْمِنًا أو مَكَر بِهِ** » رواه الترمذى

وهذا معناه أن الذى يُسىءُ إلى المؤمن أو يمكر به سـيكون ظالمًا له ، وسيكون قد سلبه حقًا من حقوقه بدون حق .. وهذا معناه كذلك أن من فعل هذا أو سيفعل هذا .. ليس بمؤمن .. لأن المؤمن كما ورد فى الحـديث الشـريف هو : « **مَن أمِنَه الناسُ على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم** » .

وقد ورد فى السُّنَّةِ المطهَّرةِ الترهيبُ من ظلم الخلق أو الإضرار بهم :

فعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **مَن أخذ من الأرض شيئًا بغير حَقٍّ خُسفَ به يوم القيامة إلى سبع أرضين** » وفى رواية : « **مَن أخذ شِبْراً من الأرض ظُلمًا فإنَّه يُطَوِّقُه يومَ القيامةِ من سَبع أرضين** (١) » . رواه الشيخان وأحمد

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من كانت**

---

(١) أى : من ظلم أحدًا فى شىء من الأرض فإنه يوضع كالطوق فى عنقه من سبع أرضين يوم القيامة فضيحة وعذابًا .

له مظلمة لأحد (١) من عرضه أو شيء فليتحلَّله منه اليوم قبل ألاَّ يكون دينار ولا درهَمٌ إن كان له عمل صالح أُخذَ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسناتٌ أُخِذ من سيئات صاحبه فَحُمِلَ عليه » رواه البخارى

وعن أبى صرمةَ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَن ضَارَّ ضَارَّ اللهُ به ومَن شاقَّ شقَّ اللهُ عليه (٢) » . رواه الترمذى

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا حتى لا يظلم أحدًا أو يضره وحسبه أن يذكر دائمًا وأبدًا قول الله تبارك وتعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾(٣) .

نعوذ بالله أن نكون من الظالمين .. الذين يضرون إخوانهم المؤمنين أو يمكرون بهم ... اللهم آمين .

❁ ❁ ❁

---

(١) وفى رواية : (من كانت عنده ..)

(٢) أى : فمن أضر بالعباد أضره الله ومن شدد عليهم شدد الله عليه فى الحساب والعقاب .

(٣) سورة إبراهيم : ٤٢ .

(٢٥) المُحَلِّلُ والمُحَلَّلُ له

عن عبد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لعن رسول الله ﷺ المُحلَّ والمحلَّلَ له » رواه الترمذى وصاحباه بسند صحيح .

وأخرج أحمد والنسائى وغيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ « **لعن المُحلِّلَ والمُحلَّلَ له** » .

وروى ابن ماجه بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **ألا أخبركم بالتَّيس المستعار ؟** »(١) قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « **هو المحلِّل ، لعن الله المحلِّلَ والمحلَّلَ له** » .

وروى أبو إسحاق الجوزجانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سُئِل رسول الله ﷺ عن المحلِّل فقال : « **لا نِكَاحَ رغْبَة ، لاَ نِكَاحَ دَلَسَة**(٢) **ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل ثم تذوق العسيلة** » .

وتوضيحاً لهذا(٣) .. فإن المحلَّ بلفظ اسم الفاعل ، هو مَن يتزوج المرأة ليُحِلَّها لزوجها الأول الذى طلقها ثلاثًا ، والمحلَّلَ له بلفظ اسم

---

(١) وهو الذكر من الظباء والمعز والوعول .

(٢) أى : خديعة وتدليس .

(٣) كما جاء فى هامش كتاب (التاج الجامع للأصول) للشيخ منصور على ناصف ـ أكرمه الله .

المفعول ، هو الذى طـلقها ثلاثًا[1]، واللعن لا يكون إلا لفـعل حـرام ، فنكاح التحليل حـرام وباطل إذا شرط فى العقد أنه إذا واقـعها بانت منه أو طلقهـا ، لأنه مؤقت كنكاح المتـعة ، فاللعـن فى الحديث منزل على هذا . وإذا لم يشـتـرط فى العقـد شىء ولـو نوى الطلاق بعـد الوقاع : صـح الـعـقـد وكـان مكروهًـا لأن النـية حـديث النـفـس ولا مؤاخذة به ، وعلى هذا الشافـعى وجماعة ، بل قال **أبو ثور** : إن المُحلَّ مـأجور لأنه كـان سـببًـا فى عود المـرأة لزوجهـا ، ونقل عن **الحنفية** مثل ذلك كـما نقل عنهم عدم الحل إذا نـوى التحليل ، ونقل عنهم الحل وإن نواه بل وإن شـرط الطلاق ويلغـون الشرط ، وقـال **ابن عمر وجماعة** : لا يُحللهـا للأول إلا نكاح رغبـة ، وإنما لعنهـما الحديث لما فيـه من هتك المروءة وقلة الحمية وخِسَّـة النفس بالنِّسْبَة للثـانى . وأما **الأول** فإنه أعَـارَ نفسـه بالوطء لغرض الغـير ، فـهو كالحـيوان المسـتعـار ، لحديث ابن مـاجه : « **ألا أخـبركم بالتَّـيْسِ المستـعار ؟ قالوا : بلى يا رسـول الله ، قال : هو المحلِّل ، لعن الله المحلِّل والمحلَّل له** » . ا هـ .

---

(١) لأنها بعد ذلك لن تحل له (حتى تنكح زوجًا غيره) بدون نية التحليل .

المحرِّم من الصحابة

وقد روى ابن المنذر وابن أبى شيبة وعبد الرزاق والأثرم ، عن عمر رضى الله عنه أنه قال : لا أُوتىَ بمُحلِّل ولا مُحلَّل له إلا رَجَمتُهُمَا فَسُئل ابنه(١) عن ذلك فقال : كلاهما زان . وسأل رجل ابن عمر فقال : ما تقول فى امرأة تَزَوَّجْتُها لأُحلَّهَا لزوجها لم يأمرنى ولم يَعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا ، إلا نكاح رغبة إن أعجبتك أمسكتَها ، وإن كرهتَها فارقتَها ، وإن كُنَّا نعد هذا سِفَاحًا(٢) على عهد رسول الله ﷺ .

وسُئل عن رجل طلق ابنة عمه ، ثم ندم ورغب فيها ، فأراد أن يتزوجها رجل ليُحلَّهَا له ؟ فقال : كلاهما زان ، وإن مكث عشرين سنةً أو نحوها إذا كان يعلم أنه يُريد أن يُحلَّهَا .

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عمن طَلَّقَ امرأته ثلاثًا ، ثم نَدمَ ؟ فقال : هو عصى الله فأندمَهُ وأطاع الشيطانَ فلم يجعل له مخرجًا .

تحريم الفقهاء من التابعين

قال الترمذى : والعمل على التحريم عند أهل العلم منهم عمر وابنه وعثمان رضى الله عنهم ، وهو قول **الفقهاء** من التابعين .

---

(١) أى : عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

(٢) أى : فجوراً .

ونقل ابن حجر عن الحسن البصرى أنه قال : إذا هَمَّ أحدُ الثلاثة بالتحليل فقد أفسد العقد .

وعن **النخعى** أنه قال : إذا كانت نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل : فنكاح الآخر باطل ولا تحلّ للأول .

وعن **ابن المُسَيَّب** أنه قال : مَن تزوَّجَ امرأة ليُحلِّها لزوجها الأول لم تحل له .

المُحَرِّم من الأئمّة

نقل ابن حجر التحريم عن الإمام مالك والليث وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل .

ونقل عن أحمد أنه سُئل عمن تزوّج امرأة وفى نفسه أن يُحلِّها للأول ولم تعلم هى بذلك ؟ فقال : هو مُحلِّل وإذا أراد بذلك التحليل : فهو **ملعون** .

وقد أخذ المحرمون للتحليل وهم أهل العلم من الصحابة والفقهاء من التابعين والأئمة السابقين بإطلاق الأحاديث السابقة .

وقال **الشافعى** : إن التحريم محله إذا شرط التحليل فى صُلب العقد . ا . هـ كلام ابن حجر .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كُلَّ هذا ـ سواء كان مُحلِّلاً أو مُحلَّلاً له ـ حتى لا يكون من أهل اللعنة المشار إليـها فى الأحاديث .. وعلى الأخت المسلمـة أن تتّـقى الله فى زوجهـا حـتى لا تكون سـببًـا فى توريطه وتوريط نفســها فى هذا الحرام المتفق عليـه .. والذى نسأل الله تعالى أن يُعافينا جميعًا منه .. اللهم آمين .



والملعونون والملعونات فى السُّنَّة أيضًا
هم المشار إليهم فى الأحاديث الشريفة الآتية

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَن تزيَّنَ بعمل الآخرة وهو لا يُريدها ولا يَطلبُها : لُعِنَ فى السموات والأرض**» رواه الطبرانى فى الأوسط .

وعن الجارود قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَن طلب الدنيا بعمل الآخرة طُمِسَ وجهه[1] ومُحِقَ[2] ذكره ، وأُثْبِتَ اسمه فى النار** » رواه الطبرانى فى الكبير .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**يخرج فى آخر الزمان رجال يَخْتِلُونَ الدنيا بالدين[3] ، يلبَسُون للناسِ جُلودَ الضأن من اللِّين[4] ، ألسنتُهم أحلى من العسل[5] ،**

---

(١) الطمس : أي المحو والإهلاك والتغطية ، والمراد أذهب الله نور وجهه وبهاءه أو أزال معالم وجهه وجعله كقفاه شيئًا واحدًا .

(٢) المحق : الإذهاب والإهلاك .

(٣) أى : يأكلونها به على وجه الختل والخداع ، وقد سئل بعض السلف عن السفلة ؟ فقال : الذين يأكلون الدين بالدنيا .

(٤) يعنى : يظهرون لهم التواضع والملاينة ويتظاهرون بالزهد والمسكنة .

(٥) لأنهم يجتهدون فى تنميق الكلام وتحسينه حتى يغتر الناس بكلامهم .

وقلوبُهم قلوب الذئاب(١) ، يقول الله عز وَجَلَّ : أبـي يغتَرّون ، أم عَلَيَّ يجتـرئون ؟ فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ على أولـئك منهم فِتْنَةً تدع الحليم حيران(٢) » . رواه التـرمذى من رواية يحـيى بن عـبيـد ، سمـعت أبى يقول : سمـعت أبا هريرة فذكـره ورواه مختـصرًا من حديث ابن عمر ، وقال : حديث حسن .

ورُوِى عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « مَن تَحَبَّبَ إلى الناسِ بما يُحِـبُّـونَ ، وبارز الله بما يـكرهون(٣) لقى الله وهـو عليـه غضبان » . رواه الطبرانى فى الأوسط .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « من رغِب عن سُنَّتِي فليس منى(٤) » . رواه مسلم .

وعن ابن عـباس رضى الله عنهـما عن النبى ﷺ قـال : « ليس منَّا(٥) من لم يُوقِّر الكبـيرَ ، ويرحم الصـغير ، ويأمـرْ بالمعروف ويَنْهَ عن المنكر » . رواه أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه .

وعن أبى هريرة رضـي الله عنه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « من

---

(١) أى : أنها ليست صافية .. وإنما هى ممتلئة بالشر .

(٢) أى : تتركه حائرًا مضطربًا لا يدري كيف يواجهها .

(٣) أى : حاربه بترك ما يكرهه الناس مما أمر الله به .

(٤) وفى هذا الحديث وعـيد شديد للمـعرضين عن سنة رسول الله ﷺ بعـد علمهم بها.

(٥) أى : ليس على طريقتنا ولا متبعاً لهدينا .

تعلّم علمًا ممَّا يُبْتَغى به وجهُ الله تعالى[1] لا يتعلمه إلا ليُصِيبَ به عَرَضًا من الدنيا لم يجد[2] عَرف[3] الجنة يوم القيامة ، يعنى : ريحها » . رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى ومسلم .

وعن أُسَامة بن زيد رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **«يُجاءُ بالرجل[4] يوم القيامةِ فيُلقى فى النار فتندلقُ أقتابُه[5] فيدورها[6] كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : يا فلان ما شأنك[7] ، ألستَ كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : كنتُ آمرُ بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكُم عن الشر وآتيه »** . قال : وإنى سمعتُه يقول : يعنى النبى ﷺ : **« مررتُ ليلةَ أُسرِى بى بأقوامٍ تُقرَضُ شفاههم بمقاريض[8] من نار ، قلتُ :**

---

(١) أى : يطلب به ثوابه ومرضاته والزلفى لديه .

(٢) أى : لم يشم .

(٣) بفتح أوله بمعنى الريح الطيب ، وبضمها شعر ناصية الفرس .

(٤) أى : من علماء السوء الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أفلا يعقلون .

(٥) أى : تخرج أمعاؤه من بطنه .

(٦) وفى رواية : فيدور بها .

(٧) أى : ما الذى جاء بك إلى النار ؟

(٨) جمع مقراض وهو آلة القرض كالمنشار ونحوه .

من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء أُمَّتِك[1] الذين يقولون ما لا يفعلون » . رواه البخارى ومسلم واللفظ له ، ورواه ابن أبى الدنيا وابن حبان والبيهقى من حديث أنس ، وزاد ابن أبى الدنيا والبيهقى فى رواية لهما : « **ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به** » .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : « **من حافظ عليها كانت له نورًا[2] ، وبرهانًا[3] ، ونجاةً[4] يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ، ولا برهان ، ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون[5] ، وفرعون[6] وهامان[7] ، وأُبَىٍّ بن خلف[8]** » . رواه أحمد بإسناد جيد ، والطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان فى صحيحه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : كان على

---

(١) وفى بعض الروايات : (خطباء الفتنة من أمتك) .

(٢) أى : على الصراط حين تغشى الناس الظلمة ..

(٣) أى : تكون علامة ظاهرة يوم القيامة على صدق إيمانه وقوة يقينه .

(٤) أى : من عذاب الله الذى أعده لمن كفر به وترك الصلاة .

(٥) وهو طاغية المال الذى ورد ذكره فى آخر سورة القصص .

(٦) وهو فرعون مصر الذى أرسل الله إليه سيدنا موسى عليه السلام .

(٧) وهو وزير فرعون الذى بنى له الصرح ليصعد عليه بزعمه إلى الله عز وجل .

(٨) وهو أُبىّ بن خلف الجمحى .. كان هو وأخوه أمية بن خلف من أشد قريش إيذاء لرسول الله ﷺ .

ثَقَل[١] رسول الله ﷺ رجل يقال له كَرْكَرَةُ فمات ، فقال رسول الله ﷺ : « **هو في النار** » فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غَلَّهَا[٢] . رواه البخارى ، وقال : قال ابن سلام : كركرة ، يعنى بفتحهما .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **مَن ظلم قِيدَ شبر[٣] من الأرض طُوِّقَهُ من سبع أرضين** » . رواه البخارى ومسلم

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَن تَرَدَّى من جَبَل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردَّى[٤] فيها خالدًا مُخَلَّدًا فيها أبدًا[٥] ، ومَن تَحسَّى سُمًّا[٦] فقتل نفسه فَسُمُّهُ فى يده[٧] يَتَحسَّاه فى نار جَهَنَّم خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا[٨] ، ومَن قَتَل نفسه بحديدة فحديدتُه فى يده يتوجَّأ[٩] بها فى نار جهنم خالدًا مُخَلَّدًا فيها أبدًا** » .

رواه البخارى ومسلم والترمذى بتقديم وتأخير ، والنسائى .

---

(١) الثقل محركاً : هو الغنيمة .

(٢) وهو ما يأخذه أحد الغزاة من الغنيمة قبل أن تقسم .

(٣) قيد بكسر القاف : أى قدر شبر .

(٤) أى : رمى نفسه من الجبل أو غيره فهلك .

(٥) أى : أن الله يعذبه فى النار مرة بعد مرة إلى آخر الأبد .

(٦) أى : شربه شيئاً بعد شىء .

(٧) أى : أنه فى النار يعطى كأس السم فى يده .

(٨) أى : يظل يتحساه كما تحساه فى الدنيا .

(٩) أى : يضرب بها نفسه إلى آخر الأبد .

ولأبـى داود : « **ومَن حَسَا سُـمًا فَسُمُّهُ فى يده يَتَـحسَّاه فى نار جهنم** » .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قـال : « **ثلاثة حـرم الله تبـارك وتعـالى عليـهم الجنة**(١) : **مُـدمنُ الخمرِ**(٢) ، **والعَاقُّ**(٣) ، **والديُّوثُ الذى يُقِر الخبثَ فى أهله** (٤) » .

رواه أحمد واللفظ له ، والنسائى ، والبزار والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

وعن حـذيفة رضى الله عنه قـال : قال رسـول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة نمّام**(٥) » .

وفى رواية : (قتَّاتٌ) ، رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

(قال الحافظ) : القَتّات والنَّمَّـام بمعنى واحد ، وقيل : النمام : الذى يكون مع جمـاعة يتحدثـون حديثًا فينم عليـهم ، والقتَّات : الذى يتـسمع عليهم وهم لا يعلمون ثم ينُمُّ .

وعن حـارثة بن وهب رضى الله عنه قـال : سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: « **ألا أُخبركُم بأهل النار ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مستكبر** » .

رواه البخارى ومسلم

---

(١) أى : دخولها مطلقًا إن استحلوا ، وإلا فالمراد مع السابقين .

(٢) أى : الملازم لشربها .

(٣) أى : لأصليه أو لأحدهما .

(٤) وألحق بعضهم بالزوجة المحارم والإماء .

(٥) أى : كثير النقل للحديث على جهة الشر والإفساد .

و (العُتُلُّ) بضم العين والتاء وتشديد اللام : هو الغليظ الجافى .

(والجـوَّاظ) بفـتح الجيم وتـشديد الواو ، وبالـظاء المعجـمـة : هو الجمـوع المنُوع ، وقيل : الضَّخـمُ المختال فى مِـشْيَتـه ، وقيل : القصـير البَطِين .

وعنه رضى الله عنـه قـال : قـال رسـول الله ﷺ « **لا يدخل الجـنة الجوَّاظ ، ولا الجَعْظَـرِىُّ**[1] » قـال : والجـوَّاظ الغليـظ الفَـظُّ . رواه أبو داود .

وهكذا أخـا الإسلام تسـتطيع بمثل هـذا البحث والتنـقيب فى كـتب السُّنَّة أن تقف على مثل هذه الأحاديث الشريفة التى يشير فيها النبى ﷺ إلى الأعمال السيئة التى تُوصِّل أصحابها إلى النار والعياذ بالله ..

فكن أخا الإسلام على صلة بكتب السنة الشريفة حتى تقف على مثل هذا الذى أرجو أن تحـذره حتى تكون من أهل الجنة لا من أهل النار . إن شاء الله .

والله ولى التوفيق

❁ ❁ ❁

---

(١) قال فى النهاية « الفظُّ الغليظ المتكبر ، وقيل : الذى ينتفخ بما ليس عنده » .

خاتمة مُهِمَّة

هذا . وإذا كان لى بعد كل هذا التذكير أو التحذير الذى وقفنا عليه ، أن أقول شيئًا ، فهو أنَّنى أُرِيدُ أن أُنَبِّهَ على أمر هام ..

وهو ما يشير إليه الحديث الشريف الذى ورد :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ**[1] **أن يكونَ لَعَّانًا** [2] » . رواه مسلم وغيره . والحاكم ، وصحَّحه ، ولفظه : قال : « **لا يَجْتَمِعُ أن تكُونُوا لَعَّانِينَ صِدِّيقِينَ**[3] » . وما ورد :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : مَرَّ رسول الله ﷺ بأبى بكر ، وهو يلعن بعض رقيقه[4] ، فالتفت إليه ، وقال : « **لعانين وَصِدِّيقِين ؟ كَلاً وَرَبِّ الكعبة** » فعتق أبو بكر رضى الله عنه يومئذ بعض رقيقه . قال : ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : لا أعود . رواه البيهقى . وما ورد :

---

(١) قال فى النهاية : (فعيل للمبالغة فى الصدق ويكون للذى يصدق قوله بالعمل) .

(٢) أى : كثير اللعن والسب لغيره ، وأصل اللعن : الطرد والإبعاد على سبيل السخط ، ويكون من الإنسان دعاء على غيره .

(٣) يعنى : لا يعقل أن يبلغ اللعان مرتبة الصدِّيقية التى هى أفضل المراتب بعد النبوة .

(٤) أى : عبيده .

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قـال : قال النبى ﷺ : « **لا يكون اللَّعَّانون شُـفَعاء ، ولا شُـهداء ، يوم القيـامة** » . رواه مســلم ، وأبو داود ، لم يقل يوم القيامة . وما ورد :

عن ابن مسعـود رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « **لا يكون المؤمن لَعَّانًا** » . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب .

فإن كُـلَّ هذا .. معناه .. أنه لا يجـوز للمؤمن أن يكـون طَعَّـانًا ولا لَعَّانًا ولا فـاحشًـا ولا بذيئًا .. لأن هذا ليس من صـفات المؤمـن الكامـل .. إلا أنه يُسـتثنى من ذلك : لعن الكافـر ، وشارب الخـمر ، ومن لعنه الله ورسوله .

وعن سمرة بن جُـندب رضي الله عنه قـال : قـال النبى ﷺ : « **لا تلاعَنُوا بلعنة الله ، ولا بغضبه ، ولا بالنار** » .

رواه أبو داود، والترمـذى ، وقال : حديث صحـيح ، والحاكم ، وقال : صـحيح الإسناد ، ورووه كلهـم من رواية الحسن البـصرى عن سمرة ، واختلف فى سماعه منه .

فمعنى : « لا تلاعنوا » أى : لا تتلاعنوا ، فـحذفت إحدى التاءين اختصـارًا . و « بلعنة الله » أى : لا يلعن بعضكم بعضًـا ويدعو عليه باللعنة ، فإن اللعنة الإبعـاد عن رحمة الله .. وليس من خلق المؤمنين الذين وصفـهم الله تعالى بأنهم رحمـاء بينهم ، فيـحـرم لعن المُعَيَّن ولو كافرًا لاحتمال أن يموت مسلمًا ، أما على الوصف فجائز ، نحو : اللّهمّ الْعَنْ الكافر .

و (بغضبه) أى : لا يَدْعُ بعضكم على بعض بغضب الله .

ومعنى : (ولا بالنار) أى كما قال العلقمى : كذا للترمذى ولغيره ، « ولا بجهنم » فلا يقل أحدكُم : اللهم اجعله من أهل النار ، ولا أحرقك الله بنار جهنم » وقال المناوى : هذا مختص بمعين .

وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : «كُنَّا إذا رأينا الرجل يلعَنُ أخاه[1] ، رأينا أن قد أتى بابًا من الكبائر »[2] .

رواه الطبرانى بإسناد جيد .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن العبد إذا لعن شيئًا [3] ، صَعدت اللعنة إلى السماء[4] ، فتُغلَقُ أبوابُ السماء دونها[5] ، ثم تهبط إلى الأرض ، فتُغلَقُ أبوابُها دونهَا ، ثم تأخذ يميناً وشمالاً ، فإن لم تجد مَسَاغا[6] رجعت إلى الذى لُعِن [7] فإن كان أهلاً[8] ، وإلا رجعت إلى قائلهَا[9]** » .

رواه أبو داود .

---

(١) أى : يدعو عليه باللعنة والهلاك .

(٢) يعنى : فعل ذنباً من كبار الذنوب .

(٣) من الأشياء إنساناً كان أو دابة أو غيرهما .

(٤) أى : إلى الله عز وجل لأنها دعاء .

(٥) يعنى : لا يسمح لها بالدخول من أبوابها .

(٦) أى : مسلكًا من أى جهة .

(٧) أى : إلى الذى دُعىَ عليه باللعنة .

(٨) أى : مستحقاً للعنَة .

(٩) أى : إلى الذى دعا بها .

وعن عبد الله بن مسعـود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقـول : « **إن اللَّعْنَةَ إذا وُجِّـهَـتْ إلَى مَن وُجِّـهت إليـه ، فـإن أَصابتْ عَليْه سَبيلاً ، أو وَجَدَتْ فيه مَسلَكًا ، وإلاَّ قَالَتْ**[1] **: يارَبِّ وُجِّهْتُ إلىَ فـلانٍ ، فَلَمْ أجِدْ فيه مَـسْلَكًا ، ولَمْ أجِدْ عَلَيْهِ سَبـيلاً ، فيقال لها : ارجعى من حَيْثُ جِئْتِ** » .

رواه أحمد وفيه قصة ، وإسناده جيد إن شاء الله تعالى .

وعن عمـرانَ بن حُصَـيْنٍ رضى الله عنه قال : بينمـا رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره ، وامرأةٌ من الأنْصَـارِ عَلىَ نَاقَة ، فَضَجِرَتْ[2] فَلَعَنَتْهَا[3] ، فسمع ذلك رسـول الله ﷺ ، فقال : « **خُذُوا مَا عَلَـيْهَا ، وَدَعُوهَا**[4] ، **فَإِنَّهَـا مَلْعُونَةٌ** [5] » قـال عمـرانُ : فَكَأَنِّى أَرَاهَا الآن تمشـى فى الناس ما يَعْرِضُ لها أحدٌ . رواه مسلم

ومعنى : « ما يَعْرِضُ لها أحدٌ » أى : يتعرض لها بركوب وغيره

قال **النووى** : « إنما قال هذا زجرًا لها ولغيرها ـ أى للمرأة وغيرها ـ وكان قد سَبَقَ نهيها ونَهى غيرها عن اللعن فعُوقِبتْ بإرسالِ الناقة ،

---

(١) أى : شاكية إلى الله عز وجل .

(٢) الضمير للناقة ، أى كَلَّتْ وتعبت وأبطأت فى السير .

(٣) أى : دعت المرأة عليها باللعنة .

(٤) أى : اتركوها بلا ركوب .

(٥) وفى رواية : « لا تصحبنا ناقة عليها لعنة » .

والمرادُ النهى عن مصاحبته لتلك الناقة فى الطريق ، وأما بيعُها وذبحُها وركوبها فى غير مصاحبته ﷺ وغير ذلك من التصرفات التى كانت جائزة قبل هذا ، فهى باقية على الجواز . لأن الشرع إنما ورد بالنهى عن المصاحبة فبقى الباقى كما كان » اهـ .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أن ديكاً صرخ(١) عند رسول الله ﷺ ، فَسَبَّهَ رَجُلٌ ، فنهى عن سب الديك . رواه البزار بإسناد لا بأس به ، والطبرانى إلا أنه قال فيه : قال : « لا تلعنه ولا تَسُبَّه ، فإنه يدعو إلى الصلاة » .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى لا تَلْعَن أو تَسُبَّ شيئاً ..

(فعن) ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « سِبَابُ المسلم(٢) فُسُوقٌ(٣) ، وقتالُهُ كُفْرٌ (٤) » . رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وحسبك أن تقتدى بالحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى كان على خلق عظيم ، وكان يَعفو عمّن ظلمه ، ويُعطى من

---

(١) أى : صاح صياحاً عالياً .

(٢) أى : سبّه وشتمه .

(٣) أى : خروج عن طاعة الله عز وجل لأنه نهى عن ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ الحجرات من الآية ١١ .

(٤) وفى الحديث الصحيح : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » .

حَرَمَهُ ، ويصل من قطعه .. (ويوم) أن ذهب إلى الطائف ظَنًا منه أن أهلها سيؤمنون به ، وسينصرونه ... فحدث منهم ، بعدُ ، ما لم يكن ينتظره منهم .. وهو أنهم قد سلطوا عليه الغلمان والعبيد فضربوه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه الشريفتين .. فما كان منه صلوات الله وسلامه عليه إلاّ أن يتضرع إلى الله تعالى بدعاء قال فيه : « **اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربى. إلى من تَكِلُنِى ؟ إلى بعيد يتجهَّمُنِى أم إلى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أمرى ؟؟ إن لم يكن بك غضب عَلَىَّ فلا أُبالى ، غير أن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلماتُ وصلَح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يَحِلَّ عَلَىَّ غَضَبُكَ ، أو ينزل بى سَخَطُكَ .لك العُتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك** » .

وبعد أن يدعو بهذا الدعاء العظيم .. يحدث بعد ذلك أن يُرسل الله تعالى إليه الملك الموكَّلَ بالجبال .. ليقول له : لقد أمرنى الله تعالى أن أُطيعَكَ فى قومك ، فإن أردتَ أَطْبَقْتُ عليهم الأخشبين ـ جبلان بمكة ـ ولكن **المصطفى** صلوات الله وسلامه عليه ، لم يطلب من الملك هذا .. وإنما كل ما حدث منه .. هو أنه جَفَّفَ دموعه .. ثم قال بعد ذلك متضرِّعاً إلى الله تبارك وتعالى : « **اللهم اهْدِ قومى فإنهم**

لا يعلمون .. عسى الله أن يُخرِجَ من أصلابهم من يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله » .. فيتعجب الملك الذى كان ينتظر منه عكس هذا .. ثم يقول مخاطباً إيّاه : صدق من سمّاكَ الرءوف الرحيم .. والمَلك يعنى بهذا قول الله تبارك وتعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) .

فليكن هذا هو خلقنا الفاضل الذى نستطيع به أن نكون من المؤمنين الصادقين الذين من أهم صفاتهم أنهم يحبون لجميع إخوانهم المسلمين .. ما يحبونه لأنفسهم ... بمعنى أنهم يدعون الله تعالى أن يهدى جميع إخوانهم المسلمين كما هداهم .. كما كان يفعل رسول الله ﷺ .. وهو مثلنا الأعلى الذى أوصانا الله تعالى بالاقتداء به فقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾(٢) .

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بعلم رسول الله ﷺ ..

---

(١) التوبة : ١٢٨ .

(١) الأحزاب : ٢١ .

وبأخلاق رسول الله ﷺ .. التى هى أخلاق القرآن .. حتى نكون بهذا الخلق الفاضل إن شـــاء الله تعالى من أهل **الجنة** **لا** من أهل **النار** .. وحتى نكون كـذلك إن شاء الله أهلاً لأنْ نُحـشَرَ ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾(١) .

اللهم آمين ... اللهم آمين .. اللهم آمين

وصلى الله تعالى على سيدنا **محمد** وعلى آله وصحبه أجمعين .

خادم القرآن والسنة

طه عبد الله العفيفى

---

(١) النساء : من الآية ٦٩ .

مراجع الكتاب

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن

ـ للإمام القرطبى ـ طبعة دار الشعب .

٣ ـ مختصر تفسير الطبرى

ـ اختصار وتحقيق الشيخ محمد على الصابونى ، الدكتور صالح أحمد رضا. طبعة دار التراث العربى ـ القاهرة .

٤ ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف (للمنذرى)

ـ ضبط أحاديثه وعلق عليه فضيلة الشيخ محمد خليل الهراس ـ رحمه الله . الناشر / مكتبة الجمهورية العربية ـ بالقاهرة .

٥ ـ سبل السلام ـ شرح بلوغ المرام ، من جمع أدلة الأحكام

ـ للشيخ الإمام/ محمد بن إسماعيل الأمير اليمنى الصنعانى رحمه الله تعالى ـ صححه وعلق عليه الأستاذ محمد عبد العزيز الخولى ـ أكرمه الله ـ الناشر مكتبة عاطف ـ القاهرة .

٦ ـ التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ﷺ

ـ لفضيلة الشيخ منصور على ناصف ـ أكرمه الله ، طبعة دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان .

٧ ـ الحلال والحرام فى الإسلام
ـ للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى ـ أكرمه الله ـ
طبعة دار الاعتصام بالقاهرة .
٨ ـ رياض الصالحين ـ للإمام النووى
ـ أوضح معانى حديثه الأستاذ / مصطفى محمد عمارة
ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية . بالقاهرة .
٩ ـ الدين الخالص
ـ للإمام الشيخ محمود خطاب السبكى ـ رحمه الله
تعالى ، عنى بتحقيقه وتصحيحه والتعليق عليه فضيلة
الشيخ أمين محمود خطاب السبكى ـ رحمه الله تعالى .
١٠ ـ فقه السنة
ـ لفضيلة الشيخ سيد سابق ـ أكرمه الله .
١١ ـ فقه السيرة
ـ لفضيلة الشيخ محمد الغزالى ـ رحمه الله ـ طبعة
دار الكتب الحديثة ـ بالقاهرة .
١٢ ـ مع الله ـ دراسات فى الدعوة والدعاة
ـ لفضيلة الشيخ محمد الغزالى ـ رحمه الله
ـ طبعة دار الكتب الحديثة . القاهرة .
١٣ ـ مفتاح الخطابة والوعظ .
١٤ ـ حاشية الصاوى على الجلالين .
١٥ ـ مختار الصِّحَاح .

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

*** والملعونون والملعونات فى القرآن أيضًا :**

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

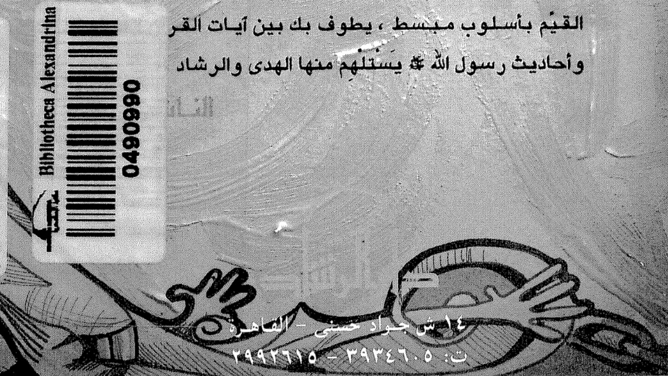
هــذا الكتــاب

* « الملعـونون والملعـونـات » هم أولئك الذين حكم الله ورسـولـه عليـهم بالـطرد من رحـمـة الله ، وبـالإبعـاد عن النجـاة يوم القيامة .

* وقد فصّل القرآن والسنة أحـوال هؤلاء الملعونين والملعونات ، وأسبـاب لعنتهم ، وأصنافهم ، حـتى يبتـعد أبناء هـذه الأمة عن طرق ومسالك حياة هؤلاء الملعونين ومناهجهم .

* إن أسـبـاب لعنتهم قد شمـلـت كل نواحى الحيـاة من : كـفـر ، وفسـوق ، ونفاق ، ورمْى لـلمحصـنات الغافـلات بالفاحـشة ، وأكل للربـا ، وكنز للذهب والـفضـة ، وإفسـاد فى الأرض ، وتقطيع للأرحام ، وأكل لأموال اليتامى ظلماً ، وزِناً ، وشرب الخمر وتداولها بكل وجه ، والمحلّل والمحلّل له .

* مواضيع خطيرة ، وغيرهـا كثيـر ، يتعـرض لها هذا الكتـاب القيّم بأسلوب مبسط ، يطوف بك بين آيات القر... وأحاديث رسول الله ﷺ يستلهِم منها الهدى والرشاد



١٤ ش جواد حسنى - القاهرة
ت: ٣٩٣٤٦٠٥ - ٢٩٩٢٦١٥